

الرسائل الجامعية

دور حضارة العراق القديمة في بلاد الشام

اطروحة تقدم بها

هديب حياوي عبد الكريم غزالة

الى

مجلس كلية التربية – جامعة القادسية

وهي جزء من متطلبات نيل درجة دكتوراه فلسفة

في التاريخ القديم

باشراف

الاستاذ الدكتور

نائل حنون

١٤٢٢ هـ ٢٠٠٢ م

المختصرات
Abbreviation

الحوليات السورية: مجلة دائرة الآثار والمتاحف السورية (دمشق)

سومر: مجلة الهيأة العامة للآثار والتراث العراقية (بغداد)

AAAS: Les Annales Archeologiques Arabes Syriennes, (Damas)

AFO: Archiv Für Orientforschung, (Berlin)

ANET: Ancient Near Eastern Texts Relating to the old Testment 3rd ed., (NewJersy) 1969.

AnSt: Anatolian studies,.(London), 1969.

AHw: Akkadisches Hand wőrter Buch (wiesbaden). 1959

ARAB: Ancient Records of Assyria and Babylonia. (Chicago),1926-1927.

ARI: Assyrian Royal Inscriptions, (wiesbaden),1976.

ARM: Archives Royales de Mari, (paris) 1950 ff.

BASOR: Bulletin of the American Schools of Oriental Research, (New Haven).

CAH: The Cambridge Ancient History, (Cambridge), 1954,1971.

CAD: The Assyrian Dictionary, (Chicago), 1960.

IRAQ: Journal of British school of Archaelogy in Iraq, (London).

JNES: Journal of Near Eastern Studies, (Chicago)

RA: Revue D'assyrilogie et D'arch'eologie Orientale, (Paris).

Rép Geogr. Repertoire Geographique des Textes Cunéiformes. (wiesbaden).

RLA: Realexikon der Assyriologie und rderasiatischen Archäologie. (Berlin).

SAA: State Archives of Assyria, (Helsinki), 1987,1988.

Sumer: Journal of Archaeology in Iraq, (Baghdad).

Syria: Revue d'art oriental et d'archéologie, (Paris).

Toponysms: New Assyrian, Toponyms, (Neukirchen), 1970.

ان دراسة تاريخ وحضارة أي بلد من البلدان تحتم على الباحث معرفة اصل التسمية التي عرف بها وجذورها التاريخية ومحاولة ايجاد علاقة ما بين الاسماء القديمة التي سمي بها مع اسمه الحديث المعروف به في وقتنا الحاضر.

ومما لاشك فيه ان طرق المواصلات التي يرتبط بها ذلك البلد مع البلدان المجاورة له (وخاصة تلك التي تمتلك ارثاً خضاريا ثراً) تلعب دورا كبيراً، اذ ان سهولة طرق الاتصال وتعددها تتحيح لذلك البلد التأثر والتاثير الحضاري بينه وبين المناطق المحيطة به.

ان كل ما تقدم حتم علينا ان يكون المبحث الاول من هذا الفصل يسير باتجاه دراسة اصل تسمية سوريا وطرق اتصالها مع بلاد الرافدين اذ لعبت الطبيعة الجغرافية الارضية ما بين البلدين دوراً مهماً في سهولة الاتصال فيما بينهما نظراً للوحدة الطبيعية التي انعكست على وحدتهما الحضارية.

ومن الامور المسلم بها ان هناك اواصر وثيقة ومتداخلة بين الاحداث التاريخية وبين سطح الارض ومظاهرها الطبيعة التي تعد مسرحاً. لتلك الاحداث، لذا من الصعب ان تكتمل المعرفة التاريخية بدون المعرفة الجغرافية، ولهذا فان تناول صفات أرض بلاد الشام الجغرافية يساعدنا في فهم تأريخها السياسي والحضاري وهذا ما جرى تناوله في المبحث الثاني من هذا الفصل، فضلاً عن ابراز الأهمية الجغرافية لموقع سوريا بين القارات التأريخية الثلاث (اسيا، افريقيا، أوربا) ومدى تأثير ذلك الموقع في سير احداثه التاريخية.

المبحث الاول
التسمية وطرق الاتصال بين بلاد الشام وبلاد الرافدين

التسمية:

اطلقت تسمية بلاد الشام من قبل عرب الجزيرة على كل المنطقة الواقعة شرق البحر المتوسط والتي ساعدتها ظروفها الطبيعية في ان تجعل منها وحدة جغرافية واحدة[١]، ويبدو من الصعب علينا ايجاد حد طبيعي فاصل بين أراضي العراق وسوريا. وفي العصور القديمة كانت مدينة ماري (تل الحريري حالياً على مقربة من الحدود العراقية السوريه) تمثل آخر مدينة سوريا قديمة، ولكنها في الوقت نفسه تمثل أول مدينة عراقية قديمة على الفرات الاوسط[٢].

ان دراسة تاريخ المنطقة وحضارتها في العصور القديمة تتطلب التعامل معها على انها اقليم حضاري واحد، ولهذا فان هذه الرقعة الجغرافية لم تكن تعنى في التاريخ دولة معينة من مسميات دول بلاد الشام الحالية فقد اثبتت التنقيبات الآثارية في (اقطار) البلاد ان هناك توافقاً وامتداد وتجانساً في المكتشفات الاثارية والنصوص الكتابية لمنطقة بلاد الشام وهذا ما يؤكد حقيقة كونها وحدة تاريخية وحضارية واحدة على مر العصور[٣].

عرفت تلك البلاد في النصوص العراقية القديمة باسم (امورو) وكان يقصد بها كل البلاد الحالية (سوريا ولبنان وفلسطين، كما سمو البحر المتوسط بـ (بحر امورو الكبير)[٤]، كما ورد في كتابات الملك الاشوري اسرحدون (٦٨٠-٦٦٩ ق.م) مصطلح (بلاد ختي) لأول مرة ليشير الى البلاد السوريه ويشمل اربع وعشرون مدينة تحدد الرقعة الجغرافية لهذا المطلح وهي (صور، يهودا، ايدوم، موآب، غزة، عسقلون، ايكرون، بيبلوس، ارباد، سامسيمورونا، عمون، اشدود) فضلاً عن اثنتي عشرة مدينة ساحلية[٥]. وتخبرنا النصوص المصرية القديمة عن قصة الأمير المصري سنوحي الذي رأى من الحكمة عندما تسنم سنوسرت الأول (١٩٧١-١٩٢٨ ق.م) عرش مصر ان يهرب الى مكان ما من بلاد (رتنو) وهي كلمة مصرية غامضة في اشتقاقها كانت تطلق على بلاد الشام[٦]، وبما كانت فلسطين كلها تدخل في (رتنو)، وربما كان الجليل وحده من دون بقية الأراضي الفلسطينية هو الذي يدخل في حدود (رتنو). ومن المرجح

---

(١) الجوهري، يسري، جغرافية البحر المتوسط، (الاسكندرية، ١٩٨٤)، ص ٢١١.

(٢) أحمد، محمود عبد الحميد وآخرون، اثار الوطن العربي القديم، (دمشق، ١٩٩٩)، ص ٢٢٦.

(٣) كفافي، زيدان عبد الكافي، "بلاد الشام في عصور ما قبل التاريخ"، المؤتمر الخامس عشر للآثار والتراث الحضاري في الوطن العربي، (دمشق، ٢٠٠٠)، ص ٥١.

(٤) الأحمد، سامي سعيد، تأريخ فلسطين القديم، (بغداد، ١٩٧٩)، ص ٩٢.

(5) ANE T, 1969, P., 291.

(٦) حتي، فيليب، لبنان في التاريخ ، ترجمة انيس فريحة، (بيروت، ١٩٥٩)، ص ٨٨.

ان الحدود الشمالية لهذا المصطلح كانت تنتهي عند مشارف حماه في الداخل وقرب مدينة ارواد على الساحل[١]. ومن المحتمل ان هذه اللفظة لا تزال حية في اسم نهر الليطاني (بتغير الراء الى لام) وقد تكون لفظة فنخو التي ترد ايضاً في هذه القصة ما يشير الى بلاد فينيقية[٢].

ومما تقدم نستخلص ان العراقيين والمصريين القدماء قد عرفوا المنطقة باعتبارها وحدة جغرافية واحدة. وتدل التسمية العربية للمنطقة (بلاد الشام) على ان العرب قد تعاملوا معها على انها رقعة جغرافية واحدة، اذ انها تعني (الشمال أو اليسار) وهي تقابل (اليمين أو الجنوب) وذلك بالنسبة الى أهل الحجاز، كما يقولون اليد اليمنى او اليد الشومي[٣]، وهناك من اشار الى ان تسميتها تعني جمع شامة لكثرة قراها التي شبهت بالشامات أو لأنها شامة القبلة أي شمالها[٤] وفي الواقع ليس بين جغرافيّ العرب ومؤرخيهم من يستعمل غير كلمة بلاد الشام عند الحديث عن هذه الرقعة الجغرافية، ولكن عندما يكتبون عن الروم فانهم يوردون اسم سوريا فكأن لفظة (سوريا) تعني لهم اسم الشام بلغة اجنبية[٥].

شمل اسم سوريا كمصطلح جغرافي تاريخي المساحة الواقعة بين جبال طوروس وسيناء بين البحر المتوسط والبادية وكانت فلسطين قسماً من سوريا حيث كان سكانها يعرفون بالسوريين الذين في فلسطين كما ورد في كتابات هيرودوتس وكذلك في كتابات مؤرخي الحروب الصليبية[٦]، ولم يرد هذا الاسم في النص العبري الاصلي للعهد القديم ولكنها استعملت في الترجمات العبرية اللاحقة للدلالة على الممالك الآرامية والأراميين[٧].

ويعود اصل هذه الصيغة الى سيريون (Siryon) وسيريا (Syria) بينما يظهر الاسم في النصوص الاوغاريتية بصيغة شرين (Shryn)[٨]. ووردتنا الفاظ مشابهة في عدد من النصوص

---

(١) اليوسف، يوسف سامي، فلسطين في التاريخ القديم، (عمان، ١٩٩٩)، ص ٨-٩.

(٢) فيركوتر، جين، "سقوط المملكة القديمة والفترة المتوسطة الأولى"، الشرق الأدنى الحضارات المبكرة، ترجمة عامر سليمان، (الموصل، ١٩٨٦)، ص ٣٦٨.

(٣) باقر، طه، الموصل، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج٢، (بغداد، ١٩٥٦)، ص ٢١١.

(٤) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، م٥، (مطبعة السعادة، ١٩٠٦)، ص ٥١.

(٥) النص، عزة، "مع الواقدي في فتوح الشام"، الحوليات السورية، م٢، ج٢، (دمشق، ١٩٥٢)، ص ٧١.

(٦) حتي، فيليب، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ج١ ، ت جورج حداد، وعبد الكريم رافق، (بيروت، ١٩٥٨)، ص٦٢.

(٧) حتي، فيليب، المصدر نفسه، ص ٦٣.

(٨) حتي، فيليب، ، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ج١ ، ص ٦٢.

ومنها نصوص نوزي اذ وردت صيغة (Su-ri-)ki في حين ورد اسمي (Sirara) و(Syrie) في كتابات كورش الأخميني[1].

وهناك رأي يعتقد ان اسم سوريا مشتق من اسم (Suria) وهو أحد آلهة حضارة بلاد الاناضول والذي يرجع الى اصول هندو–اوربية باسم (Surya). فيما اشار رأي اخر الى ان لفظة سوريا مشتقة من اسم مدينة صورا او سور (Tyr) الفينيقية ذات الاصل الجزري ويشير احد الباحثين الى ان اصل لفظة سور(ي) و(يا) هو اكدي / اشوري –آرامي، ويبدو ان الاصل الاشوري له بعد قلب الشين سينا هو الاكثر منطقية اي (سوريا أو سوريا)[٢]. ولا بد هنا من الأخذ باحتمال ان اسم سوريا هو سرياني جاء بتأثير النساطرة السريان في العراق اذ نجد تشابهاً لفظياً بين المصطلحين (Assuria-Suria) (اشوري – سوري)[٣]. فيما ورد اسم (سريانا) الذي يدل على جبال لبنان الشرقية في معاهدة ترجع الى القرن الرابع عشر ق. م وقعها الملك الحثي شوبيلوليوما (١٣٧٥–١٣٣٥ ق. م) مع تابعه الملك الاموري عزيرو[٤].

ان تلك الاراء تعتمد على المقارنات اللفظية ولذلك فانها تحتاج الى نصوص كتابية اكثر للبرهنة عليها. وتجدر الاشارة هنا الى ان تسمية سيريا (Syria) في كتابات الكتاب الكلاسيكيين مثل هيكاتابوس وهيرودوتس في القرن السادس والخامس ق.م، استعملت للدلالة على المنطقة الخصبة الممتدة بين البحر المتوسط وسلسلة جبال طوورس والفرات والبادية في الجنوب الشرقي. غير ان هذا المصطلح لا يشمل المنطقة الواقعة بين الفرات الاوسط ودجلة، فقد سماها الأغريق اسيريا(Assyria) وفي زمن الاسكندر شمل المصطلح المعروف ميزوبوتاميه (Mesopotamia) هذه المنطقة ومعناه بلاد ما بين النهرين. كما شمل المصطلح نفسه بلاد بابل في جنوب العراق[٥]. وقد ذكر الكتاب الأغريق مملكة آرام – دمشق الآرامية التي تأسست في أواخر القرن الحادي عشر ق.م لتشمل البلاد الواقعة شرقي جبال لبنان الى سوريا الداخلية والشمالية واعتبر هذا الاسم مرادفاً لما يسمونه سوريا. وفي اسفار ((العهد القديم)) اصبحت التسمية نفسها تطلق على بلاد الآراميين[٦]. ومهما يكن من امر فان لفظة سوريا قد شاعت بمدلولها الشامل في عهد السلوقيين ثم اقتبسها الرومان منهم في العصور الميلادية[٧] وشاع استعمالها بشكل مألوف في

---

(1) Cannuyer, C., “ Apropos de l, origine du nom de la Syrie” JNES, vol 44, No.2, 1985. P. 133.

(٢) احمد، محمود عبد الحميد وآخرون، اثار الوطن العربي القديم، ص ٢٢١.

(3) Cannuyer, C., JNES, 44, No.2, 1985. P. 133.

(٤) النص، عزة، الحوليات السورية م٢، ج٢، ١٩٥٢، ص ٧٤.

(٥) شترومينغز، ايفا وكاي، كولماير "بلاد بعل"، الأثار السورية، (فينا ١٩٨٥)، ص ١١–١٢.

(٦) حتي، فيليب، لبنان في التاريخ، ص ١١١.

(٧) النص، عزة، الحوليات السورية م٢، ج٢، ١٩٥٢، ص ٧٣.

كتب البلدانيين العرب ومنهم ياقوت الحموي فقد ذكر بان سوريا ((موضع بالشام بين خناصرة وسلميه))، ولكنه يذكر بان سورستان او سوريان تعني الشام والعراق[١]. وفي رواية للطبري ((وكانت أرض سوريا أرض فلسطين والاردن ودمشق وحمص معا وما دون الدرب من ارض سوريا وكان ما وراء الدرب عندهم الشام))[٢]. واستعملت تسمية (سوري) في العصر الحديث كتسمية عرقية تشمل سكان سوريا، وكمصطلح لغوي فان لفظة (سيريان) (Syrian) الانجليزية تشير الى جميع الشعوب التي تتكلم السريانية (الارامية) ومنهم الذين في العراق وايران، كما انها تشير كمصطلح ديني، الى اتباع الكنيسة السريانية وقد انتشر بعضهم حتى جنوب الهند[٣].

أما اسم بلاد كنعان[٤] والذي اطلق في بادئ الامر على الساحل والقسم الغربي من فلسطين ثم عم استعماله بعد إذ وشمل قسماً كبيراً من سوريا واطلق على كل فلسطين ايضاً، كما نجد ذلك واضحاً في كتاب العهد القديم اذ اطلقت صفة كنعاني على جميع سكان فلسطين بدون تمييز عرقي[٥]، وقد ورد اول ذكر لبلاد كنعان باعداده مصطلحاً جغرافياً في النص ت م /٧٥/٢٣٦٧ المكتشف من قبل مرديخ (ايبلا القديمة)[٦]. وهذا النص يعود بتاريخه الى منتصف الالف الثالث ق. م ويبدو ان منطقة كنعان التي ذكرت في هذا النص كانت مجاورة

(١) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، م ٥، ص ١٧١-١٦٩.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، (القاهرة، ١٩٣٩)، ص ٢٣٩.

(٣) حتي، فيليب، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص ٦٣.

(٤) لم يتفق الباحثون حول معنى كلمة كنعان، فكان يظن ان اسم ((كنعان)) من كلمة جزرية تعني الارض الواطئة وهذه دلالة على موطنهم في الساحل (من جذر ((كنع)) و ((خنع))) بالمقارنة مع الاراضي الجبلية العالية المحاذية لموطنهم، وهناك رأي يميل الى اشتقاق اسم ((كنعان)) من اصل غير جزري ويرجعه الى كلمة حورية تعنب الصبغ القرمزي ويبدو ان هذا الاقليم اشتهر بصناعة هذا الصبغ عندما اتصل الحوريون ببلاد سوريا في القرن الثامن عشر والسابع عشر ق. م ومنها جائتنا الصيغ المشهورة في البابلية مثل (كنخني) والكلمة الواردة في رسائل تل العمارنة (كنخي) والفينيقية (كينع) والعبرانية (كنعان) بينما عرف سكان المنطقة باسم الفينيقيين والتي هي تسمية اغريقية الأصل وتشير الى صناعة الاصباغ الارجوانية اللون والتي اشتهر بها الفينيقيون سكان سواحل البحر الابيض المتوسط. انظر:

باقر، طه، مقدمة ....، ج٢، ص ٢٣٩-٢٤٠.

حامدة، أحمد، مدخل الى اللغة الكنعانية الفينيقية، (دمشق، ١٩٩٧)، ص ٧.

دانيال، كلين، موسوعة علم الاثار ، ج٢، ترجمة ليون يوسف (بغداد. ١٩٩١) ص ٤٤٩.

(٥) باقر، طه، مقدمة ....، ج٢، ص ٢٤١.

(٦) من المعتقد ان اسم ايبلا مشتق من كلمة (عبلاء) العربية والتي تعني البيضاء وربما جاء ذلك لطبيعة الصخور البيضاء الموجودة في تل مرديخ وهو اسم الموقع الحالي في محافظة ادلب، غير ان هذا الرأي يبقى مجرد افتراض يفتقر الى برهان اكيد انظر:

ماتييه، باولو وآخرون، ايبلا . عبلاء، الصخرة البيضاء، ترجمة قاسم طوير، (دمشق، ١٩٨٤).

لمملكة ايبلا[١]. وفي القرن الخامس عشر ق. م ظهر اسم كنعان مكتوباً باللغة الاكدية على تمثال ادريمي ملك الالاخ[٢] في وادي العمق[٣] ذلك ان ها الملك يذكر في نصه بانه لجأ الى بلاد كنعان التي من المرجح انها كانت تشمل المنطقة الجنوبية الغربية من بلاد الشام[٤] طبقاً لما ورد في رسائل تل العمارنة بصيغة كيناخي (Kinaakhkhi) او كيناخني (Kinakhni)، واحيانا سمت تلك الرسائل (فلسطين) باسم عمورو والتي شملت لبنان ايضاً، ولكن (ارض كنعان) كان هو الاسم القديم لفلسطين الحالية[٥]. وكان اول من ربط بينهما بشكل واضح هو المؤرخ الأغريقي هيرودوتس في كتابه الأول (الفصل ١٠٥) اذ يورد نصاً:

((ذلك الجزء من سوريا المعروف بفلسطين))[٦]

أما اسم فلسطين فانها تسمية مشتقة من الاسم بيليشتي (Peleshti) (كما جاء في المصادر الآشورية) وهي أحد قبائل بحر ايجه التي نزحت من سواحل اليونان وكريت وبقية جزر البحر ودخلو اسيا الصغرى وشمال غرب سوريا. وقد اطلقت هذه الكلمة (فلسطين) لتعني المناطق التي سكنتها تلك القبائل فقط ثم اخذت المصادر الكلاسيكية تطلق هذه التسمية على جميع فلسطين الحالية وحتى شرق الاردن[٧].

لقد اثرت المنطقة الاخيرة حضاريا على المناطق المجاورة بدلالة ما كشفت عنه التنقيبات الاثارية التي اجريت في مواقع عديدة من الاردن، مثل طبقة فحل في منطقة الغور وباب الذراع في منطقة لسان البحر الميت وخربة الزيزفزن فوق المرتفعات الجبلية للشمال الأردني، من شواهد

ومنهم من يرى ان (ايبلا) هو اسم قبيلة أمورية سكنت تلك المناطق واطلق الاسم عليها. انظر:

ابو عساف، علي، اثار الممالك القديمة في سورية، (دمشق،١٩٨٨). ص٣٢٤.

(١) ابو عساف، علي، المصدر نفسه، ص ٣٢٠.

(٢) معنى هذا الاسم هو شجر وادي العمق حيث ان هذا المكان يقع في وادي عميق يسمى اليوم (وادي العمق) لهذا فان هذا الاسم ذو مدلول طبيعي. انظر:

قبيسي، محمد بهجت، نفسير بعض اسماء الاماكن الجغرافية، الحوليات السورية، م ٤٣، (دمشق .١٩٩٩)، ص٣٦.

(٣) حامدة، أحمد، مدخل الى اللغة الكنعانية الفينيقية، ص ٧.

(٤) ابو عساف، علي، المصدر نفسه، ص٣٢٠. وحول النص الخاص بقصة ادريمي انظر:
ANET, 1969, P.557.

(5) Kuhrt, A., The Ancient Near East 3000-330 B.C., vol I, (London- New york, 1998), P. 318.

(٦) حتي، فيليب، لبنان في التاريخ، ص ١٠٩.

ألأحمد، سامي سعيد، تأريخ فلسطين القديم، ص ٤٣.

دانيال، كلين، موسوعة علم الآثار، ج٢، ص ٤٤١.

(٧) ألأحمد، سامي سعيد، تأريخ فلسطين القديم، ص ٤٣.

دانيال، كلين، موسوعة علم الآثار، ج٢، ص ٤٤١.

على ان تلك المواقع أهمية في اثبات ارتباط شرق الأردن ضمن الاطار التأريخي والحضاري لعموم بلاد الشام[(١)].

وبالنسبة للبنان فقد اشتق اسمه من صفة البياض من المفردة العربية لابن وهي الصفة التي اطلقت عليه بسبب الثلوج المتراكمة على قمم سلسلة الجبال الغربية[(٢)]. وقد ورد في النصوص العراقية القديمة بصيغة (lab-na-na)[(٣)].

طرق الاتصال بين بلاد الشام وبلاد الرافدين:

يرتبط العراق غربا مع بلاد الشام وسواحل البحر الابيض المتوسط بطريقين مهمين ينطلق الأول من مدينة سبار (ابو حبة) ويسير بموازاة نهر الفرات ماراً بمدينة هيت[(٤)] فمدينة ماري ثم منطقة البو كمال ودير الزور ويستمر في سيره في بادية الشام ماراً بمدينة تدمر حتى يصل حمص التي ينقسم فيها الطريق الى عدة فروع تؤدي كلها الى موانيء البحر المتوسط ودمشق وفلسطين[(٥)]. وكان اصعب جزء في هذا الطريق المسافة التي يخترق فيها البادية التي يمتد طولها زهاء (٥٠٠ كم تقريباً)، ولذلك فان استخدامه لم يكن أمراً سهلاً للقوافل التجارية والحملات العسكرية على حد سواء لان ذلك يتطلب حمل كميات كبيرة من المؤونة. كما ان هذا الطريق كان معرضاً للهجمات المستمرة من قبل البدو الرحل الذين يجوبون البادية[(٦)]. لذلك كان يفضل الطريق الثاني الذي يبتدئ من نينوى ويجتاز منطقة الجزيرة من الشرق الى الغرب ماراً بجملة مدن ومستوطات مثل شوبات انليل[(٧)] (من المحتمل انها شغار بازار) وكوزانا (تل حلف)

---

(١) كفاني، زيدان، الأردن في العصور الحجرية، (عمان، ١٩٩٠)، ص ١٨٧.

(٢) حتي، فيليب، لبنان في التاريخ، ص ١٠٩. انظر كذلك

ابن منظور، لسان العرب، م١٣، (بيروت، ١٩٥٦)، ص٣٧٨.

(3) Parpola, S., SAA, vol 2, P. 25.

(٤) ورد اسم هذه المدينة في النصوص العراقية القديمة بلفظة $tu\text{-}tu\text{-}li^{ki}$

انظر:- Edzard, and others,Rep. Geogr I ,P. 161

وحول أهمية هذه المدينة انظر:-

الأعظمي، محمد طه، هيت في المصادر المسمارية، بحث مقبول للنشر في مجلة كلية الاداب، (جامعة بغداد، ٢٠٠١).

(٥) رو، جورج، العراق القديم، ترجمة حسين علوان، (بغداد، ١٩٨٤)، ص٣٥.

(٦) علي، فاضل عبد الواحد، "حضارة وادي الرافدين: طرق انتشارها وابرز تأثيراتها في بلاد الشام ومصر" ،مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد ٦،(بغداد، ١٩٨٩)، ص ٥.

(٧) تعتبر هذه المدينة احد العواصم الاشورية في عهد الملك شمشي-ادد الاول (١٨١٣-١٧٨١ ق.م) ويقترح فان ليري ان تل ليلان الواقع على بعد ٣٠كم شرق تل الحميدي على نهر الجغجغ هو الموقع الحالي للعاصمة الاشورية. انظر:

وحران[١]. ويعبر الفرات عند كركميش (الواقعة الآن ضمن الاراضي التركية) ومدينة ايمار (مسكنة الحالية)[٢]،ثم يمر بحلب او بالقرب منها وينتهي بنهر العاصي (اورنتس) ثم يتشعب الى عدة طرق تؤدي الى الاجزاء الوسطى من سوريا والى سواحل البحر المتوسط. ومن الفروع المهمة لهذا الطريق ما كان يتجه الى الشمال الغربي ويؤدي الى كليكيه[٣]. والأجزاء الاخرى من بلاد الاناضول[٤].

وهنالك مسالك ثانوية للأتصال بين العراق وسواحل البحر المتوسط الشرقية مثل طريق وادي الثرثار (ترتارا) ويبدأ من وادي دجلة عند مقتربات بيجي او مدينة أشور (قلعة الشرقاط) ويصعد مع الوادي المذكور ماراً بالحضر. وقبل ان يعبر مرتفعات العطشانة وسنجار ينقسم الى عدة طرق منها الى نصيبين وطريق يذهب الى وادي الفرات بين عنه ومصب الخابور والى حران ماراً بالحسكة عابراً الفرات عند تل بارسيب[٥].

ومن الجدير بالاشارة هنا انه كان بالامكان الوصول الى بلاد وادي النيل من الاراضي السوريه–الفلسطينية عبر سيناء وصولاً الى دلتا النيل وهو الطريق الذي اتبعه الاشوريون في حملاتهم العسكرية في القرن السابع ق.م في عهدي الملكين اسرحدون (٦٨٠–٦٦٩ ق.م) واشور

ليري، فان، "العواصم والقلاع في العصر البرونزي الحديدي في سورية وعلاقاتها مع اليابسة والماء"، ترجمة فيصل الصيرفي، الحوليات السورية، م١٣، (دمشق ١٩٦٣)، ص ٢١٤. انظر كذلك

RLA, Band 6, P. 594.

(١) تقع هذه المدينة على بعد ٤٠ كم جنوب وجنوب شرق مدينة اورفة الحالية. انظر RL A. 4.P. 122 وقد ورد اسمها في النصوص العراقية القديمة بصيغة (Harranu) ويعني طريق القوافل والرحلات.

CAD,H.,P. 106

وقد تم العثور في هذه المدينة على مسلتين تعودان الى عهد الملك نبونئيد الأولى اكتشفها العالم (H. Pognon) عام ١٩٠٦ في الموقع المسمى باسكي حران (اي حران القديمة)، اما المسلة الثانية فقد اكتشفها العالم (D.Rice) سنة ١٩٥٦ في أرضية المدخل الشمالي للمعبد الكبير انظر:

Gadd, G.J. "The Harran Inscriptions of Nabonidus", AnSt. Vol 8, (London, 1958),p. 35.

(٢) مدينة تجارية قديمة تقع في موقع يلتقي فيه الطريق بين حلب والموصل بالفرات، ذكرت في نصوص ماري وعثر فيها على مجموعة من الرقم الطينية وقد جاء ذكرها في العصر الروماني والبيزنطي باسم بارباليسوس (Barbalissos) وفي العصر الاسلامي باسم باليس (Balis) وهجرت نهائياً عام ١٢٥٩ زمن الغزو المغولي. انظر:

غولفن، ل وآخرون، "مسكنه باليس"، معرض الاثار السوري الأوربي، (دمشق، ١٩٩٦)، ص ١٨٢ وكذلك RLA, 8, 1993, P. 85 F.

(٣) التسمية القديمة لهذه المنطقة هي قو (Qu). انظر

ساكز، هاري، عظمة بابل، ترجمة عامر سليمان، (باريس، ١٩٧٩)، ص ١١٥.

(٤) باقر، طه، مقدمة، ج١، (بغداد، ١٩٨٦)، ص ٣٢.

(٥) ألأحمد، سامي سعيد، العراق القديم، ج١، (بغداد، ١٩٧٨)، ص ١٤٣.

بانيبال (٦٦٨-٦٢٧ ق.م)[١]. وقد لعبت عدة مدن سوريا دوراً مهماً واساسياً في ربط بلاد الرافدين مع بلاد الشام، ومن أهم تلك المدن ترقا (تل العشارة)[٢] التي شكلت جسر انتقال بين سوريا الداخلية واعالي الرافدين اذ سيطرت على منطقة ذات أهمية اقتصادية في الشرق القديم، كما كانت توتول تتمتع بموقع ستراتيجي عند ملتقى الفرات بالبليخ في حين شكلت كل من ايمار وكركميش المنفذين الأكبر أهمية بين بلاد الرافدين وسوريا[٣].

ولابد من القول هنا ان العراق القديم ارتبط تجارياً مع بلاد الشام منذ اقدم العصور التأريخية وأهم ما جلبه منها هو الاخشاب التي كان يحتاجها في البناء وحصل عليها من جبال اما نوس في لبنان وقد وردت اشارة الى ذلك في ملحمة لكلكامش اذ ورد ما نصه:

((ودنت ساعة اللقاء الحاسمة لما بدأ جلجامش يقطع اشجار الارز بفأسه
اذ سمع خمبابا الصوت
فغضب وهاج وزمجر صائحاً من الداخل المتطفل
الذي كدر صفو الغابة واشجارها الباسقة في جبلي ؟
ومن ذا الذي قطع اشجار الارز ؟
وتهيأ خمبابا للهجوم على الصديقين اللذين استحوذ عليهما الرعب
وندما على هذه المغامرة ودخول غابة الارز))[٤]

---

(١) علي، فاضل عبد الواحد، مجلة دراسات في التاريخ والاثار، العدد ٦، ص٦.

(٢) تقع هذه المدينة على ضفة الفرات اليمنى، على مسافة ٨٠ كم جنوب دير الزور. انظر :
رووه، اوليفيه، "تل عشارة، ترقا"، معرض الاثار السوري الاوربي،(دمشق، ١٩٩٦)، ص ٨٥.
Groneberg, B, Rep. Geogr. Band 3, p 235.

(٣) لوبو، مارك، "طرق الاتصال بين بلاد الرافدين العليا في الالف الثالث ق. م"، ترجمة أحمد طرقجي، الحوليات السورية، م ٤٣، (دمشق، ١٩٩٩)، ص ٢٧١.

(٤) باقر، طه، ملحمة كلكامش، (بغداد، ١٩٨٦)، ص ١٠٤.
دالي، ستيفاني، اساطير بلاد ما بين النهرين، ترجمة نجوى نصر، (بيروت، ١٩٩٧)، ص ١١٠ وما بعدها.

المبحث الثاني
جغرافية بلاد الشام
اثر الموقع الجغرافي في تاريخ البلاد

جغرافية بلاد الشام:

هناك اواصر وعلاقات وثيقة ومتداخلة ما بين التأريخ باحداثة وبين الارض ومظاهرها الطبيعية التي تعد مسرح هذه الاحداث ومجالها. ويمكن القول ان الجغرافية تحدد الاماكن التي وقعت فيها الاحداث وما اكتنفها من ظروف وملابسات ولا يمكن ان تكتمل المعرفة التأريخية بدون المعرفة الجغرافية(١)، لذا فان تركيب هذه العلاقة يقضي ان يلم المؤرخ بمثل هذه المعرفة، وإلا فان دراسته لا تكلل بالنجاح. ومثل هذا القول يسري على الجغرافي الذي يعني بهذا النوع من مشاكل الدراسة الجغرافية. اذ لا بد من حصر دراسته بمدة زمنية معينة او منطقة معينة او لكليهما معاً(٢).ومن هنا كان لابد من تقديم المامه عن الصفات الجغرافية لبلاد الشام لتعيننا على فهم تأريخها السياسي ونتاجها الحضاري، وعموماً يمكن تمييز خمسة مناطق تمتد ما بين البحر والبادية.

١. **السهول الساحلية:**

تمتد هذه السهول على طول الساحل الشرقي للبحر المتوسط وقد تكونت نتيجة للتعرية البحرية والتعرية الارضية ولهذا اختلفت اشكالها من اقليم الى اقليم فهي في بعض الجهات رملية منخفضة وفي الاخرى صخرية منبسطة او متضرسة(٣)، ويمكن القول ان هذه السهول تشكل شريطاً ساحليا طويلا مختلف العرض، يمتد من خليج الاسكندرونة في الشمال وحتى الحدود الفلسطينية–المصرية في الجنوب(٤). ويختلف اتساع هذه السهول من جهة الى اخرى ولهذا فهي اشبه بالسهول المتقطعة غير المتصلة وتسمى أجزاؤها باسما مختلفة(٥) وتبلغ اكبر سعة لهذه السهول في الشمال والجنوب ولكنها تكون مجرد ممر ضيق في سفوح جبال لبنان اذ انها تتفاوت سعتها من منطقة لأخرى فمثلاً يبلغ اتساعها ما يقارب ٢٠ كم بالقرب من اللاذقية في الشمال

---

(١) ايست، جوردن، الجغرافية توجه التاريخ، ترجمة جمال الدين الدناصوري، القاهرة، بدون سنة طبع، ص ١٣–١٤.

(٢) المياح، علي محمد، "الصلة بين التاريخ والجغرافية"، مجلة كلية الاداب جامعة بغداد، العدد ٥٣، ٢٠٠١، ص ٢٢.

(٣) الصياد، محمد محمود، معالم جغرافية الوطن العربي، م ١ (بيروت، ١٩٧٠)، ص ١٠٤.

(٤) مرعي، عيد،التاريخ القديم، ط٢، (دمشق، ٢٠٠٠)، ص ١١١.

(٥) الصياد، محمد محمود، معالم جغرافية الوطن العربي، ص ١٠٥.

نجد انها تضيق في بعض الاماكن فلا يتجاوز عرضها عن ٢ كم [١] بل تنعدم السعة في بعض الجهات حيث تشرف الجبال على الساحل كما هو الحال بالقرب من طرابلس من الشمال ورأس الناقورة في الجنوب[٢]. اما اهم اجزاء هذه السهول والتي يمكن ان نتتبعها من الشمال الى الجنوب، فهي سهل الأسكندرونة وسهول العلويين وسهل عكار وسهل صيدا –صور ثم سهل فلسطين الذي يستمر بامتداده داحل الاراضي المصرية، وتمتاز هذه السهول بخصبها واستقامتها وخلوها من الخلجان باستثناء خليج الاسكندرونة[٣].

٢. **المنطقة الجبلية (الجبال الغربية):**

وتشمل الجبال الساحلية التي تسير بشكل موازٍ للساحل من الشمال الى الجنوب وبعض الجبال الداخلية. وتتكون من محدبات خفيفة لا تشبه التواءات طوروس المتفرعة منها، ولهذا فهي لا تعد جبال التوائية بالمعنى الدقيق وهي في معظمها تتجه من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي ويمكن تمييز عدة كتل في هذه السلسلة[٤]. فالكتلة الشمالية تعرف باسم جبال امانوس والوسطى باسم جبال الانصارية أو العلويين أما الكتلة الجنوبية فهي جبال لبنان (الغربية) التي تصل قمتها الى نحو ١٠ ألاف قدم[٥]. وتلتحم هذه الجبال من جهة الشمال بسلسلة جبال طوروس التي تؤلف هي وامتداداتها في جبال كردستان وزاجروس سلاسل جبلية تحيط ببلاد الشام والرافدين من ناحية الشمال والشرق متمثلة بشكل قوس هائل يتوج رأس الجزيرة العربية ويرسم الحدود الطبيعية بين الوطن العربي في اسيا وجيرانه تركيا وايران[٦].

ان هذه المنطقة تكون عائقاً للمواصلات في ربط الساحل بالأراضي الشرقية الداخلية. ولا يوجد منفذ في هذا الحاجز الطبيعي إلا في نهايتيه البعيدتين عند خليج الاسكندرونة الذي ينفذ منه من سفوح جبال امانوس الى سهول ما بين النهرين، وفي خليج السويس حيث تؤدي الى البحر الأحمر والصحراء العربية. وبين هاتين النهايتين لا يكسر هذا الحاجز الا في وادي

---

(١) باقر، طه، مقدمة ،ج٢، ص٢١٢.

(٢) الجوهري، يسري، جغرافية البحر المتوسط، (الاسكندرية، ١٩٨٤)، ص ٢١٥.

(٣) السماك، محمد أزهر وهاشم، خضير الجنابي، جغرافية الوطن العربي، (الموصل، ١٩٨٥)، ص٦٣-٦٤.

(٤) المصدر نفسه، ص٥١.

(٥) الجوهري، يسري، جغرافية البحر المتوسط، ص٢١٥.

(٦) عبد السلام، عادل، "جغرافية الوطن العربي عامل توحيد وتواصل"، الوحدة الحضارية للوطن العربي من خلال المكتشفات الأثرية، المؤتمر الخامس عشر للآثار والتراث الحضاري في الوطن العربي، (دمشق،٢٠٠٠)،ص ٥٨١.

النهر الكبير شمال طرابلس وفي سهل مرج بن عامر شرقي عكا وحيفا[١] الذي يفصل جبال الجليل شمالاً عن جبال الكرمل ونابلس جنوباُ[٢]. وتعد جبال لبنان الغربية أهم اجزاء هذه المنطقة وتمتد من النهر الكبير الجنوبي الى القاسمية شمال صور، ويبلغ اقصى ارتفاع لها في الشمال حيث توجد اعلى قمم الشام وهي قمة جبل (القرنة السوداء) التي يبلغ ارتفاعها ٣٠٨٨م وتنخفض تدريجيا نحو الجنوب حتى يصبح ارتفاعها عند جبل الباروك حوالي ١٩٥٠م وتكثر فيها الينابيع التي تغذي بمياهها عدد من الانهار[٣]. فضلاً عن ذلك فاننا نلاحظ زيادة كبيرة في عرض الحافة الجبلية وبعدها النسبي عن خط الساحل واتساع ملحوظ في عرض السهل الساحلي[٤].

ويستمر امتداد الحافة صوب الشمال ومع ذلك فانه اخدوداً عرضياً على المحور العام من الشرق الى الغرب من سهل حمص الى خط الساحل يكاد يقطع امتدادها ويفصل بين الحافة المعروفة باسم جبال لبنان الغربية وبين الحافة الممتدة شمالاً والتي تعرف باسم جبال العلويين[٥].

وعموما يمكن القول ان جبال لبنان باقسامها الثلاثة الشمالية والوسطى والجنوبية تمتد لمسافة ١٧٠ كم تقريباً[٦] وتسقط عليها كمية كبيرة من الامطار تساهم مساهمة كبيرة في تغذية معظم الأنهار في سوريا ولبنان بالمياه وتنحدر منها العديد من مجاري المياة باتجاه البحر المتوسط، ونظراً لوفرة المياه في هذه المنطقة وخصوبة تربتها واعتدال مناخها فقد اصبحت من اكثر المناطق سكناً[٧] واشتهرت بغناها بالاشجار الدائمة الخضرة كالارز والسرو والصنوبر لذلك كان كثيراً ما يذكر ملوك بلاد الرافدين انهم قاموا بجلب الاخشاب الجيدة من تلك المناطق بعد حملاتهم العسكرية عليها لأستعمالها مادة اساسية في البناء[٨].

تستمر المرتفعات الجبلية الغربية بعد موضع قطع نهر القاسمية لها لتلتقي بجبال الجليل العليا في الجرمق (شمال صفد) وهي جبال ترتفع الى ١٢٠٨م (وهو اعلى ارتفاع لجبال فلسطين). وتلي ذلك مرتفعات الجليل السفلى قرب الناصرة ويبلغ ارتفاع اعلى قممها (جبل كمانه) ٩٥٨م، ثم تنتهي المنطقة الجبلية في سهل مرج بن عامر والذي يقع بين الجليل شمالاً

---

(١) باقر، طه، مقدمة، ج٢، ص ٢١٣-٢١٤.

(٢) خمار، قسطنطين، موسوعة فلسطين الجغرافية، (بيروت، ١٩٦٩)، ص ١٢٧.

(٣) الصياد، محمد محمود، معالم جغرافية الوطن العربي، ص ١١٣.

(٤) الجوهري، يسري، جغرافية البحر المتوسط، ص٢١٥.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) الصياد، محمد محمود، معالم جغرافية الوطن العربي، ص ١١٣.

(٧) الجوهري، يسري، جغرافية البحر المتوسط، ص٢١٥.

(٨) مرعي، عيد، التاريخ القديم، ص ١١١.

وسباسطية[١] جنوباً[٢]. وتشتهر سباسطية بتلالها ووديانها واشهر جبالها الجبل الشمالي وجبل الطور، ومن المرتفعات الجنوبية جبل (يطا) الذي يبلغ ارتفاعه (١١٧٠م) وجبل القدس بارتفاعه (٧٧٥م) ثم تنحدر المرتفعات الجنوبية حتى تصبح ارض متموجة في (بئر السبع)، وللمنطقة الجبلية في فلسطين أهمية كبيرة في الدراسات الآثارية لما تضمه من كهوف عثر فيها على بقايا عظمية تعود الى العصور الحجرية[٣].

٣. اقليم السهول المنخفضة:

وهو عبارة عن منطقة ضيقة من الاراضي المنخفضة تقع شرق سلسلة المرتفعات الغربية[٤]. ويبدأ الاقليم في الشمال بسهل العمق[٥] الواقع الى الشرق من جبال امانوس ويشرف عليه في الجنوب جبل باريشا والجبل الأقرع ويستمر سهل العمق الى حماة ولكنه يأخذ بالارتفاع[٦]. الى الجنوب من سهل العمق يمتد سهل الغاب وراء جبل العلويين ويحده في الشرق جبل الزاوية[٧] فيما يمتد سهل البقاع[٨] بين سلسلة جبال لبنان الغربية والشرقية التي تسمى (انتي لبنان) وهو سهل خصب ذو أرض متموجة وقد سماه المؤرخون الاغريق والرومان باسم سوريا المجوفة (Coele-Syria)[٩]. ويعود الفضل في خصب سهل البقاع الى نهر الليطاني الذي ينبع بالقرب من بعلبك ويصب جنوبي صيدا ويسمى هناك باسم نهر القاسمية[١٠] ويمكن ان نلحق

---

(١) التسمية مأخوذة من اليونانية (Sebastos) بمعنى الموقر وهو الاسم الذي اعطى للمدينة على شرف اوغسطس عندما بناها من جديد هيرودس الكبير عام ٢٧ ق. م. انظر: حتي، فيليب، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص ٢٠٩.

وتسمى ايضاً باسم السامرة ومعناها برج المراقبة وتقع على بعد ٧ اميال شمال غرب نابلس.

الأحمد، سامي سعيد، تاريخ فلسطين القديم، ص ٣٢٠٣.

(٢) الشامي، كامل خالد، جغرافية فلسطين، عمان ،١٩٩١، ص ٢٤=٢٥.

(٣) ابراهيم، نجيب ميخائيل، مصر والشرق الادنى القديم، ط٣، ج٣، (القاهرة، ١٩٦٦)، ص ١٥.

(٤) الجوهري، يسري، جغرافية البحر المتوسط، ص٢١٥.

(٥) ورد اسم هذا السهل في النصوص الاشورية باسم (او نقي). انظر:

Luckenbill,D. D., ARAB, I,No. 769-772-821 .

(٦) باقر، طه، مقدمة، ج٢، ص٢١٧.

(٧) الصياد، محمد محمود، معالم جغرافية الوطن العربي، ص ٢١٦.

(٨) تعني هذه اللفظة تجمع المياه الراكدة، كما ان اسم بعلبك مأخوذ من كلمة بعل البقاع اي سيد ورب البقاع من اسم الاله بعل. انظر:

سليمان، عامر وأحمد، مالك الفتيان، محاضرات في التاريخ القديم، (الموصل، ١٩٧٨)، ص ٣٢٧. وقد ورد في سفر يشوع ١١:١٧ باسم وادي لبنان.

(٩) حتي، فيليب، لبنان في التاريخ، ص ١٩.

(١٠) حتي، فيليب، لبنان في التاريخ، ص ١٩.

بسهل البقاع الزبداني الذي يتصل به عن طريق ممر سرغايا ويجري فيه نهر بردى الذي يبلغ طوله حوالي ٧٠كم. ويمتد البقاع جنوباً خلال الاردن الى البحر الميت ومن ثم يمتد الى العقبة وهي الحافة الشرقية من البحر الاحمر اذ يكون منخفضاً في تلك المناطق(١). ويتراوح عرض سهل البقاع ما بين ستة اميال وعشرة اميال ويأخذ بالارتفاع بالقرب من بعلبك، التي تقع فيها نقطة تقسيم المياه بين العاصي الذي يتجه شمالاً والليطاني الذي يجري باتجاه الجنوب(٢). وفي جنوب البقاع يرتفع جبل الشيخ (حرمون) وفيه توجد منابع نهر الاردن(٣). ويعتبر نهر العاصي والاردن النهران الكبيران في بلاد الشام (باستثناء الفرات الذي يمر في سوريا الشمالية)(٤). وتعد منطقة سهل البقاع من أخصب الأراضي الزراعية في بلاد الشام وذلك لمرور نهري العاصي والأردن فيه اذ تعمل الترسبات الغرينية فعلها في اعطاء الخصوبة لتربة الأقليم الذي يضم مناطق مزدحمة بالسكان مثل منطقتي حمص وحماة التي يقوم اقتصادها على الزراعة(٥).

لقد اشتركت مجموعة هذه السهول وسهول سوريا الساحلية مع سهول وادي الرافدين في تسمية واحدة اذ سميت بالهلال الخصيب(٦) للتناغم الوضح في طبيعتها الجغرافيةلكونها تكمل بعضها البعض في امتدادها الجغرافي الطبيعي(٧). وتجدر الاشارة هنا الى تعرض اقليم السهول المنخفضة على مر العصور للزلازل والبراكين بسبب التفاوت الكبير ما بين انخفاض بعض اجزائها بضع مئات من الأقدام تحت مستوى سطح البحر وبين الارتفاع الشديد لجبالها(٨). واوضح مثال على ذلك هو ما اصاب مدينة انطاكيه الواقعة في شمال الأقليم والتي تعرضت لمرات عديدة للزلازل والبراكين خلال القرون الستة الاخيرة ق. م. كذلك توجد اثار الزلازل في

---

(١) الصياد، محمد محمود، معالم جغرافية الوطن العربي، ص ١٢٠.

(٢) رفله، فيليب ومصطفى، احمد سامي، جغرافية الوطن العربي، (القاهرة، ١٩٦٥)، ص ٢٩٤

(٣) اسم هذا النهر كنعاني قديم ويعني (المتدهور) وذلك لسرعة جريانه اذ انه ينحدر من ملتقى روافده شمالي الحولة الى مصبه في البحر الميت نحو ٤٦٢ م انظر: خمار، قسطنطين، موسوعة فلسطين الجغرافية، ص ١١.

(٤) الصياد، محمد محمود، معالم جغرافية الوطن العربي، ص ١١٩.

(٥) ابو العلا، محمود طه، جغرافية العالم العربي، ط٣،(القاهرة، ١٩٨٢) ص ٤٥٠.

(٦) يعتبر المؤرخ الشهير هنري برستد أول من استعمل مصطلح الهلال الخصيب في كتابه العصور القديمة. (Ancient Ages) انظر: باقر، طه، مقدمة، ج١، ص٦٨.

(٧) عبد الرحمن، محمد التقي وعبد العزيز عثمان، الوطن العربي «سوريا ولبنان»، (حلب، ١٩٥٤)، ص ٤١-٤٢.

(٨) ابراهيم، نجيب ميخائيل، مصر والشرق الادنى القديم، ص١٦.

جدران معبد الاله شمش في بعلبك وفي القلاع الصليبية في سوريا وفي مدينتي صور وصيدا ومدينة حلب التي ضربها زلزال عنيف عام ١٨٢٢م وحولها ركاماً[١].

٤. **سلسلة الجبال الشرقية:**

تقابل سلسلة الجبال الشرقية او كما تسمى انتي لبنان (اي لبنان المقابل) سلسلة جبال لبنان الغربية[٢]، وهي تختلف كثيراً عن السلسة الغربية فهي اقل انتظاماً واكثر تقطعاً وهي في الوقت نفسه اقل ارتفاعاً، وقد ادى هذا بالاضافة الى موقعها الداخلي الى ان اصبحت جرداء بعكس المرتفعات الغربية. ولا تمتد هذه المرتفعات في سلاسل منتظمة، بل تمثل كتلاً متباعده يتفرع منها شرقاً عدد من المرتفعات التي يمكن ان نتتبع منها مجموعتين: الشمالية وتتفرع عند حمص، والجنوبية أو جبال القلمون وتتفرع عند دمشق. تقترب المجموعتان من بعضهما عند تدمر ثم تبتعد بعد ذلك فتظهر على شكل جبال منفردة مثل جبل عبد العزيز في شمال شرق سوريا وجبل سنجار[٣]-الذي يكون مشتركاً بين العراق وسوريا ويكون القسم الأكبر منه في داخل الأراضي العراقية ويبلغ اعلى ارتفاع قمة فيه (١٤٦٠م)، أما القسم الواقع في الاراضي السورية فان اعلى قمة فيه يبلغ ارتفاعها حوالي (٦٠٠م)[٤] ويشكل الطرف الغربي لهذا الجبل حدوداً للمنطقة شبه الجبلية في العراق التي تبدأ بسلسلة تلال مكحول الممتدة من الفتحة على نهر دجلة باتجاه الشمال ولمسافة ٦٠ كم، ويبلغ معدل ارتفاع هذه السلسلة ٣٦٠م وتصل اعلى قمة فيها الى حوالي ٤٦٢م. وتعد هذه السلسلة امتدادا طبيعيا لمرتفعات حمرين[٥].

تبدأ جبال لبنان الشرقية من جنوب مدينة حمص منحدرة الى الجنوب ابتداءاً من جبل الشيخ[٦] حتى نجد حوران على حدود منطقة التلال في الجولان[٧]. تستمر هذه الجبال في شرق الاردن تحت اسم مرتفعات جلعاد وتتصل بنجد موآب وأقليم آدوم جنوبي البحر الميت[٨]. وتختلف الكثافة السكانية بين القسم الشمالي والقسم الجنوبي لهذه السلسلة، فبعد أن يقسم مجرى

---

(١) باقر، طه، مقدمة، ج٢، ص٢١٨.

(٢) حتي، فيليب، لبنان في التاريخ، ص ١٩.

(٣) السماك، محمد ازهر وهاشم، خضير الجنابي، جغرافية الوطن العربي، ص ٥٩.

(٤) عبد الرحمن، محمد التقي وعثمان، عبد العزيز، الوطن العربي ((سوريا ولبنان))، ص ٧٠.

(٥) الخلف، جاسم محمد، جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية، محاضرات القيت على قسم الجغرافية والتأريخ في معهد الدراسات العربية العالي، (القاهرة، ١٩٦٥)، ص ٢٧.

(٦) ورد في التوراة باسم (سريون). انظر: سفر المزامير ٢٩: ٦
سفر التثنية ٣:٩.

(٧) نسبة الى اللفظة العبرية (جولان) ويلفظ حرف (ج) (ك) المعطشة ومعناه الدائر او الدائرة او المحيط ووردت في المراجع الكلاسيكية باسم ((كولينتس)) (Caulanitis). انظر باقر، طه، مقدمة، ج٢، ص٢١٨.

(٨) ابراهيم، نجيب ميخائيل، مصر والشرق الادنى القديم، ص١٧.

نهر بردى السلسلة نجد ان الجانب الغربي من القسم الشمالي اجرد وخالي من القرى الفلاحية، في حين ان القسم الجنوبي الذي يعتبر جبل الشيخ اشهر مرتفعاته (٩٣٨٣ قدم)، مزدحم بالسكان وتنتشر القرى الفلاحية على سفوحه الغربية[(١)] وتنتهي سلسلة لبنان الشرقية من الجنوب الى سهل الزبداني[(٢)]، حيث يأتي نهر بردى ويجري شرقاً ويروي قسماً مهماً من أراضي الشام التي لولاه لأصبحت جرداء وبضمنها غوطة دمشق التي اصبحت جنانها بفضله فياحة ولهذا سميت بدمشق الفيحاء[(٣)]. والى الجنوب من جبل الشيخ وغوطة دمشق تظهر الاثار البركانية واضحة وتختلف مظاهرها فتكون مخروطات بركانية عالية كجبل العرب (الدروز) والذي ترتفع اعلى قممه وهي رأس القليب الى ١٣٠٠م او تلالاً بركانية صغيرة كالصفا او اللجاة، أو تمتد على شكل هضاب وسهول كما هو الحال في الجولان وحوران[(٤)]. وتمتد هذه البقعة البركانية الى الجنوب الشرقي وتتصل عن طريق بادية الحماد بالمناطق البركانية في الحجاز وهي المعروفة بالحَرّات (جمع حَرّة)[(٥)].

٥. **الصحراء السورية (البادية):**

تمتد هذه المنطقة بين وادي الفرات والمنخفض السوري الكبير ومعظمها أرض سهلية تأخذ في الأرتفاع التدريجي نحو الشمال، بينما لا يزيد ارتنفاع الهضبة عند الجوف على ٦٠٠م فوق سطح البحر نجد ارتفاعها يصل الى ٩٠٠م بين الرطبة ودمشق ثم تأخذ بالانحدار البطئ في شمال تدمر نحو حوض الفرات[(٦)] وتنتهي بادية الشام في الشمال الغربي الى منطقة من السهول هي سهول حلب وحماة وحمص[(٧)]، وتتصل من الجهة الشمالية الشرقية بنجاد حوران وشرق الاردن من ناحية ومناطق السهوب والحرات من ناحية اخرى[(٨)]، وتفصل هذه الصحراء بلاد الشام عن العراق ويعرف القسم المحاذي للعراق باسم بادية الجزيرة، والقسم الجنوبي من هذه البادية يعرف باسم بادية العراق (السماوة)[(٩)]، حيث تمتد الجزيرة ما بين نهري دجلة والفرات الذي يتراوح ارتفاعهما ما بين ١٥٠–٣٠٠م بالنسبة الى مستوى سطح البحر ويكون الحد الجنوبي لهذه

---

(١) الجوهري، يسري، جغرافية البحر المتوسط، ص٢١٦.

(٢) الصياد، محمد محمود، معالم جغرافية الوطن العربي، ص ١٢٢.

(٣) باقر، طه، مقدمة، ج٢، ص٢٢٠.

(٤) السماك، محمد ازهر وهاشم، خضير الجنابي، جغرافية الوطن العربي، ص ٥٩.

(٥) عبد السلام، عادل، المؤتمر الخامس عشر للاثار والتراث الحضاري في الوطن العربي، ص ٥٨٣.

(٦) السماك، محمد ازهر وهاشم، خضير الجنابي، جغرافية الوطن العربي، ص ٣٩.

(٧) الصياد، محمد محمود، معالم جغرافية الوطن العربي، ص ١٢٣.

(٨) ابراهيم، نجيب ميخائيل، مصر والشرق الادنى القديم، ص١٨.

(٩) باقر، طه، مقدمة، ج٢، ص٢٢١.

البادية هو الخط الوهمي الذي يمتد ما بين هيت على الفرات وسامراء على دجلة، حيث بداية السهل الرسوبي للعراق وعند هذا الخط تبدأ الأرض بالارتفاع كلما اتجهنا نحو الشمال(١).

يعرف القسم الجنوبي الغربي من بادية الشام باسم الحماد وهو مكون من رمال واحجاز ويكثر فيه العشب والكلأ في فصل الربيع(٢)، وعموما فان هذه البادية (الشامية–العراقية) يؤلف شكلها مثلثاً تستند قاعدته في خليج العقبة من جهة الغرب وعلى خليج الكويت من جهة الشرق ويمتد رأسه الى حلب في الشمال واكبر عرض له يبلغ حوالي ٨٠٠ ميل(٣). وتغطي المراعي جزءاً كبيراً من هذه البادية ولهذا اصبحت ملائمة للرعاة الرحل الذين كانوا يتجولون فيها بقوافل تتخذ طريقها من حلب ودمشق والبتراء الى العراق والخليج العربي طلباً للعشب والكلأ وللتبادل التجاري(٤)ونتيجة لذلك فان للبادية أهمية جغرافية كبيرة في ربط العراق وسوريا من خلال طبيعتها الجغرافية الملائمة والتي كانت عاملاً مباشراً للتداخل السكاني بين اقوام المنطقة خصوصاً عبر الوديان التي يكثر فيها وبالذات في المنطقة الواقعة بين الحدود السورية من جهة وبين وادي الخر في العراق من جهة اخرى. وقد شكلت هذه الوديان اهم مسالك الاتصال لوجود المراعي فيها وبعض المياه السطحية والجوفية(٥). وكانت موطناً للبدو الذين شكلوا أهم مصدر لهجرات الاقوام القديمة التي دخلت العراف القديم وكونت سلالاته وممالكه(٦).

ونتيجة لتنوع الطبيعة الجغرافية لبلاد الشام فقد تنوع مناخها تبعاً لذلك. ويمتاز مناخ سوريا عموماً بغزارة الأمطار التي تسقط ما بين شهري تشرين اول وشباط حيث يبلغ اقصاها على سلاسل الجبال المختلفة بينما تنعدم الامطار تقريبا في الصحراء السورية. ثم يعقب فصل الامطار جفاف طيلة أيام السنة. وصفة المناخ هذه تتميز بها اقاليم البحر المتوسط حيث نكون صيفاً حارة رطبة في السهل الساحلي بينما تتميز المناطق الجبلية بمناخ معتدل وتأخذ الحرارة في التصاعد بينما تقل الرطوبة كلما اتجهنا شرقاً حتى يصبح المناخ صحراويا في الصحراء السورية(٧).

---

(١) الراوي، عبد الجبار، البادية، ط١،(بغداد، ١٩٤٧)، ص ٢.

(٢) باقر، طه، مقدمة، ج٢، ص٢٢١.

(٣) ابراهيم، نجيب ميخائيل، مصر والشرق الادنى القديم، ص١٨.

(٤) المصدر نفسه..

(5) Grant, C., The Syrian Desert: Caravans, Travel and Exploeation., (London, 1937), P. 103 ff.

(٦) باقر، طه، مقدمة، ج٢، ص٢٢١.

(٧) الجوهري، يسري، جغرافية البحر المتوسط، ص٢١٦.

اثر الموقع الجغرافي في تاريخ البلاد:-

ان اول ما يلفت نظر المؤرخين والجغرافيين هو ذلك الموقع السوقي[١] المهم لسوريا ما بين القارات التاريخية الثلاث (اسيا وافريقيا واوربة) ولهذا كانت بمثابة جسر بين المراكز الحضارية وبصفة خاصة بلاد الرافدين ومصر وكذلك بلاد الاناضول وايضاً جزر قبرص وكريت[٢]. ولهذا فقد تأثر تاريخها وبشكل كبير بالقوى السياسية التي كانت تتسيد تلك المراكز الحضارية مما خلق صعوبة في دراسة تأريخ سوريا القديم بسبب تداخل صلاتها السياسية والحضارية مع تلك البلدان[٣].

ويمكن القول ان سوريا بموقعها الجغرافي اصبحت (جسراً للامم)، لكن هذا (الجسر) لم تكن مهمته الربط والايصال بين الاقوام التي عبرت من خلاله محملة بمفردات حضاراتها بل انها أخذت وتفاعلت مع تلك المفردات الحضارية العديدة[٤]. ولهذا اصبحت سوريا بودقة للتاثيرات الحضارية التي جاءتها من هاتين الحضارتين العظيمتين (العراقية من الشرق والمصرية في الجنوب) واصبح لها دور في تاريخ الحضارة الانسانية فيما بعد من خلال ذلك التفاعل مع تينيك الحضارتين[٥].

ان سوريا كانت ميدانيا للتجارة[٦] والحروب والهجرات، فاستقرت فيها اقوام عديدة. ولم يكن للمنطقة من خيار سوى استيعاب تلك الهجرات التي كان لها دور في مسيرتها التأريخية الطويلة[٧] بعد ان انشأت ممالك مستقلة لم تتحد فيما بينها الا عند شعورها بالخطر الخارجي عليها ولهذا لم تنشأ في سوريا امبراطوريات كما حصل في العراق ومصر بل كان الطابع المميز لها هو الاستقلال عن بعضها[٨]، كما فعلت جغرافيتها الطبيعية فعلتها في جعل تلك الممالك

---

(١) يعرف السوق عموماً: انه فن وعلم استخدام القوة الوطنية في كافة الظروف اثناء السلم والحرب لبلوغ الاهداف القومية. انظر:

امين، محمد فتحي، قاموس المصطلحات العسكرية، (بغداد، ١٩٨٢)، ص ٢٨١.

(٢) الناضوري، رشيد، التطور التاريخي للفكر الديني، (بيروت، ١٩٦٩)، ص ١٢٨.

(٣) كلينغل، هورست، تاريخ سورية السياسي ٣٠٠٠-٣٠٠ ق. م، ترجمة سيف الدين دياب، (دمشق، ١٩٩٨)، ص ١٦.

(٤) الجر، خليل، مباحث في المدنية الاولى، (بيروت، ١٩٥٦)، ص ٢٣

(٥) علام، نعمت اسماعيل، فنون الشرق الاوسط والعالم القديم، (القاهرة، ١٩٧٥)، ص ١٥١.

(٦) حول دور سوريا في التجارة الدولية. انظر:

ساكز، هاري، عظمة بابل، ص ٣٢٠.

(٧) جونز، آ. مدن بلاد الشام، ترجمة فؤاد عباس، (عمان، ١٩٨٧)، ص ٩.

(٨) الرفاعي، انور، حضارة الوطن العربي الكبير في العصور القديمة، (دمشق، ١٩٧٢)، ص ٨٠.

تعيش خارج نطاق الوحدة فيما بينها اذ لم تنشأ فيها مملكة قوية توحد الأقليم تحت سلطانها[١]. ولذلك فقد واجهت بلاد الشام اخطاراً عبر عصورها التاريخية، فالبابليون والآشوريون والمصريون والحثيون والفرس والرومان والمغول والاتراك والصليبيون هاجموا البلاد واستولوا عليها كلها أو جزءاً منها[٢]. كما ان وجود المناطق الصحراوية في شرق الاقليم وجنوبه جعله مطمعاً دائماً للبدو وبذلك اصبحت البلاد الشامية الأرض التي انصهرت عليها البداوة مع الحضارة[٣]، حيث كانت حصتها من هجرات القبائل الجزرية[٤] اكثر من حصة أي منطقة اخرى في المنطقة التي هاجر اليها الجزريون وهذا ما جعل سوريا مصدراً مهماً للهجرات التي دخلت بلاد الرافدين فيما بعد بحيث اصبحت سورية جزءاً متمماً له[٥] ومتأثراً بحضارته ابتداءاً منذ منتصف الالف الرابع ق. م (كما دلت على ذلك تنقيبات البعثة الألمانية برئاسة الباحثة ((ايفاشترومنكر)) التي اجرت تنقيبات في المواقع الفراتية في سورية منذ عام ١٩٦٦) ومروراً بالعهود التأريخية اللاحقة[٦]. وفي عصر فجر السلالات يدعي لوكال زاكيزي بانه دخل بلاد الشام[٧]. وفي العصر الاكدي اصبحت المنطقة خاضعة بصورة رسمية للأمبراطورية الأكدية[٨].

وخلاصة القول ان تاريخ سوريا وحضارتها قد تأثر بالموقع الجغرافي وطبيعة تضاريسها، وكذلك اثر خلوها من مجاري مائية تشبه ما موجود في بيئة بلاد الرافدين في عدم قيام حضارة زراعية على طول البلاد كما هو الحال في العراق[٩]، لكن هذا الموقع الذي تتمتع به سوريا، انعكس على العراق في ناحيتين، الاولى ان موقع سوريا جعلها جزءاً متمماً لبلاد الرافدين من الناحية التجارية، وبالتالي فانها تتكامل معه اقتصادياً لأن العراق يعد المعبر الشرقي لها الى الاقاليم الشرقية وبالتحديد الى بلاد ايران، والناحية الاخرى ان موقع سوريا شكل مدخلاً ومنفذاً للعراق لدخول بعض الاقوام. التي كانت تسكن في مناطق بحر ايجة وهضبة الاناضول من جهة

---

(١) ابو المحاسن، عصفور، معالم تأريخ الشرق الادنى القديم، (القاهرة، ١٩٨١)، ص ١٠١.

(٢) حتي، فليب، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ج١، ص ٦٤.

(٣) ابو المحاسن، عصفور، معالم تأريخ الشرق الادنى القديم، ص١٠٢.

(٤) حول هذه الهجرات انظر الفصل الثاني ص ٢٨ وما بعدها.

(٥) ابراهيم، نجيب ميخائيل، مصر روالشرق الادنى القديم، ص ١٠٢.

(٦) أحمد، محمود عبد الحميد، وآخرون، اثار الوطن العربي القديم، ص ٢٢٩ وحول تلك التنقيبات انظر: شترومكر، ايفا، حبوبة الكبيرة مدنية عمرها خمسة الاف عام، ترجمة ماجد الموصلي، (دمشق، ١٩٨٤).

(٧) الأحمد، سامي سعيد وجمال، رشيد أحمد، تاريخ الشرق القديم، (بغداد، ١٩٨٨)، ص ٢١٧.

(٨) كونة، كورد، "سورية–بلاد الرافدين–اسيا الصغرى في الالف الثالث والثاني ق. م"، الاثار السورية، (فينا، ١٩٨٥)، ص ٣١٢.

(٩) ابراهيم، نجيب ميخائيل، مصر والشرق الأدنى القديم، ص ٢١.

ومن ناحية مصر والبتراء من جهة اخرى[1]. ولكن ينبغي علينا الاشارة هنا الى ان سوريا قد لعبت دوراً حضارياًمهماً من خلال مساهمتها في ايصال الخط الهجائي الى عالم البحر المتوسط وخاصة الجزر اليونانية، كما اتخذت الامبراطوريات الشرقية ومنها الأخمينية والبارثية من اللغة والكتابة الارامية وسيلة للتدوين حيث اصبحت لغة التخاطب قبل ان تكون لغة الديانة المسيحية والتي كانت بلاد الشام مهداً لها ومن قبلها الديانة اليهودية[2].

---

(١) شريف، ابراهيم، الموقع الجغرافي للعراق واثره في تاريخه العام حتى الفتح الاسلامي، ج١، بغداد، بدون سنة طبع، ص ٣٠٨.

(٢) الأحمد، سامي سعيد وجمال، رشيد أحمد، تاريخ الشرق القديم، ص٢٠٢.

المبحث الاول
الاقوام المشتركة في الاستيطان بين بلاد الرافدين وبلاد الشام

على الرغم من العثور على الكثير من الهياكل العظمية في مواقع عديدة من بلاد الشام الا انه لا توجد حقائق اكيدة عن سكانها قبل مجيء اولى الهجرات الجزرية اليها في الالف الثالث ق. م أي في عصور ما قبل التاريخ، لكن المرجح كثيراً انهم لم يكونوا من عرق بشري واحد ولا يستبعد ان يكون بينهم بعض السومريين والجزريين والحوريين وغيرهم من الاقوام المنحدرة من الجماعات التي استوطنت بلاد الشام منذ العصور الحجرية القديمة[١].

وهناك رأي يقول ان العرق البشري الذي ينتمي اليه سكان منطقة شمال سوريا وجنوبها (فلسطين) وغربها (لبنان) في العصر الحجري الحديث هو العرق الذي يعرف باسم عرق حوض البحر الابيض المتوسط استناداً الى ما وجد في تلك المناطق من بقايا عظمية في وادي النطوف وفي مغارة الوادي والتي أرجعها بعض من علماء الأنثروبولجي الى عرق البحر المتوسط[٢]، ولكن هذا الاعتقاد يبقى بحاجة الى المزيد من الادلة الاثارية والدراسات الانثروبولوجية لتدعيم صحته لأن من الواضح لدينا ان سكان سوريا هم مزيج من اصول متعددة كما اسلفنا مع تفوق واضح للأصل الجزري على الرغم من امتزاج هذا الاصل خلال العصور التاريخية باصول عرقية متعددة نتيجة الهجرات والصلات والحروب التي شهدتها سوريا بحكم. موقعها الجغرافي الذي تحدثنا عنه[٣].

---

(١) باقر، طه، مقدمة، ج٢، ص ٢٣٢.

(٢) حتي، فيليب، لبنان في التاريخ، ص ٧٣.

(٣) حتي، فيليب، سورية والسوريون من نافذة التاريخ، (نيويورك، ١٩٢٦)، ص ٧٣.

١. **السومريون:**

وجد المهتمون بدراسة الحضاره العراقية القديمة وكتاباتها المسمارية بان هناك لغة آخرى الـى جانـب اللغـة الاكديـة، واعتقـدوا فـي بدايـة الأمـر ان هـذه اللغـة هـي لغـة خاصـة بالكهنـة يستعملونها في طقوسهم الدينية[١]. وسرعان ما لاحظ العلماء المختصون باللغات القديمة ان هذه اللغة تختلف عن اللغة الأكدية ولهجتيها المتفرعتين منها وهي الاشورية والبابلية، ومن هنا برزت نظرية تفيد بان هذه اللغة المجهولة الهوية تعود الى احد الاقوام التي سكنت بلاد الرافدين، ومن الباحثين من ارجعها الى السيثيين وهي الاقوام التي كانت تستوطن المناطق الشمالية من البحر الاسود[٢]، ولكن وبعد جهود مضنية من قبل الباحثين وخاصة العالم (بوليس اوبرت) الذي كان له الفضل الاول في تحديد تسمية هذه اللغة واصحابها السومريين في حدود عام ١٨٦٩م، ولكنه قال في احد ابحاثه بان اللغة السومرية لها صلات قريبة مع التركية والفنلندية والهنغارية لأنها لغة ملصقة شانها في ذلك شان تلك اللغات[٣].

ان مـن بـين الاسـباب التـي تكمـن وراء صـعوبة التوصـل الـى معرفـة هويـة تلـك اللغـة وصـعوبة التعرف علـى علاماتها وقواعدها ان اللغـة السومرية ليست مـن اللغـات الجزريـة وهـي فضـلاً عـن ذلـك لغـة ليسـت لهـا مـا يشـابهها مـن اللغـات المنقرضـة او المتداولـة، ممـا حمـل المستشرقين على تقديم افتراضات عديدة حول الموطن الاصلي للسومريين ولغتهم[٤].

لقد كتب السومريون اسم المنطقة النتي سكنوها (سومر) كي–اين–جي ki-en-gi التي تعني حرفيا بلاد سيد احراش القصب، واطلق العهد القديم على تلك المنطقة اسم سهل شنعار[٥]، وربما يكون اسم سومر مأخوذ من اسم قديم لمدينة نفر التي عرفت بانها من اهم المدن السومرية المقدسة لوجود معبد الآله انليل فيها[٦]، ولربما المقصود بالأحراش هنا الألة السومري (انكي) أو

(١) الأحمد، سامي سعيد، السومريون وتراثهم الحضاري، (بغداد، ١٩٧٥)، ص ٤١.

(٢) علي، فاضل عبد الواحد، "السومريون والاكديون"، العراق في التاريخ، (بغداد، ١٩٨٣)، ص ٦٤.

(٣) كريمر، صموئيل نوح، السومريون، ترجمة فيصل الوائلي، (الكويت، ١٩٧٢)، ص ٢٧.

(٤) المصدر نفسه. وحول تلك الأفتراضات انظر:

علي، فاضل عبد الواحد، من الواح سومر الى التوراة، (بغداد، ١٩٨٩)، ص ٢٤ وما بعدها.

(٥) الأحمد، سامي سعيد، العراق القديم، ج١، (بغداد، ١٩٧٨)، ص ٢٢٦.

(٦) الأحمد، سامي سعيد، السومريون، ص ٤١. وحول الآلهة والديانة السومرية ومعابدها. انظر:

موسى، مريم عمران، الفكر الديني عند السومريون في ضوء المصادر المسمارية، اطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة بغداد، ١٩٩٦).

(ايا)[١]، فيما يذهب آخرون الى ان (كي-اين-جي) مقطع مركب يتألف من الكلمات بلد (كي) رب (ان) البردي (جي) ليصبح المعنى كاملاً بلد الأله انكي[٢].

لقد دلت عمليات التحري والتنقيب في السهل الرسوبي على ان موقع اريدو (٢٥ كم شمال شرق مدينة اور) يمثل اقدم استيطان في بلاد سومر والذي يرجع تأريخه الى حوالي (٥٠٠٠-٥٥٠٠ ق. م)[٣]، ولكن الدراسات الحديثة تؤكد على ان جنوب العراق قد سكنته اقوام نجد بعضاً من مفرداتهم اللغوية ومسميات بعض الاشياء تتداخل مع اللغة السومرية وقد سمى لاندزبركر تلك الاقوام باسم (الفراتيون الاوائل)[٤].

ومن خلال ما تقديم يمكننا القول انه قد حدثت هجرات الى السهل الرسوبي حملت اقواماً جديدة استقروا في بلاد سومر وتعايشوا مع سكانه الاوائل وعرفو باسم السومريين وعرفت لغتهم بـ (اللغة السومرية) وذلك نسبة الى بلاد سومر[٥]، ولكن يبقى اتصل هؤلاء السومريين مسألة معقدة بحيث تولدت لدى المعنيين بحضارة العراق القديم وتأريخه ما يسمى بـ (المشكلة السومرية).

ان من اهم الاراء الحديثة المعتمدة الآن عن اصل السومريين هو الرأي الذي يرى انهم من الاقوام التي سكنت في بلاد سومر بعد ان اصبح السهل الرسوبي صالحا للأستيطان منذ الألف الخامس ق. م وكانوا منحدرين من الاقوام المحلية في العراق القديم، وربما هم من سكنة قرى شمال العراق وشرقه ووسطه، كانوا قد وصلو بلاد سومر على شكل دفعات وربما انضمت اليهم اقوام اخرى نزحت من الاقسام الشمالية من الجزيرة العربية وايضاً من الجهة الشرقية أي ايران وربما اقوام اخرى، ومن ثم استطاع السومريون السيطرة على بلاد سومر وذلك لأنتسابهم الطبيعي للأرض، وربما لكثرة عددهم ايضاً فكونوا اول سلطة رسمية لبلاد سومر، ودليلنا على ذلك ان لغتهم كانت اول لغة مدونة في العراق القديم لأنها اللغة الرسمية للدولة[٦]. وهناك اعتقاد بان لغتهم تعود الى مجموعة لغوية كبيرة غطت كل منطقة غربي آسيا وربما امتدت ابعد من ذلك، واستناداً على هذا يمكن ان يكون السومريون هم فرع لشعب استوطن الجزء الاكبر من

---

(١) باقر، طه، مقدمة، ج١، ص ٦٠.

(٢) رو، جورج، العراق القديم، ص ٥٨٥.

(٣) باقر، طه، مقدمة، ج١ ص ٢٢٥.

(٤) كريمر، صموئيل نوح، السومريون، ص ٥٤.

(٥) الحاج يونس، ريا محسن، فجر الحضارة السومرية في ضوء اختام عصري الوركاء وجمدة نصر، اطروحة دكتوراه غير منشورة (جامعة بغداد، ١٩٩٨)، ص ٤٢.

(٦) المصدر نفسه، ص٥٠.

الشرق الأدنى في العصور الحجرية الحديثة والحجرية المعدنية، أي انهم قد تواجدوا في ارض العراق منذ تلك العصور السحيقة في القدم[١].

ان أهم اختراع توصل اليه العراقيون القدماء هو ابتكار الكتابة كان مقترناً بالسومريين اذ اكتشفت اقدم النصوص الكتابية في مدينة الوركاء في حدود عام ٣٥٠٠ ق.م وكانت عبارة عن نصوص اقتصادية مكتوبة بابسط انواع الكتابة وهي تسمى بالكتابة الصورية، ولهذا سمي النصف الثاني من عصر الوركاء وجمدة نصر وعصر فجر السلالات الأول بالعصر الشبيه بالكتابي[٢].

فضلاً عن ذلك كانت هناك مجموعة من الانجازات الفنية الكبيرة في مجال العمارة والفنون وصناعة الفخار التي شكلت بمجموعها مقومات حضارة سميت بالحضارة السومرية التي ولدت في جنوب العراق وشعت على اقطار الشرق الادنى واثرت تأثيراً عميقاً على الحضارات الشرقية بعد نضوجها في عصر فجر السلالات الذي مثل عصر السيادة السياسية والحضارة السومرية[٣].

لقد كان امتداد السومريين واضحاً بحضارتهم ومتوافقاً مع الامتداد الطبيعي لطبيعة الأرض ما بين بلاد الرافدين والبلاد السورية في الغرب، فنجد حضارة العصر الشبيه بالكتابي في مراكز الحضارة على الفرات والخابور وظهر لنا فخار العصر الشبيه بالكتابي في تل براك وجاغار بازار[٤] وتل حلف وفي كركيمش ووصل حتى اوغاريت (راس شمرا) ومواقع اخر عديدة[٥] لعل من ابرزها موقعي حبوبة وتل قناص الواقعين على نهر الفرات واللذان مثلا شاهداً واضحاً لأمتدادات الطرز الفنية والعمارية السومرية[٦].

ان هذا يدحض ما ذهب اليه الباحث جورج رو بقوله:

(ان الحضارة السومرية القديمة بقيت مقتصرة على النصف الجنوبي من العراق ولم تنتشر في كل ارجاءه وان امكن تعقب تأثيرات ضعيفة لها في ماري وفي منطقة الفرات الاوسط الشمالي)[٧]، في حين تشير الشواهد العمارية التي تمثلت في تل براك ومعبدة الذي سمي (معبد

---

(١) رو، جورج، العراق القديم، ص ١٢٣.

(٢) اسماعيل، بهيجة خليل، الكتابة، حضارة العراق، ج١، (بغداد، ١٩٨٥)، ص ٢٢١.

(٣) رو، جورج، العراق القديم، ص ١١٦.

(٤) حول التنقيبات في هذين الموقعين انظر:

Mallawan, M., Excavations at Brak and chagar Bazar, IRAQ, vol, 9, 1947, P.IFF.

انظر كذلك: مالوان، ماكس، مذكرات مالوان، ترجمة سمير الجلبي، (بغداد، ١٩٨٧)، ص ١٢٣ وما بعدها.

(٥) الحاج يونس، ريا محسن، فجر الحضارة السومرية، ص ٨١.

(٦) انظر الفصل الثالث ص ٨٣ وما بعدها.

(٧) رو، جورج، العراق القديم، ص ١١٧.

العين) والذي عثر عليه ماكس مالوان عام ١٩٣٨ اذ تبين من تخطيطه ونوعية اللبن المستعمل في بناءه وهو من النوع المسمى (ريمشن)، ثم زخرفته بالمخاريط الملونة واسلوب تشييده فوق بناء اقدم، كل ذلك يفصح بصورة جلية عن طريقة بناء المعابد السومرية[١].

اما في عصر فجر السلالات (٢٨٠٠-٢٣٧٠ ق.م) والذي حكمت فيه مدن انتشرت من جنوب العراق مروراً بمنطقة ديالى حتى ماري على اواسط الفرات فقد لعبت مدن كيش وماري وابيلا دوراً متميزاً في توضيح الامتدادات الحضارية ما بين بلاد الرافدين وبلاد الشام من خلال ما تم استظهاره ومن رقم طينية كتابية ومخططات عمارية للمعابد، وكذلك في بعض انواع الفخاريات والمنحوتات التي تم الكشف عنها في مواقع سورية عديدة توضح ان الحضارة السومرية كان لها حضور في المراكز الحضارية التي تعود لهذا العصر، خصوصاً في ماري[٢] وتل خويرة [٣] حيث كانت طرز منحوتاتها البشرية التي اكتشفت في معابدها من نفس مدرسة النحت المجسم التي عرفتها منحوتات معابد تل خفاجي وتل أسمر في منطقة ديالى[٤].

ولا بد لنا من القول هنا انه لا يوجد دليل على ان الحضارة السومرية قد مدت تأثيراتها عن طريق الفتوحات العسكرية، بل عن طريق الكتاب والفنانيين والتجار الذين كان لهم حضور في تلك المناطق التي تعاملوا معها ونقلوا من خلال ذلك التعامل كل ما يحملونه من فكر وفن بالتالي اصبحت حضارتهم هي الطابع المميز لها[٥]، ومن هنا حتم علينا هذا الامتداد للحضارة السومرية التحدث عن السومريين كواحدة من الجماعات التي كانت لها دور مميز في حضارة بلاد الشام القديمة.

٢. **الاكديون:**

ينتهي عصر فجر السلالات (٢٨٠٠-٢٣٧٠ ق. م) في العراق وهو عصر السيادة السومرية بانتصار سرجون (٢٣٣٤-٢٢٧٩ او ٢٣٧١-٢٣١٦ ق.م) على آخر ملوك العصر

---

(1) Mallawan, M., IRAQ,vol 9, 1947, P31.

(٢) بارو، اندري، سومر فنونها وحضارتها، ترجمة عيسى سلمان وسليم التكريتي، (بغداد، ١٩٧٩)، ص ١٥١ وما بعدها.

(٣) يقع تل خويرة في منتصف المسافة بين بلدتي رأس العين وتل ابيض في محافظة الرقة. وحول التنقيبات في هذا التل انظر:

الحوليات السورية، (م٤،١٩٥٤)، (م ٢، ١٩٥٥)، (م٢٧ ٢٨٠، ١٩٧٧، ١٩٧٨)

(٤) ابو عساف، علي، اثار الممالك القديمة، ص ٢٢١.

(٥) مرعي، عيد وفيصل، عبد الله، تاريخ الوطن العربي القديم، ط٢، (دمشق، ١٩٩٩)، ص ١٨٤.

لوكال زاكيزي (٢٣٤٠-٢٣١٦ ق.م) وكان ذلك ايذانا ببداية عصر جديد في البلاد وهو العصر الأكدي (٢٣٧٠-٢١٦٠ او ٢٣٣٤-٢١٥٤ ق.م)(١).

لقد طرحت عدة آراء حول اصل الأكديين وعلى الرغم من ان اغلب الباحثين يتفقون على انهم من الجماعات الجزرية التي كان موطنها الأصلي في شبه الجزيرة العربية، الا انهم اختلفوا في تحديد موطنهم الأصلي ضمن الجزيرة نفسها، فمنهم من حدده بمنطقة البحرين، في حين ذكر آخرون انهم من جنوب الجزيرة العربية وبالتحديد من بلاد اليمن(٢)، وهناك من يعتقد انهم كانوا يسكنون في المنطقة الكائنة غرب الفرات والتي تسمى بارض الاموريين(٣).

يرجح دخول تلك الاقوام الجزرية الى بلاد الرافدين من شمال غربي شبه الجزيرة العربية او المنطقة المعروفة بالجزيرة الفراتية في شمال غربي نهر دجلة في العراق وشرق وشمال شرقي سوريا وجنوب تركية، فقد اظهرت التنقيبات والتحريات الآثارية التي اجريت في منطقة الجزيرة الفراتية عن وجود مستوطنات تعود الى بداية العصر الاكدي (وهو الزمن المقارب لنزوح أول جماعة معروفة من الجزريين)(٤)، اذا اكتشفت في تل جدلة(٥) جدران لابنية مع فخاريات ذات لون اسود وبني، وكذلك عثر على اثار تعود الى نفس المرحلة الزمنية في مناطق متعددة من منطقة الخابور ومنها ما يقع على الضفة الغربية من نهر التركمان احد روافد الباليخ ومنا موقع تل اسود(٦) فكانت هذه المنطقة رافداً مهماً لدخول تلك الاقوام الى بلاد الرافدين بعد هجرتهم من موطنهم الأصلي في الجزيرة العربية اذ انهم تجمعوا في اماكن متعددة من الهلال الخصيب وكانت أولى مستوطناتهم في بلاد الشام وانتقلوا منها فيما بعد الى الاجزاء الشمالية الغربية من وادي الرافدين بمحاذاة نهر الفرات(٧)، وربما كان ذلك منذ الالف الرابع قبل الميلاد(٨). وقد شكلت

---

(١) سليمان، توفيق، دراسات في حضارات غرب اسيا القديمة، ط١، (دمشق، ١٩٨٥)، ص ٣٥٢-٣٥٣.
ومن الجدير بالذكر ان احد عشر ملكاً حكم في السلالة الأكدية وقد اختلف في تواريخ حكمهم في المصادر الرئيسة لدراسة تاريخ العراق القديم. حول اسماء ملوك هذه السلالة وتواريخ حكمهم انظر:
باقر، طه، مقدمة، ج١، ص ٣٦١.

(2) Hitti, P. History of the Arabs. Sixth edition, (London, 1958) P. 3F.

(٣) جواد، علي، المفصل في تاريخ العرب القديم، ج١ ، ط١، (بيروت، ١٩٦٨)، ص ٢٢٣.

(٤) الأحمد، سامي سعيد، تاريخ العراق القديم، ج ٢، (بغداد، ١٩٨٣)، ص ٦-٧.

(٥) يقع تل جدلة على بعد حوالي ٣ كم جنوب موقع عين العروس على الضفة الغربية لنهر الباليخ وقد نقب من قبل مالوان. انظر: مالوان، ماكس، مذكرات مالوان، ص ١٧١.

(6) Mallawan, M., “Excavations in the Balikh valley”, IRAQ, vol 8, 1946, P. 111f.

(٧) محمد، رغد عبد القادر، العصر الأكدي معطياته الحضارية والفنية، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة بغداد، ١٩٩٦)، ص ٥-٦.

(٨) علي، فاضل عبد الواحد، من الواح سومر الى التوراة، ص ٥٩.

هذه المنطقة أهمية كبيرة وذلك لمرور طرق التجارة عبرها ومنها الخط الذي يربط مدينتي اورفا وحران (في تركيا الان) ببلاد اشور، وكذلك الطريق الذي كان يربط مدينة اشور باقاليم الخابور عن طريق (رزاما شابوراما) والتي ربما تقع على الثرثار والمدينة المجاورة لها سادواتم ومدن اخرى عديدة مثل كرانا (تل الرماح)(١).

ان من اهم اسباب هجرة تلك القبائل الجزرية من موطنها الأصلي الى صحراء سوريا واعالي الفرات ومن ثم دخولها الى بلاد الرافدين، هو طلبا لموارد العيش بعد ان حلت فترة جفاف نسبي ادت الى قلة الموارد الزراعية في الجزيرة، وكذلك زيادة عدد السكان وقلة الامطار الامر الذي اثر على الناتج الزراعي وقلة الحيوانات في منطقة الجزيرة، وادى ذلك الى ضعف نظام الحكم وعدم استقراره، اضافة الى التاثر بالنزعات القبلية(٢)، كذلك تحول الطرق التجارية الى غير أماكنها الاولى في الجزيرة، مما أدى الى فقدان المحطات التجارية لأهميتها مما حدا باهلها الى هجرتها والبحث عن مناطق اخر تتوفر فيها ظروف حياة افضل، لذا نراهم قد اتجهوا نحو منطقة الهلال الخصيب في بلاد الشام وبلاد الرافدين واستقروا أخيراً في غربي الفرات واتخذوا من كيش وماري مراكز ستراتيجية لهم(٣). وفي الحقيقة انهم كانوا ضمن مجموعة من الهجرات التي نزحت بالتتابع من الجزيرة الى المناطق التي تتوفر فيها الأراضي الخصبة والمياه والاكثر حضارة في بلاد الشام والرافدين ومنهم الكنعانيين (الفينيقيين) الذين استقروا في بلاد الشام، والاموريين الذين انقسموا باستقرارهم في بلاد الشام والرافدين في الالفين الثالث والثاني ق.م، ثم جاء الاراميون في الالف الثاني ق.م وانتشروا بمستوطناتهم في سوريا وفلسطين وبعض مناطق بلاد الرافدين، ومن بعدهم النبطيون في حدود عام ١٢٠٠ ق. م، ثم جاء العرب المسلمون في حوالي القرن السابع الميلادي(٤).

بعد سكن الاكديون في الاقسام الوسطى من بلاد الرافدين امتهنوا الزراعة وشتى صنوف الحرف ومارسوا المعتقدات والطقوس الدينية التي مارسها السومريون(٥)، ولكنهم ادخلوا تطورات

---

(1) Oatse, D., Studies In The Ancient History of Northern Iraq, (London, 1968), p. 35-36.

تعتبر منطقة شمال سورية من المناطق المهمة بالنسبة للعراق القديم لأنها تقع على طرق التجارة مع اسيا الصغرى وحتى بالنسبة لسوريا اذا كان تجار حلب يجلبون بضائعهم الى مدينة سبار والمدن البابلية والاشورية الاخرى في حين كانت بلاد ماري من مراكز التجارة التي ينتشر فيها التجار انظر:

Leemans, W. F. “The Importance of teade” IRAQ, part I, 1977, p. 5f.

(٢) محمد، رغد عبد القادر، العصر الأكدي معطياته الحضارية والفنية، ص ٨.

(٣) المصدر نفسه.

(4) Hitti, P., History of the Arabs, P. 3f

(٥) علي، فاضل عبد الواحد، "الأكديون: ودورهم في المنطقة"، مجلة كلية الاداب، جامعة بغداد، العدد ٢٤، ١٩٧٩، ص ١٩٠.

مهمة على ديانة وادي الرافدين ومنها ادخالهم عبادة آلهة جزرية جديدة مع الالهة السومرية مثل الأله (داجان)[١]، و (ايا) ونجحوا كثيرا في التوفيق الكبير بين ألهتهم القومية والألهة السومرية، وكان من نتائج هذا ان تغيرت صفات الآلهة نفسها فيما بعد، فمثلاً الآلهة (انانا) السومرية والتي هي رمز الانوثة والحب والجمال اصبحت رجولية في صفاتها وصارت ترمز الى الحرب في شخصية (عشتار) الجزرية[٢]، فضلاً عن ذلك فانهم ادخلوا روحية جديدة في فن النحت واصبح اكثر حركة وخيالاً محل الجمود الذي كان يطبع المنحوتات السومرية لأرتباطها الوثيق بديانتهم وطقوسهم، ولذلك كانت اكثرها مشاهد تعبدية يغلب عليها طابع الخشوع، ويمكن القول ان فن النحت الأكدي جاء متوافقاً مع روح وعظمة امبراطوريتهم الجديدة[٣]،

تمتع الأكديون بخبرة جيدة في التجارة وهذا ما جعلهم من اعظم الاقوام التي عرفت هذه المهنة منذ القدم، لهذا فانهم انطلقوا بفتوحات واسعة بعد سيطرتهم على الحكم في بلاد الرافدين وخصوصاً الى الجهات الغربية والشمالية للحصول على المواد الأولية التي كان يحتاجونها في البناء[٤]، فاستولى سرجون على توتول (هيت الحالية) وماري ويارموتي (بالقرب من جبيل) وايبلا (تل مرديخ الحالي جنوب حلب) وبلغ غابات الارز (جبال امانوس) والجبال الفضية (جبال طوروس) ولعل ذكر الارز والفضة يكشف لنا بوضوح عن غنى تلك المنطقتين بهما ويبين لنا دوافع تلك الحملات لهما[٥]، لهذا فقد امتدت حدود الامبراطورية الأكدية لتصبح داخل مناطق بعيدة من الاراضي السورية اذ التقى النفوذ المصري في أواخر ما يسمى بالدولة القديمة أو عصر الأهرام بالنفوذ الأكدي في مدن الساحل الفينيقية مثل جبيل وصور وصيدا ولكن لم يحدث صدام مسلح بين الدولتين في هذا العصر[٦]. وبسبب تشابه الظروف البيئية لبلاد الرافدين مع

---

(١) عرف هذا الأله ايضاً عند الكنعانيين والاموريين وعبد في ماري ومنطقة الفرات الاوسط، كما عرفته فيما بعد بلاد أشور وهو من الالهة التي لها علاقة بالخصب والطعام. انظر:

بوتيرو، جين، بلاد الرافدين الكتابة، العقل، الآلهة، ترجمة الأب البير ابونا، (بغداد، ١٩٩٠)، ص ٣٦٧.

(٢) بوترو، جين، "الامبروطورية السامية الاولى"، الشرق الادنى الحضارات المبكرة، ترجمة عامر سليمان، (الموصل، ١٩٨٦)، ص ١١٩-١٢٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٢١.

(٤) بوستغيت، نيكولاس، حضارة العراق واثاره، ترجمة سمير عبد الرحيم الجلبي، (بغداد، ١٩٩١)، ص ٧٧.

(٥) اوتس، جون، بابل تأريخ مصور، ترجمة سمير عبد الرحيم الحلبي، (بغداد، ١٩٩٠)، ص ٥٠.

(٦) باقر، طه، مقدمة، ج١، ص ٣٥٩.

بلاد الشام فان سرجون قد جلب معه اثناء عودته من بلاد الشام بعض النباتات التي لم تكن معروفة في وادي الرافدين قبل هذا التاريخ مثل الكروم وبعض اشجار التين ونباتات الزينة[١].

وهناك عمل ادبي دون في حدود عام ١٨٠٠ ق. م وبعرف باسم (شار تمخاري) اي ملك المعركة يذكر قيام سرجون بحملات عسكرية وصل فيها حتى بلاد الاناضول، ويبدو ان العمل قد كتب من وحي حملات سرجون الحقيقية الى تلك المناطق وبالتحديد الى اقليم بورشخندا ولكن لم يكن ذلك بصورة الاحتلال الدائم لها[٢]، كما يدل الاثبات الجغرافي الاشوري والدلائل الاثارية الى ان سرجون قد وصل الى كفتارا التي هي بلا شك جزيرة كريت الواردة في التوراة بصيغى كفتور، ولعل ما يؤيد هذه الحقيقة ما عثر عليه من اختام اسطوانية تعود الى العصر الأكدي في جزيرة قبرص. كما يذكر ذلك الأثبات الى جانب كفتارا موضعاً جغرافياً باسم (بلد القصدير) أو الرصاص (انكو بالبابلية)[٣].

بعد ضم سرجون لبلاد اشور وجه نشاطه العسكري الى المناطق الشرقية والشمالية الشرقية اي بلاد عيلام–العدو التقليدي لبلاد الرافدين–، كما شمل بتحركاته العسكرية قبائل اللولوبو التي كانت تسكن في المناطق الجبلية[٤] فضلاً عن ضمه مناطق الخليج العربي حيث ضمن بذلك منفذاً مهماً من منافذ التجارة الخارجية البحرية[٥]. وبذلك اصبحت الامبراطورية الاكدية تمتد من بلاد عيلام شرقا الى سواحل البحر المتوسط غربا ومن بلاد الاناضول شمالاً حتى البحر الاسفل (الخليج العربي) جنوباً.

لقد هَدِفَ سرجون من تحقيق تلك الأمبراطورية وذلك لأن المناطق التي ضمتها كانت غنية بالمواد الاولية التي تحتاجها بلاد الرافدين لهذا فقد كانت الأمبراطورية الأكدية امبراطورية تجارية وهي بذلك تكون الاولى في العالم القديم تحمل مثل هذا المفهوم[٦]، كما ان تلك الفتوحات الأكدية اعطت حماية طبيعية للعراق وصانت خطوط مواصلاته التجارية في تلك المناطق[٧]، كذلك فقد غيرت الفتوحات الأكدية الكثير من اوجه التطور الحضاري في بلاد الرافدين وطبعت البلاد بطابع متميز وواضح بتأثيراته التي امتدت الى مناطق عديدة من الشرق الادنى القديم

---

(١) الدليمي، محمد صبحي، العراق وبلاد الشام الصلات الحضارية والسياسية منذ عصور ما قبل التأريخ حتى نهاية العصر البابلي القديم، اطروحة دكتوراه غير منشورة، (الجامعة المستنصرية، ١٩٩٠)، ص٢٣٢.

(٢) ساكز، هاري، عظمة بابل، ص ٦٩.

(٣) باقر، طه، مقدمة، ج١، ص ٣٦٦.

(٤) مرعي، عيد، تاريخ بلاد الرافدين، (دمشق، ١٩٩١)، ص ٤٧.

(٥) باقر، طه، مقدمة، ج١، ص ٣٦٥.

(٦) هودجز، هنري، التقنية في العالم القديم، ترجمة رندة قاقيش، (بيروت، ١٩٩٥)، ص ١٥١، ١٥٢.

(٧) الاحمد، سامي سعيد، العراق القديم، ج٢، ص٢٧.

وساهمت في احداث تغيرات حضارية فيها(١). خصوصاً في بلاد الشام حيث قامت بينها وبين بلاد الرافدين صلات انسانية وعلاقات اجتماعية وبشرية واقتصادية(٢).

لقد كان للأكديين الفضل في توحيد اساليب الحضارة والحياة في الشطر الاسيوي من الشرق الادنى القديم (بلاد الرافدين والشام)، فلو تتبعنا الطرق التجارية الرئيسة من سوريا الى التقاء الخابور بالفرات ثم الى اشور في اعالي دجلة او اتجهنا الى ماري ونزلنا مع الفرات الى القسم الجنوبي من العراق(٣) نجد في اي مدينة تمر بها ان مظاهر الحضارة الاساسية واحدة في الفن والعمارة والكتابة حيث اصبحت اللغة الأكدية هي لغة الدبلوماسية التي تكتب بها المعاملات التجارية والمخاطبات الرسمية(٤) ووجدت مجاميع كثيرة من النصوص الأكدية في المواقع السورية المختلفة ولعل من اهمها ما وجد في مدينة اوغاريت (رأس شمرا) ولهذه المدينة أهمية خاصة لكونها مركزاً للعلاقات الدولية التي تربط ما بين الممالك الكبرى انذاك لوقوعها على البحر المتوسط، فهي تربط مصر مع بلاد الشام ومناطق الفرات اي كركميش وايمار وماري نزولاً الى بلاد الرافدين، كذلك فانها تربط الدويلات السورية التي كانت في قادش وامور وبدويلات الشاطيء الفينيقي (جبيل وبيروت وصيدا وصور)، لهذا فقد لعبت هذه المدينة دوراً مهماً في انتشار اللغة والكتابة الأكدية(٥).

لقد اصبح من المؤكد ان تلك الكتابة قد استعارتها ايبلا من منطقة كيش وتاثرت تأثيراً شديداً باسلوبها وأصول المراسلات الرسمية الذي كان معروفاً في بلاد اكد حيث كانت ايبلا تقدم هدايا الولاء للأكديين ما بين عامي ٢٣٠٠-٢٢٥٠ ق. م، ومعنى هذا انها خضعت للدولة

---

(١) بوترو، جين، الشرق الادنى الحضارات المبكرة، ص ١٢١.

(٢) الدليمي، محمد صبحي، العراق وبلاد الشام الصلات الحضارية والسياسية، ص٢١٠.

(٣) مارغورون، جان كلود، "سورية من عصر البرنز الى وصول الأغريق"، معرض الاثار السوري الاوربي، (دمشق، ١٩٩٦)، ص ٦٢.

حول دور نهر الفرات في ربط بلاد الرافدين مع بلاد الشام تجاريا وحضاريا انظر:-

فينيه، اندريه،"الفرات طريق تجاري لمنطقة ما بين النهرين"، تعريب محمود حريتاني، الحوليات السورية، م ١٩، ١٩٦٩، ص ١٤٣ وما بعدها.

الهاشمي، رضا جواد،" دور نهر الفرات في الامتدادات الحضارية لبلاد وادي الرافدين"، بين النهرين، العدد ٤٤، (الموصل، ١٩٨٣)، ص ٢٨٥ وما بعدها.

(٤) باقر، طه، "علاقات العراق القديم وبلدان الشرق الادنى"، سومر، م ٤، ج١، ١٩٤٨، ص ١٣.

(٥) يون، م، رأس الشمرة "اوغاريت"، معرض الاثار السوري الاوربي، (دمشق، ١٩٩٦)، ص ١٠٢.

اشتهرت هذه المدينة بتربية الخيول والتجارة بها وشكلت هذه التجارة أحد مواردها المهمة وقد أوضحت بعض الرسائل المكتوبة باللغة الأكدية والتي تم العثور عليها أثناء التنقيبات فيها على أن هذه المدينة كانت تصدر الخيول الى بعض مدن الفرات الاوسط ومنها مدينة ماري. أنظر:

الشواف قاسم، أخبار أوغاريتية وموسيقى من أوغاريت، ص٢٣

الأكدية رسمياً، ومن هنا جاء التأثير عليها مباشراً في مجال العمارة والفنون ايضاً[١] فنشاهد ان حصن المدينة ونماذج من منحوتاتها الفنية فضلا عن الحوض الكلسي الذي وجد في الزاوية الجنوبية للمعبد وكان مزيناً بزخارف ومناظر دينية تحمل في مجملها تأثيرات الفن الاكدي[٢] مثل ثياب الاشخاص والمواضيع الأدمية التي تصور البطل العاري ذو اللحية والتي صففت باسلوب لا يختلف عن تصفيف لحى المنحوتات الأكدية[٣] وفي مجال العمارة فقد تم الكشف في ماري على احد القاعات التي تحتوي على صفين من الدعائم المبنية باللبن وتشير مدلولاتها الآثارية على انها كانت قاعة للعرش في العصر الأكدي[٤].

وفي تل خويرة بين الخابور والباليخ عند ملتقى الطرق التجارية التي تربط العراق ببلاد الشام نم الكشف عن جملة من اللقى الصغيرة المصنوعة من البرونز وبعض الفخاريات التي كانت على شكل اباريق كروية منتفخة البطن واعناقها صغيرة حيث ان ذلك من مميزات الفخار الآكدي[٥].

وما دمنا على نهر الخابور فلا بد من التطرق الى قصر نرام سن والذي بني اساساً ليكون قلعة عسكرية على الطريق المؤدي الى بلاد الاناضول وشمالي سوريا حيث يبلغ سمك جدرانه ١١م وله مدخل واحد مع برج دفاعي في كل جانب من جوانبه، ومما لا شك فيه فان هذا الشاهد المعماري يدل على السيطرة الأكدية على تلك المناطق[٦].

ومع هذا الأمتداد الأكدي فان الأكديين قدموا للأنسانية خدمة كبيرة من خلال انتشار لغتهم وما حملته تلك اللغة من تراث حضاري ثر في حقول المعارف والعلوم والآداب والفنون والمعتقدات الدينية مما كان له اثر كبير في تحضر الكثير من الشعوب المتاخمة لوادي الرافدين من خلال اقتباسها لعناصر تلك الحضارة الموغلة في جذورها العميقة[٧].

---

(١) ماتييه، باولو، وآخرون، مملكة ايبلا وعلاقاتها الدولية في الالف الثالث قبل الميلاد، ترجمة قاسم طوير، (روما، ١٩٨٣)، ص ١٨-١٩.

(٢) ماتييه، باولو، "حفريات بعثة جامعة روما في تل مرديخ عام ١٩٦٥"، ترجمة نادر العطار، الحوليات السورية، م ١٧، ج ١-٢، ١٩٦٧، ص ١٥١ وما بعدها.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٥٦.

(٤) مرغون، ك، ماري، المساهمة الفرنسية في دراسة الاثار السورية ١٩٦٩-١٩٨٩، (دمشق، ١٩٨٩)، ص ٤٤-٤٥.

(٥) مورتكارت، انطوان، "تل خويرة في شمال الجزيرة عام ١٩٥٨"، ترجمة كامل عباد، الحوليات السورية، م ١٠، ١٩٦٠، ص ٢٧٧.

(6) Mallawn, M.,Twenty – Five Years of mesopotamian Discovery, (London, 1956), P.P 32-43.

(٧) باقر، طه، مقدمة، ج١، ص ٣٦٠.

٣. **الأموريون:**

من المؤكد لدينا ان الاموريين هم اول الهجرات الجزرية الكبرى التي استوطنت بلاد الشام مع نهاية الالف الثالث وبداية الالف الثاني ق.م، ومن المرجح ان الكنعانيين جاءوا ايضاً الى بلاد الشام مع الاموريين في هجرة كبرى واحدة ولكن الاموريين هم الذين كونوا ممالك مهمة قبل الكنعانيين[١] في بلاد الشام وبلاد الرافدين، ولكن تلك الممالك ظلت مستقلة عن بعضها ولم تتحقق الوحدة فيما بينها[٢].

ان للمنطقة الجغرافية التي سكنتها القبائل الأمورية دور مهم في اكتسابهم للصفات الحضارية والثقافية التي عرفوها فيما بعد، حيث ان بعض من تلك القبائل قد سكنت في شمال سوريا وجاوروا المراكز الحضارية السومرية والأكدية فيما بعد مما جعلها تتأثر بمفردات الحضارة العراقية القديمة، في حين ان سكن قبائل اخرى الساحل اللبناني المتاخم لمصر جعلها تتأثر بمقومات الحضارة المصرية القديمة[٣] واطلق عليهم فيما بعد تسمية الكنعانيين او كما سماهم الاغريق بالفينيقيين ومن هنا يتضح ان هؤلاء يشتركون مع الاموريين بالأصل المشترك الواحد والدليل على ذلك ان لغتهم من أصل واحد وتنتمي الى الفرع الغربي من اللغات الجزرية[٤].

لقد زودتنا النصوص العراقية القديمة المكتشفة في تل فارة[٥] والتي ترجع بتاريخها الى الالف الثالث ق. م على أقدم دليل وثائقي على كلمة مارتو (MARTU) اي امورو[٦] وهي التسمية التي اطلقها العراقيون القدماء عليهم كاشارة الى جهة الغرب وبعد ذلك اصبحت هذه الكلمة تطلق على تلك القبائل الجزرية القادمة من هذه الجهة الى بلاد الرافدين، كذلك جاء ذكر هذه اللفظة في النصوص المكتشفة في ايبلا. وفي الالف الثاني ق. م اصبحت (أمورو) اسماً لمنطقة جغرافية تقع ما بين ساحل البحر المتوسط وسهل حمص[٧] حيث قامت في هذه المنطقة

---

(١) باقر، طه، مقدمة، ج ٢، ص ٢٣٢.

(٢) ابو عساف، علي، آثار الممالك القديمة، ص ٣٢١.

(٣) حتي، فيليب، لبنان في التاريخ، ص٨٢.

(٤) الأعظمي، محمد طه، حمورابي (١٧٩٢– ١٧٥٠ ق.م)، (بغداد، ١٩٩٠) ، ص٢١ .
حامدة، أحمد، مدخل الى اللغة الكنعانية الفينيقية، ص ١٧.

(٥) فاره موقع المدينة السومرية شروباك الواقعة الان على بعد ٦٤ كم جنوب شرق مدينة الديوانية عثر فيها على نصوص كتابية ترجع بتأريخها الى عصر فجر السلالات الثاني والثالث. انظر
دانيال، كلين، موسوعة علم الاثار، ج٢، ص ٤١٤.
باقر، طه، مقدمة...، ج١، ص ٢٧١.

(٦) اركي، الفونسو، "مارتو (الأموريون) في نصوص ايبلا"، اضواء جديدة على تأريخ وآثار بلاد الشام، (دمشق، ١٩٨٩)، ص ٧٧. AHw. P. 46.

(٧) كلينغل، هورست، تاريخ سورية السياسي، ص ١٧٥.

دويلـة أمـورو[١] فـي حـين سـمي البحـر المتوسـط باسـم (بحـر امـورو العظـيم)[٢] وكانـت بعـض المناطق التي سكنوها تتميز بصبغتها الحضارية السومرية حيث ابانت التنقيبات الآثارية وخاصة في مدينـة مـاري عن وجود حضـارة مزدهرة فيها والتـي كانت امتداداً لحضـارة وادي الرافدين من العهد الشبيه بالكتابي (٣٥٠٠-٢٨٠٠ ق. م) قبل مجيء الاموريين اليها وقبل ان يفتح سرجون الأكدي البلاد السورية ومن هنا انطلقت تأثيرات الحضارة الرافدية على بلاد الشام[٣] وهذا يدحض ادعاء احد الباحثين الذي يقول: (وقد ساهم السومريون في صنع حضارة بلاد النهرين ولم يسهموا في بناء حضـارة بـلاد الشام التي قامت علـى اكتاف الماريين والأبلويين والأكديين)[٤] ويبدو انـه نكر تـأثير مدينـة مـاري السومرية علـى تحضـر القبائل الامورية واعتبر ازدهار هذه المدينـة كان بفضل وجود المملكة الأمورية التـي تأسست فيها فـي الالف الثاني ق.م، وعلينا ان نقول ان هذه المدينة هي احد المدن التي قامت فيها سلالة حاكمة بعد الطوفان وكان لها فعل حضاري متميز فـي عصـر فجـر السـلالات (٢٨٠٠-٢٣٧١ ق.م) ومـن المعـروف ان هـذا العصـر كـان عصـر السيادة السياسية والحضارية للسومريين، في حين كانت القبائل الامورية في بداية استيطانها لبلاد الشام[٥].

لقد اكدت التنقيبات الأثارية الحديثة التي جرت في بعض مواقع الفرات الاوسط في سوريا على ان للحضـارة السومرية حضـور وتـأثير واضـح فـي تلك المواقع من خـلال مـا تم اكتشـافه من بقايا عمارية ولقى اثارية واوضحت تلك التنقيبات بان تلك المواقع السورية كانت متأثرة بحضـارة بـلاد الرافدين منذ العصـر الشـبيه بالكتـابي وقبـل دخـول الامـوريين الـى المنطقـة[٦]، اذ انـهم كـانوا

(١) ابو عساف، علي، اثار الممالك القديمة، ص ٣٢٠.

(٢) حتي، فيليب، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ص ٧٠.

(٣) الأحمد، سامي سعيد وجمال، رشيد أحمد، تاريخ الشرق القديم، ص ٢٠٤.

(٤) ابو عساف، علي، اثار الممالك القديمة، ص ٣١٩.

(٥) باقر، طه، مقدمة ... ، ج ١، ص ٢٨٥، ص ٣١٣.

باقر، طه، مقدمة ......، ج ٢، ص ٢٣٣.

ساكز، هاري، عظمة بابل، ص ٨٣.

(٦) حول تفاصيل تاريخ وحضارة مدينة ماري والتنقيبات التي جرت فيها أنظر:

Dally, S. Mari And Karana Two Old Babylonion Cities, (London, 1984).

كذلك انظر: بارو، اندري، سومر فنونها وحضارتها، ص ٣٠٩.

ولعل نتائج التنقيبات الآخيرة في مواقع حوض الفرات ونهر الخابور ومنها ماري وتل براك وحبوبـة كبيرة وتل قناص ابانت عن وجود معالم مدن مبكرة مع مجموعة من النصوص السومرية. اذا استمر التأثير السومري على مناطق شمالي سورية حتى منتصف الألف الثالثة ق. م.

قبائل غير متحضرة كما يتضح ذلك من قصيدة سومرية ويقارن الشاعر بين الحالة التي كان عليها الاموري وكيف اصبح متحضراً بعد السكن والاستقرار في بلاد الرافدين اذ يقول:

((بالنسـبة للأمـوري السـلاح هـو رفيقـه
فـلا يعـرف الخضـوع
وهـو يأكـل لحمـاً غيـر مطبـوخ
وفـي حياتـه كلهـا لا يملـك بيتـاً
وهـو لا يـدفن رفيقـه اذا مـات
[والآن] مـارتو يملـك بيتـاً
[والآن] مـارتو يملـك حبوبـاً))[1]

وفي احد نصوص الملك شوسن (٢٠٣٧-٢٠٢٩ ق.م) جاء وصفهم بانهم

((شعب مخرب يتسم بالعنف .. وشعب لا يعرف القمح))[2]

ومما لا مراء فيه ان تلك القبائل الآموريه غير المتحضرة كما وصفت وبعد ان تعلمت من المراكز الحضارية السومرية التحضر لقربها منها نجدهم يقضون نهائياً على النفوذ السياسي السومري في بلاد الرافدين حيث كانت نهاية سلالة اور الثالثة السومرية (٢١١٢-٢٠٠٤ ق. م) على ايديهم وبعدها أخذوا يؤسسون دويلات مهمة في بلاد الرافدين بحيث اصبح النصف الاول من الالف الثاني ق.م يتميز بسيادة تلك الدويلات الآمورية في العصر البابلي القديم (٢٠٠٤-١٥٩٥ ق. م)[3].

ان الموجات البشريه الامورية التي انحدرت الى بلاد الرافدين قد جاءت بالدرجة الأولى من البوادي الكائنة الى شمال غربي الفرات (بادية الشام وبادية العراق) ومن اعالي الفرات وشمالي ما بين النهرين، في حين خصت النصوص المسمارية ذكر موطنهم الذي احتك من خلاله سكان وادي الرافدين بهم بالمرتفعات المسماة جبل (بسار) ومنه نزحوا اليه حيث يذكر لنا الملك الأكدي (شاركالي-شري) (٢٢١٧-٢١٩٣ ق.م) انه غزاهم في تلك المرتفعات[4]، والتي

انظر: ابراهيم، معاوية، "العصور البرونزية في بلاد الشام"، المؤتمر الخامس عشر للآثار والتراث الحضاري في الوطن العربي،للآثار والتراث الحضاري في الوطن العربي، (دمشق، ٢٠٠٠)، ص ١٧٥.

شترومنكر، ايفا، حبوبة الكبيرة مدينة عمرها خمسة الاف عام.

احمد، محمود عبد الحميد، وآخرون، آثار الوطن العربي القديم، ص ٣١٢.

(١) حتي، فيليب، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ص ٧١.

(٢) اوتس، جون، بابل تأريخ مصور، ص ٨٢.

(3) Kuhrt, A.,The Ancient Near East 3000-330 B.C., P. 108 f.

(٤) ادزارد، اوتو، "العصر البابلي القديم"، الشرق الادنى الحضارات المبكرة، ص ١٧٦.

يمكن تحديدها ما بين تدمر ودير الزور حيث تمتد من شمال شرقي تدمر الى الفرات، وقد وردت تلك المرتفعات باسماء متعددة في اخبار حضارة وادي الرافدين مثل (بسلا) و(بسرى) أو (بسير) والمقصود بها جبل بشري[١].

كان دخول الاموريين الى بلاد الرافدين في البداية سلمياً وباعداد قليلة حيث ترد اسماء البعض منهم في نصوص سلالة أور الثالثة على انهم كانوا يملكون حقولاً او يمارسون وظائف معينة، غير ان هذا الدخول السلمي تزايد واصبح فيما بعد سبباً في انهاء دولة أور الثالثة في عهد أخر ملوكها ابي سين (٢٠٢٨-٢٠٠٤ ق. م) حيث مثل هذا الدخول الهجرة الأولى للأموريين الى بلاد الرافدين والتي نتج عنها تأسيس عدة سلالات من أهمها سلالتا ايسن ولارسا[٢]، وقد استوطنت القبائل الامورية ايضاً في منطقة عنه على الفرات ومنطقة اشنونا وياموت بعل (شرق دجلة باتجاه نهر ديالى)[٣]. ونلاحظ ان سكنهم الاول في بلاد الرافدين قد تركز في وادي الفرات، ويبدو ان من اهم اسباب ذلك ان هذا الوادي يتصل اتصالاً مباشراً بقبائلهم التي كانت في بلاد الشام وفي داخل الجزيرة العربية[٤].

بعد زهاء القرن الواحد عن الهجرة الأولى لهم انحدرت من جهات الفرات الأعلى والأوسط جماعات اخر من الاموريين الى وادي الرافدين حيث استطاع شيوخ قبائلهم ان يؤسسوا مشيخات أو سلالات حاكمة لعل من اشهرها سلالة بابل الأولى (١٨٩٤-١٥٩٥ ق.م) التي كانت أهم السلالات التي تاسست في العصر البابلي القديم[٥] والذي تميز بازدهار المعارف والعلوم[٦] وتشريع القوانين ومنها قانوني لبت عشتار واشنونا وشريعة حمورابي الشهيرة[٧].

ومن القبائل الأموريه المهمة قبيلة امنانوم التي ينتسب البها سن كاشد (١٨٦٠-١٨٣٣ ق.م). الذي اسس في الوركاء سلالة حاكمة واطلق على نفسه لقب ملك امنانوم، فيما اطلق على

---

(١) باقر، طه، مقدمة ... ، ج ١، ص ٤٠٨.

مرعي، عيد، تاريخ بلاد الرافدين، ص ٧٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٧٦.

(٣) الأحمد، سامي سعيد، العراق القديم، ج٢، (بغداد، ١٩٨٣)، ص ١٦٤.

(٤) شريف، ابراهيم، الموقع الجغرافي للعراق واثره في تاريخ العالم حتى الفتح الاسلامي، ج١، (بغداد، بدون سنة طبع)، ص ١٠٦.

(٥) الأحمد، سامي سعيد، العراق القديم، ج٢، ص ١٨٩.

(٦) باقر، طه، موجز في تاريخ العلوم والمعارف في الحضارات القديمة والحضارة العربية الاسلامية، (بغداد، ١٩٨٠)، ص ١٨ وما بعدها.

(٧) حول هذه القوانين انظر:

سليمان، عامر، القانون في العراق القديم، ط ٢، (بغداد، ١٩٨٧)، ص ١٩٩ وما بعدها.

رشيد، فوزي، الشرائع العراقية القديمة، ط ٣،(بغداد، ١٩٨٧)، ص ٥٣ وما بعدها

الوركاء احيانا اسم مدينة الأمنانيين مما يدل على سكن هذه القبيلة الآمورية في هذه المدينة، فيما كانت مدينة سبار مستوطنة لقبيلة ياخرورو حيث نجد اسمها يتردد في رسائل ماري ويظهر انها قد طغت على منطقة سبار بحيث اصبحت المدينة تدعى باسم سبار ياخروروم، ومن القبائل الآمورية الآخرى كان السوتيون والحانيون الذين سكنوا في منطقة واسعة تصل حتى الرمادي والفلوجة الحاليتين(١).

لقد اختار الآموريون مدينة بابل على نهر الفرات لتكون مركز عاصمة لهم وكان هذا الاختيار موفقاً ذلك لأنها تقع في القسم الاوسط من سهل العراق، كما انها تتمتع بموقع يتوسط اكثف مراكز العمران فيما كان يعرف من جهة باسم بلاد سومر وكان يعرف من جهة اخرى باسم بلاد اكد حيث كان هذا الموقع المتميز لهذه المدينة يمكن الحكومة المركزية من فرض سيطرتها على مناطق واسعة من سهل العراق(٢)، كذلك يلاحظ ان مدينة بابل كانت محمية حماية طبيعية في معظم جوانبها، فنهر الفرات يحميها من جهة الغرب، كما يحميها من جهة الشمال ومن جهة الشرق فروع وقنوات لهذا النهر وتتبع انحدار السطح في ارض اكد نحو الشرق ونحو الجنوب الشرقي الى نهر دجلة حيث تشكل هذه الفرع خطوط دفاع قوية عنها من جهة ارض الجزيرة وكذلك من جهة وادي دجلة، كما ان حوض القسم الاوسط من نهر الفرات يتضمن عدة مسالك تسير عليها القوافل التجارية بين سهل العراق وبين سواحل البحر المتوسط عبر اراضي بلاد الشام(٣).

ان هذا الموقع المهم لمدينة بابل عاصمة سلالة بابل الأولى الآمورية مكنها من الاستمرار في الحكم لمدة طويلة قاربت من ثلاث قرون، كما ساعدتها على ذلك الأحوال التأريخية التي سادت البلاد من الحروب ما بين السلالات الآمورية المتعاصرة وسياسة ملوك هذه السلالة في الافادة من ذلك النزاع لصالح دولتهم لكي تكون اطول السلالات الحاكمة عمراً واشدها بأساً، بحيث انها ورثت زعامة البلاد في النهاية من بعد تصفية السلالات الحاكمة في المدن الاخرى التي ورد ذكرها آنفاً بعضها بعضاً(٤). وقد بلغت هذه السلالة اوج قوتها وعظمتها وازدهارها السياسي والحضاري في عهد ملكها الشهير حمورابي (١٧٩٢-١٧٥٠ ق.م) الذي استطاع ان يوحد البلاد ويبني دولة قوية مترامية الاطراف بعد ضمه لجميع السلالات الأمورية الحاكمة تحت لواء القطر الموحد عام ١٧٥٣ ليصبح سيد بلاد الرافدين بلا منازع من اقصى

---

(١) الأحمد، سامي سعيد، العراق القديم، ج٢، ص ١٦٤.

(٢) شريف، ابراهيم، الموقع الجغرافي للعراق، ص ١٠٦.

(٣)شريف، ابراهيم، الموقع الجغرافي للعراق، ص ١٠٧.

(٤) باقر، طه، مقدمة، ج١، ص ٤٢٦-٤٢٧.

الشمال الى الخليج العربي بعد ان ضم بلاد اشور ومنطقة ماري ثم اتجه الى بلاد الشام(1) وحق له ان يتخذ اللقب الفخم ((الملك العظيم، ملك بابل، ملك بلاد الاموريين كلها (بلاد الشام)، ملك بلاد سومر واكد، ملك جهات العالم الاربع))(2).

لم ينقطع ذكر الاموريين بعد نهايتهم السياسية وسقوط سلالة بابل الاولى على يد الحثيين عام ١٥٩٥ بل تتواصل اخبارهم العصر البابلي الحديث (٦٢٦-٥٣٩ ق.م)، ففي النصوص المسمارية التي تعود الى العصر الاشوري الوسيط (١٥٢١-٩١١ ق.م) والحديث (٩١١-٦١٢ ق.م) اطلقت كلمة آمورو وللدلالة على الأقسام الداخلية لبلاد سوريا فيذكر تجلا ثبليزر الأول (١١١٥-١٠٧٧ ق. م):

((بعد وصولي الى جبال لبنان قطعت واخذت اشجار الارز الى معابد أنوواشور، رجعت الى الاموريين وقهرتهم تماماً، واستلمت الجزية من جبيل وصور وارواد))(3)

ويذكر شلمنصر الثالث (٨٥٨-٨٢٤ ق.م) انه استلم هدايا الولاء من ملوك الأموريين في صور وجبيل وغيرها من المدن الساحلية(4)، وآخر ذكر لهم وردنا من العصر البابلي الحديث في نص يعود الى الملك نبونئيد (٥٥٥-٥٣٩ ق.م)(5).

لم تكن الحالة السياسية في سوريا تختلف عن الحالة السياسية في بلاد الرافدين قبل اعلان حمورابي وحدة البلاد، فقد كان القرن الثامن عشر ق.م وكما تخبرنا نصوص أرشيف ماري زاخراً بالدويلات الامورية المتنافسة فيما بينها ومن اهم تلك الدويلات، دويلة يمخد وعاصمتها حلب(6)، وايبلا (تل مرديخ ٥٥ كم جنوب حلب) وألالاخ (تل العطشانة بالقرب من انطاكية) واوغاريت (رأس شمرا الحالية في اللاذقية)(7)، واشتهر شمال سورية بدويلة آمورو(8) وكانت كركميش (جرابلس الحالية) شمال شرقي يمخد على الفرات(9) وهي مركز تجاري مهم

---

(١) ادزارد، أرتو، الشرق الادنى الحضارات المبكرة، ص ١٩١ وما بعدها.

(٢) باقر، طه، مقدمة، ج١،ص ٤٣٢.

وحول تفاصيل تحقيق الوحدة من قبل حمورابي. انظر:

الأعظمي، محمد طه، حمورابي، ص ٦٩ وما بعدها.

(3) Wiseman, D.J., Peoples of Old Testament Times, (Gerat Britain, 1975), P 119.

(4) ibid.

(5) ANET., 1969, P 305.

(٦) مرعي، عيد، "التجارة بين ماري ويمحاض في القرن الثامن عشر قبل الميلاد"، مجلة دراسات تأريخية، العدد ان ٦٧-٦٨، (دمشق، ١٩٩٩)، ص٥.

(٧) مرعي، عيد، التأريخ القديم، ص ١٢٦.

(٨) الأحمد، سامي سعيد وجمال، رشيد أحمد، تاريخ الشرق القديم، ص ٢٠٥.

(٩) للتوسع عن هذه الممالك. انظر:

ونشط على طريق القوافل القادمة من وادي الرافدين باتجاه الشمال والى سلسلة جبال طوروس، ومن ثم الى هضبة الاناضول[١]، وقطنا التي كانت لها علاقات سياسية مع جبيل ولارسا واشنونا وسوسة وارابخا[٢].

ان اشهر الدويلات الامورية على الأطلاق هي ماري التي استطاعت ان تبسط نفوذها على طول الفرات الأوسط والخابور[٣]. لقد لعبت الدويلات الأمورية دورها على المسرح السياسي بعد منتصف الالف الثاني ق. م واستعادت نشاطها بعد نهاية العصر البابلي القديم عام ١٥٩٥ق.م الى زمن تأسيس الامبراطورية المصرية (١٥٧٣-١٠٨٥ ق. م)[٤]، اذ برزت على صعيد الساحة السياسية للشرق الادنى القديم قوتان دوليتان هي الحثية والمصرية، ومع ظهور هاتين القوتين بدأ الانكماش السياسي وتقلص نفوذ تلك الدويلات وبدأ الضعف يدب في بلاد الشام نتيجة للضغوط التي بدأت تتعرض لها البلاد واقتصر نفوذ الآموريين على الداخل فقط[٥]، ثم اصبحت الدويلات الآمورية مدار نزاع بين الامبراطوريتين المصرية والحثية اذ استطاع الحثيون ان يسيطرون على الاجزاء الشمالية والوسطى من سوريا[٦]، ولكن بعد منافسة المصريين لهم انحصرت الدويلات الآمورية في مناطق محدودة وخاصة في الجزء الشمالي من لبنان الحالي وحوالي دمشق[٧].

ويمكن القول عن الوضع في بلاد الشام في هذه الحقبة التاريخية انها كانت تعيش فوضى سياسية نتيجة تعدد الولاءات فقسم من الممالك الآمورية كان موالياً للحثيين، والقسم الآخر للمصريين وقسم ثالث كان متقلباً في ولائه[٨]، ولكن هذا الوضع السياسي غير المستقر لم يمنع

Kupper, J. R, “Northern mesopotamia and Syria” CAH, vol 2, Part I, (Chambridge, 1963), P 16f.

(١) مرعي، عيد، مجلة دراسات تأريخية، ص ٥.

(٢) ادزارد، أوتو، الشرق الادنى الحضارات المبكرة، ص ١٩١ وما بعدها.

(٣) ساكز، هاري، عظمة بابل، ص ٨٤. وحول تفاصيل سيادة ماري على المنطقة انظر الفصل الخامس ص ١٣٧ وما بعدها.

(٤) حتي، فيليب، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص ٧٥.

(٥) الشمري، طالب منعم، الوضع السياسي في الشرق الادنى القديم بين القرنين السادس عشر والحادي عشر ق. م، اطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة بغداد، ١٩٩٦)، ص ١٨٢.

(٦) كلينغل، هورست، تأريخ سورية السياسي، ص ١٣٦.

(٧) الأحمد، سامي سعيد وجمال، رشيد أحمد، تاريخ الشرق القديم، ص ٢٠٥.

(٨) الشمري، طالب منعم، الوضع السياسي في الشرق الادنى القديم، ص ١٨٣. وبخصوص اهم الممالك التي قامت في هذه الحقبة ومنها موكيش، أرشو، ايمار، اوغاريت، انظر: ابو عساف، علي، اثار الممالك القديمة، ص ٤١٠ وما بعدها.

من ظهور مملكة قوية حاولت جمع شتات الممالك الآمورية[١] في اطار دولة موحدة الى حد ما، وكانت هذه المملكة هي مملكة آمورو الذي تمكن من تأسيسها الملك الآموري عبد عشرتا، وكان مركز هذه المملكة على نهر العاصي وعاصمتها سيميرا[٢] واستطاعت هذه المملكة من فرض سيطرتها على بعض المدن الساحلية في بلاد الشام وضم مدينتي حماة ودمشق[٣]، وقد ساعدت ظروف مصر الداخلية في ذلك الوقت بانشغالها بثورة اخناتون الدينية على تحقيق ذلك[٤].

ان الوضع السياسي لبلاد الشام بقي متأرجحاً بين الخضوع للنفوذ الاجنبي وبين العيش في دويلات صغيرة ساد علاقتها التناحر والصراع مع بعضها بحيث اثر ذلك بشكل كبير على حياتها السياسية، ونتج عن ذلك تقلص نفوذ تلك الدويلات وانحسار وجودها في الاجزاء الجنوبية من البلاد[٥] الى ان قضى الاشوريون والبابليون ثم الفرس الاخمينيون على كيانهم ودخلت بلادهم تحت سيطرة الاسكندر بعد قضائه على الاخمينيين، لذا فمنذ عام ١١٠٠ ق. م لم يكن هناك اسم للممالك الآمورية ككيانات سياسية[٦].

ومن الجدير بالذكر هنا ان الاموريين لم يخلفوا لنا كتابات بلغتهم الخاصة سوى بعض اسماء لملوك وحكام ومدن لأنهم اتخذوا من اللغة البابلية القديمة لغة لمخاطباتهم الرسمية[٧]، أما ديانتهم الخاصة فكانت تستند على عبادة الههم القبلي (آمورو) وهو اله الحرب، فضلاً عن عبادة مظاهر الطبيعة ومنها حدد اله المطر والعواصف[٨]، واتخذو ايضاً بعض الالهة الشهيرة في حضارة وادي الرافدين مثل الالهة عشتار، ولكنهم حملوا معهم عبادة الاله (داجان)[٩] الذي عرفته

---

(١) مرعي، عيد، التأريخ القديم، ص ١٣٨.

(٢) من المرجح ان موقعها الان هو (تل الكزل) على بعد ٣.٥ كم من مصب نهر الابرش في البحر في حدود محافظة طرطوس في الشمال السوري وجرت فيه تحريات اولية عام ١٩٥٦ ثم في عامي ١٩٦٠ و ١٩٦١ بادارة الدكتور عدنان البني والفرنسي موريس دوفان، ثم نقب فيه ثانية عام ١٩٩٢ من قبل متحف الجامعة الامريكية في بيروت وقد دلت نتائج التنقيبات التي جرت في المنطقة الاولى من الموقع على ان الطبقة السادسة منه تعود الى العصر الاشوري الحديث. انظر:

Badre, L., Tell Kazel, Chronique Archeologique En Syrie, vol I, (Damas, 1992), P. 127 f.

(٣) مرعي، عيد، التأريخ القديم، ص ١٣٨.

(٤) الأحمد، سامي سعيد وجمال، رشيد أحمد، تاريخ الشرق القديم، ص ٢٠٥.

(٥) الشمري، طالب منعم، الوضع السياسي في الشرق الادنى القديم، ص ١٨٤.

(٦) الأحمد، سامي سعيد وجمال، رشيد أحمد، تاريخ الشرق القديم، ص ٢٠٦.

(٧) باقر، طه، مقدمة، ج٢، ص ٢٣٦.

وحول لغة الاموريين انظر:– كاكو، اندريه، "نظرات في لغة الاموريين في ماري وآلهتهم"، ترجمة جورج حداد، الحوليات السورية، ج١، ١٩٥١، ص ٤.

(٨) سليمان، عامر، واحمد، مالك الفتيان، محاضرات في التاريخ القديم، ص ٣٤١.

(٩) باقر، طه، مقدمة، ج٢، ص ٢٣٧. وللمزيد عن ديانة الآموريين انظر:–

ديانة بلاد الرافدين منذ العصر الأكدي (٢٣٧٠-٢١٦٠ ق.م) وقد عرف عن الاموريين خبرتهم الجيدة في صياغة معدني الذهب والفضة حيث كان الذهب يجلب من بلاد مكان وبلاد ميلوخا، بينما كانت أرمينيا تزودهم بالفضة[١].

٤. **الآراميون:**

الآراميون من القبائل الجزرية التي نزحت من الجزيرة العربية واستوطنت الآجزاء الشرقية في سوريا[٢] ثم هاجرت الى الشمال السوري عبر الطريق الذي يمر في السهوب الممتدة شرق حوران والغوطة حتى تدمر ومن هناك الى جبل بشري غربي دير الزور[٣] ثم استوطنوا اخيرا في جهات الفرات الاوسط على شكل جماعات ليس لها كيان سياسي وتبلورت في هذه المنطقة شخصيتهم الحضارية وتراثهم الثقافي يعد اتصالهم بالاقوام التي سبقتهم في سكن المنطقة من آموريين وكنعانين ومن الحضارات التي جاوروها ولا سيما حضارة بلاد الرافدين والحضارة الحثية[٤].

لم يكتب الآراميون عن انفسهم إلا كتابات قليلة اكتشفت في مواقع مختلفة من المناطق التي استوطنوها مثل كوزان (تل حلف) وسنجرلي (سمعل) وحماه في شمال سوريا، الا ان هذه الكتابات لا تخبرنا عن أصولهم وزمن هجرتهم[٥]، إلا ان كلمة آرام ذكرت بوصفها اسماً جغرافياً في حدود القرن الثالث والعشرين ق. م في كتابات الملك الأكدي نرام سين (٢٢٩١-٢٢٥٥ ق. م) اذ ذكر هذا المكان في اعالي الفرات، في حين اشار مصدر آخر في حدود عام ٢٠٠٠ ق.م

حتي، فيليب، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص ٨٣-٨٤.

(١) هالدار، الفرد، العموريون من هم وما هي مواطنهم، ترجمة شوقي شعث، (دمشق، ١٩٩٣)، ص١٨.

(٢) بورتر، هارفي، موسوعة مختصر التاريخ القديم، (القاهرة، ١٩٩١)، ص ٩٤.

(٣) ابو عساف، علي، "الآراميون"، المؤتمر الخامس عشر للآثار والتراث الحضاري في الوطن العربي، (دمشق، ٢٠٠٠)، ص ٢٤٦.

(٤) باقر، طه، مقدمة، ج٢، ص ٢٦٩.

(٥) الراوي، شيبان ثابت، "الآراميون في الفرات الاعلى والاوسط وعلاقتهم بالدولة الاشورية" بحث مقبول للنشر في مجلة المؤرخ العربي.

من تل دريهم[١] الى ان اسم آرام بوصفه اسم لأحدى المدن الواقعة في اسفل نهر دجلة، وورد الأسم ايضا على انه احد المقاطع المكونة لأسماء الأعلام[٢].ويتردد نفس الاسم مرة اخرى في نصوص مدينة ماري في القرن الثامن عشر ق. م حيث ذكر في تلك النصوص قبائل شبه بدوية تسميهم بـ (الأخلامو)[٣] وربما اطلقت هذه التسمية عليهم من قبل الاموريين كاسم مرادف لأسم آرام[٤]، كذلك ورد ذكرهم في نصوص مدينة اوغاريت في حدود عام ١٤٠٠ ق.م[٥]، بينما ذكرتهم النصوص الآشورية على انهم مجموعة من القبائل ومنهم السوتو والاخلامو[٦]. ويمكن القول ان الآراميين فرع من الاخلامو نتيجة لتكرار الاسمين معاً في النصوص الاشورية[٧] ولكن استبدلت تسمية الاخلاميين منذ عهد تجلاثبليزر الاول اصبحت كلمة أراميين تذكر في الحوليات الاشورية[٨].

أما في النصوص المصرية القديمة فتوجد اشارة الى بعض القبائل البدوية والذين جاء ذكرهم باسم (شاصو) وقد هددوا حدود مصر مما دفع الفرعون المصري ستيوس الأول (١٣٠٨–١٢٩١ ق.م) الى ان يجرد حملة عسكرية ضدهم ويردهم على اعقابهم في البوادي الشرقية ومن المحتمل ان تكون القبائل الارامية التي أقامت ممالك لها في مناطق بلاد الشام الجنوبية فيما بعد جزءاً من هؤلاء الشاصو. ومن عهد الفرعون مرنبتح (١٢٢٣–١٢٠٥ ق.م) جاءنا نص يشير الى ان هذا الفرعون كان له معسكر في بلاد آرام والتي من المرجح انها مملكة صوبا التي اصبح اسمها فيما بعد مملكة دمشق[٩].

---

(١) تل دريهم: هو الاسم الحديث لموقع بوزرش داجان القديم وهو مقر اداري لتجارة الحيوانات جنوبي مدينة نفر واسس في عصر سلالة اور الثالثة (٢١١٢–٢٠٠٤ ق.م) انظر:
بوستغيت، نيكولاس، حضارة العراق وآثاره، ص ١٣٠.

(٢) موسكاتي، سبتينو، الحضارات السامية القديمة، ص١٧٦.

(٣) تعني كلمة خَلَمْ بالعربية الصديق المخلص وجمعها وخلماء. انظر:–
ابن منظور، لسان العرب، م ٢، بيروت، ١٩٥٦، ص ١٨٩.

(٤) خياطة، محمد وحيد، "الآثار الآرامية ومميزاتها في متحف حلب"، الحوليات السورية، م ٤٣، ١٩٩٩، ص ١٢٣

(5) Grayson, A. K. ,ARI,I, No. 382.

(6) ibid, No. 34.

(7) CAD, A, I, P. 193

(8) Grayson, A. K. ,ARI, 2, No. 34.
Brinkman, J.A. Apolitical History of post kassite Babylonia 1158-722 B. C. (Roma, 1968) p. 264.
انظر كذلك:– سومر، دوبونت، "الآراميون"، ترجمة البير ابونا، سومر، م ١٩، ج ١، (بغداد، ١٩٦٣)، ص ٩٨.

(٩) ابو عساف، علي، الآراميون تأريخاً ولغة وفناً، (طرطوس، ١٩٨٨)، ص ١٦، ١٨.

وعلى الرغم من وجود كل هذه الاشارات وتواردها الا انها لم تقدم الدليل الكافي على نشاط الآراميين في تلك الحقبة الزمنية، ومن الراجح ان التاريخ المتفق عليه لظهور الهجرات الكبرى لتلك الأقوام يقع ما بين القرن الرابع عشر والقرن الثاني عشر ق. م(١).

ان ما يدعم هذا الرأي نتائج التنقيبات الحديثة التي جرت في موقع تل خويرة في الجزيرة السورية من قبل البعثة الالمانية حيث تبين ان هذا الموقع يعود بتأريخه الى العصر الاشوري الوسيط (١٥٢١-٩١١ ق.م) وقد تم العثور بين انقاضه على كسرة فخارية كتب عليها اربعة حروف آرامية وهذه دلالة اكيدة على ان الاراميين كانوا متواجدين في بلاد الشام في حدود ذلك الزمن ثم اصبحوا يذكرون كمنافسين للأشوريين في هذا العصر(٢) وصاروا يسكنون المنطقة الممتدة من الأردن حتى الخليج العربي مؤسسين ممالك في كل من بلاد الشام وبلاد الرافدين ومن اشهر ممالكهم التي اسسوها في بلاد الشام آرام- نهر ايم ويعني اسمها أرام ما بين النهرين اي الفرات والخابور ودويلة فدان - آرام وكان مركزها في حران ودويلة أرام - معكة في سفوح جبل الشيخ وكذلك أرام - رحوب في منطقة حوران ومملكة دمشق، وفي الشمال الغربي من سوريا اسسو دولة شمال التي تضم عدة دويلات اشهرها دويلة بيت اكوشي وبيت اديني في منطقة بارسب القديمة (تل الاحيمر الآن) وقامت في اعالي ما بين النهرين دويلة آرامية آخرى سميت باسم بيت بحياتي وعاصمتها كوزانا (تل حلف). اما ممالكهم في بلاد الرافدين فاهمها مملكة بيت عديني وعاصمتها وبورسيبا وبيت ياكين التي عرفت باسم سلالة القطر البحري(٣) ومنهم القبائل الكلدية التي استطاعت فيما بعد تأسيس الدولة البابلية الحديثة (٦٢٦-٦١٢ قز م)(٤).

تباينت الممالك الآرامية في بلاد الشام في قوتها وشهرتها حيث كانت مملكة آرام-دمشق اكثر الممالك شهرة في تاريخ الآراميين السياسي ونشأت هذه المملكة في أواخر القرن الحادي عشر ق. م وكانت معاصرة للمملكة العبرانية(٥) ودخلت في تنافس معها واتسعت حدودها على

---

(1) Wiseman, D. J. ,People of Testament Times, P. 134.

(٢) ابو عساف، علي، الآراميون، المؤتمر الخامس عشر للآثار والتراث الحضاري في الوطن العربي، ص ٢٨٤. وحول تنافس الاراميين مع الدولة الاشورية انظر:
ساكز، هاري، قوة آشور، ترجمة عامر سليمان، (بغداد، ١٩٩٩)، ص ٦٥ وما بعدها.
باقر، طه، المقدمة، ج ١، ص ٤٨٩ وما بعدها.

(٣) غزالة، هديب حياوي، الدولة البابلية الحديثة (٦٢٦-٥٣٩ ق.م)، (دمشق، ٢٠٠١)، ص ١٤. وحول تفاصيل تاريخ الممالك الآرامية في بلاد الشام انظر: ابو عساف، علي، اثار الممالك القديمة، ص ٤٥١ وما بعدها

(٤) باقر، طه، مقدمة، ج٢، ص ٢٦٩. وبخصوص القبائل الآرامية التي سكنت بلاد الرافدين. انظر:
Brinkman, J.A. Apolitical History ......p. 270.

(٥) حتي، فيليب، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص ١٧٧.

حساب العبرانيين[١] وقد ساعدهم على ذلك انقسام المملكة العبرانية الى مملكتي اسرائيل في الشمال ويهوذا في الجنوب في حدود عام ٩٢٢ ق.م[٢]، ويخبرنا العهد القديم بان ملك دمشق ابن حدد الاول (٨٧٩-٨٤٣ ق. م) استلم الجزية من مملكة يهوذا واستولى على شرق الأردن وضمه الى السيادة الارامية[٣] وقد استطاع بن حدد فيما بعد فرض الجزية على مملكة اسرائيل في عهد ملكها عومرى (٨٨٥-٨٧٤ق.م) وابنه احاب (٨٧٤-٨٥٣ق. م)[٤].

ان هذه القوة العسكرية الآرامية المتعاظمة صدتها وبكل براعة الدولة الاشورية مع بداية العصر الاشوري الحديث (٩١١-٦١٢ ق.م) فبعد ان حجمت خطرهم على حدودها نقل الاشوريين المنازلة العسكرية مع الاراميين الى اراضيهم في بلاد الشام كما يتضح ذلك من جملة النصوص الملكية الاشورية التي وصلتنا من هذا العصر[٥].

اما عن علاقة الاراميين مع بلاد وادي النيل فنجدهم انهم ظهروا على المسرح السياسي بينما كانت مصر تعاني من المشاكل الداخلية والضعف بسبب الحروب الطويلة التي خاضتها ضد الحثيين للسيادة على بلاد الشام والتي دامت زهاء القرن الواحد (١٣٨٠-١٢٧٨ ق.م)[٦]، ولكن ومع كل هذا فان مصر كانت تقوم بتحريض ومساعدة الأراميين في نزاعهم ضد الاشوريين مما دفع الدولة الاشورية في القرن السابع ق. م الى فتح مصر وجعلها تحت سيادتهم عام ٦٦٧ ق. م [٧].

ومع كل ما لعبه الاراميون من دور على المسرح السياسي للشرق الادنى القديم فانهم اخفقوا في تأسيس مملكة موحدة بسبب وقوف الدولة الاشورية بوجههم كما رأينا، كما ان الحثيين اعتبروا الممالك الارامية معبراً وسبيلاً لهم للأستيلاء على فلسطين فكانت مناطقهم مسرحاً للنزاعات والحروب[٨].

---

(١) بورتر، هارفي، موسوعة مختصر التاريخ القديم، ص ٢٧٢.

(٢) باقر، طه، مقدمة، ج ٢، ص ٢٧٣.

(٣) الملوك الأول ١٥: ١٨-٢٠

أخبار الايام الثاني ٢:١٦ وما بعدها.

(٤) الملوك الثاني: ١ وما بعده.

(٥) انظر الفصل السادس المبحث الاول.

(٦) باقر، طه، مقدمة، ج ٢، ص ٧٢.

(٧) ساكز، هاري، قوة اشور، ص ١٥٨. وحول تفاصيل فتح مصر انظر:

عبد الله، محمد صبحي، العلاقات العراقية-المصرية في العصور القديمة، (بغداد، ١٩٩٠) ص ١٤٠ وما بعدها.

وكذلك: الدوري، رياض عبد الرحمن، اشور بانيبال سيرته ومنجزاته، (بغداد، ٢٠٠١)، ص ٧٧ وما بعدها.

(٨) سومر، دووبنت، المصدر السابق، ص٩٦-٩٨.

وعلى الرغم من هذا الاخفاق في تحقيق المملكة الارامية فات التراث اللغوي والثقافي الارامي كان على قدر كبير من الاهمية من خلال تأثيره في شعوب عديدة وقد ساعدهم على نشر ذلك التراث نشاطهم التجاري الواسع واحتكارهم للتجارة العالمية طوال عدة قرون(١) وقد استعمل الاشوريون اللغة الارامية في بعض شؤونهم وهذا ما يوضحه اثر جاءنا من عهد تجلاثبليزر الثالث (٧٤٤-٧٢٧ق.م) مرسوم عليه كاتب يدون بالارامية بريشة على ورقة بردي وقد عمل بعض الكتبة الآراميين في البلاط الملكي الاشوري وهذا يدلل على المكانة التي احتلوها ومنهم احيقار كاتب ومستشار الملك سنحاريب (٧٠٤-٦٨١ ق.م)(٢)، ونتيجة لاستعمال الآرامية من قبل الاشوريين فقد تأثرت باللهجة الاشورية والتي هي احدى لهجات اللغة الاكدية(٣).

اصبحت اللغة الآرامية في عهد الاحتلال الأخميني (٥٥٩-٣٣٠ ق.م) اللغة الرسمية في الادارة والمرسلات من تخوم الهند الى الحبشة وهذا في الحقيقة اعظم واغرب انتشار تحرزه لغة لم يدعمها نفوذ سياسي(٤) ومما ساعد على هذا الانتشار الواسع ان اللغة الآرامية كتبت بالابجدية الفينيقية والمؤلفة من اثنين وعشرين حرفاً ساكناً(٥) وقد ادخل الاراميون بعض التعديلات على الكتابة الفينيقية وانتقلت عنهم فيما بعد الى الانباط والتدمريين والعرب وغيرهم(٦).

اما عن ديانة الآراميين فانها كانت متأثرة بديانة الاقوام الجزرية المجاورة لهم كالاموريين والكنعانيين وكان اعظم الهتهم حدد او هدد وهو اله أموري الأصل ومن القابه (رمون) و(رمان) اي المرعد وهو اله الزوابع والامطار(٧) ومثلت اتارغاتس (Atargatis)(٨) قرينة لحدد في ديانة

---

(١) باقر، طه، مقدمة، ج ٢، ص ٤٩٨.

(٢) حتي، فيليب، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص ١٨٢.

حول قصة احيقار انظر:

فريحة، انيس، احيقار حكيم من الشرق القديم، (بيروت، ١٩٦٢)، كذلك ANET, 1969 ,P 426f.

(٣) حراق، امير، "تاثير الأكدية على الآرامية الرسمية"، بين النهرين، العدد ٩٧-١٠٠، (بغداد، ١٩٩٧)، ص ٣١٤.

(٤) باقر، طه، مقدمة، ج ٢، ص ٢٧٦.

(٥). حامدة، احمد، المدخل الى اللغة الكنعانية الفينيقية، ص ١٧.

(٦) الاحمد، سامي سعيد وجمال، رشيد احمد، تاريخ الشرق القديم، ص ٢٣٢ من الجدير بالاشارة هنا حول استمرار اللغة الآرامية في الاستعمال ان قرية (معلولة) الواقعة ٥٦ كم شمال دمشق مازال سكانها يتكلمون بها حتى وقتنا الحاضر.

(٧) باقر، طه، مقدمة، ج٢، ص ٢٧٨.

(٨) اللفظة يونانية مأخوذة من الارامية عتار Atar اي عشترت بالاضافة الى الآرامية عتاه Atah وكانت عبادة عتار وعتاه بالاصل عبادتين جزريتين ثم اندمجتا. انظر حتي فيليب، ، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص ١٨٧ الهامش.

الآراميين وكان مركز عبادتها الرئيس هيرابوليس (ممباقة)[١] ومن رموزها السنبلة وكانت تتمتع بعبادة شعبية في بلاد الشام[٢]. ومن الهتهم الأخرى (ركّاب) او سائق المركبات وشمش المعروف المعروف في الحضارة العراقية القديمة ورشوف اله الفينيقيين الذي كان رمزه عبارة عن جندي مسلح وقد عرف عندهم باسم (بعل شمين) اي سيد او رب السموات[٣].

---

(١) تقع ممباقة في محافظة الرقة على الضفة اليسرى من نهر الفرات وقد بدأ التنقيب فيها عام ١٩٧٠. انظر ابو عساف، علي، اثار الممالك القديمة، ص ٤٨.

(٢) مرعي، عيد، التأريخ القديم، ص ١٥٩.

(٣) حتي، فيليب، تأريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص ١٨٩.

المبحث الثاني
اقـوام بـلاد الشـــام

١. **الكنعانيون (الفينيقيون)[١]:**

يمثل الكنعانيون الذين سماهم الأغريق فيما بعد بالفينيقيين ثاني جماعة جزرية لعبت دوراً بـارزاً فـي تـاريخ بـلاد الشـام بعد الآموريين وكمـا اسلفنا فـان الكنعـانيين والآمـوريين ينتسبون الـى هجرة واحدة[٢] وقد جاء ذكرهم في العهد القديم باسم (صيدونين)نسبة الى اقدم مدنهم صيدا[٣] وقد وردت بعض الاراء التي اثارت جدلاً حول أصل هؤلاء القوم ومن بينها ان بعض المؤرخين قد ارجعوا اصل الفينيقيين الى منطقة جغرافية يكثر فيها النخيل معتمدين في ذلك على ان لفظة (phoinix) اليونانية التي اشتق اسم الفينيقيين منها تحوي من ضمن معانيها معنى النخلة[٤] ومنهم من يرى انها مشتقة من الكلمة المصرية (فنخو)[٥] أو انها تعني اللون الأرجواني[٦]، وقد وصف لنـا بعـض المـؤرخين الكلاسـيكيين ومـنهم جوسـتان (Justin) هجـرة الفينيقيـين بقولـه (ان الامـة السوريةمكونة من الفينيقيين الذين نزحوا من بلادهم الأصلية حين افزعتهم الزلازل ونزلوا أولاً على ضفاف البحيرة الاشورية ثم على شواطيء البحر الابيض وهنا بنوا مدينة سموها صيدا بسبب وفرة الصيد من السمك، والفينيقيون يسمون السمك صيدا)[٧]. وبرغم عدم دقة هذا الخبر فانه يثير الآنتباه بخصوص تلك البحيرة الاشورية التي وردت في النص وهل ان بعض المؤرخين يعتبرون

---

(١) حول معنى تسمية كنعاني انظر الفصل الاول / المبحث الاول ص ٥ الهامش.

ترى الدراسات الحديثة ان التسمية الصحيحة التي يجب ان تحل محل الفينيقيين هي أمور وأموريين ذلك ان النصوص الكتابية المسمارية تثبت ان سكان العراق وسورية ولبنان وفلسطين والاردن وشبه الجزيرة العربية هم الاموريين خلال الالف الثاني ق. م. وان هذه الحقيقة التأريخية يجب ان تحل محل المصطلح اليوناني الضيق (فينيقي). انظر:

عبد الله ، فيصل، "دور السلالة الحلبية الاولى في تجارة الشرق وشمال سورية في القرنين الثامن عشر والسابع عشر ق.م"، الحوليات السورية، م ٤٣، ١٩٩٩، ص١٢٠.

(٢) حتي، فيليب، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ص ٨٥.

(٣) يشوع ١٩: ٢٩.

(٤) فنطر، محمد، "الحضارة الفينيقية في البحر الابيض المتوسط"، المؤتمر الخامس عشر للآثار والتراث الحضاري في الوطن العربي، (دمشق، ٢٠٠٠) ، ص ٣٥٦.

(5) Kuhrt, A., The Ancient Near East 3000-330 B C, vol I, P. 318.

(٦) الأحمد سامي سعيد، وجمال، رشيد أحمد، تأريخ الشرق القديم، ص ٢٠٩.

(٧) كونتنو، جورج، الحضارة الفينيقية، ترجمة محمد عبد الهادي، (القاهرة، ١٩٤٨)، ص ٣٨٧.

وردت في الأكدية لفظة (Şâdu) التي تعني الصيد او القنص. انظر:-

CAD, Ş ,

السوري والآشوري شيئاً واحداً. وهناك رأي يقول ان المقصود بتلك البحيرة هي بحر النجف أو بحيرة انطاكيه او البحر الميت حيث انهم دخلوا مع مجرى الفرات الى سوريا من جهة الشمال، أما المؤرخون العرب فيقولون: انهم عبروا مضيق الجزيرة العربية من مصب الفرات الى وادي الاردن مستندين في ذلك على ان الجزيرة العربية هي المهد الاول للأقوام التي كانت تسمى (السامية)(١). ولعل بلاد اليمن تمثل نقطة البداية في تحرك تلك الأقوام. ففي اليمن كان مسقط رأس الأقوام العربية القديمة بسبب توفر كل المقومات التي تساعد على كثافة السكان واولها الزراعة وثانيهما التجارة(٢).

ويرى هيرودوتس أن الفينيقيين قد نزلوا من خليج العقبة قادمين من منطقة البحر الأحمر(٣)، بينما اشار بعض الباحثين الى ان هجرة هؤلاء قد جاءت من شبه الجزيرة العربية ووطئت بلاد الشام في نهاية الألف الثالث ق.م وهم ينتمون الى نفس القبيلة التي جاء منها الأموريون معتمدين في ذلك على التشابه الغوي والقومي بين الأموريين والكنعانيين(٤).

يحدد موطن الفينيقيين على الساحل الشرقي للبحر المتوسط ويمتد ما بين الأرض المحصورة من مصب نهر العاصي شمالا ونهر بيلوس (النعمين في فلسطين حالياً) جنوبا ويحدها من جهة الشرق جبال اللاذقية وسلسلة جبال لبنان، ونظراً لضيق تلك المنطقة واقتراب الجبال من البحر ففي معظم المناطق فقد كانت الاراضي الصالحة للزراعة محدودة ولا تسد احتياجات السكان، كما ان انتشار السلاسل الجبلية جعل اتصالهم مع الاقاليم الداخلية وفيما بينهم صعباً الى كبير(٥) ولذلك فقد اعتمدو على التجارة في معيشتهم منذ وقت مبكر من تاريخهم وساعدهم على ذلك موقع بلادهم الستراتيجي المتحكم في طرق المواصلات التجارية سواء التي توصل بين مصر وبلاد الأناضول أو بين بلاد الرافدين وجزر بحر ايجة فكانوا بذلك حلقة وصل بين مناطق عديدة من مناطق العالم القديم، يضاف الى ذلك وجود اخشاب الأرز والسرو والصنوبر الصالحة لبناء السفن، وكذلك توفر الرمل الناعم على السواحل والذي يكون صالحا لصناعة الزجاج، اضافة الى ذلك فانهم انتجوا الأقمشة الصوفية الملونة باللون الأرجواني الأحمر

---

(١) كونتنو، جورج، المصدر السابق، ص ٣٨٧.

(٢) حنون، نائل، المعجم المسماري، (بغداد، ٢٠٠١)، ص ١٢٢.

(٣) حامدة، أحمد، مدخل الى اللغة الكنعانية، ص٨.

(٤) داود، أحمد، تاريخ سوريا القديم، (دمشق، ١٩٨٦)، ص ٧٨٠.
باقر، طه، مقدمة..، ج٢، ص ٢٤٠.

(٥) حامدة، احمد، مدخل الى اللغة الكنعانية، ص ٧.

الذي اشتهروا به والذي كان يستخرج من الحيوان القشري البحري موريكس (Murex) كذلك فانهم امتهنوا صيد السمك[١].

لقد مر الكنعانيون (الفينيقيون) بنفس الظروف التي مر بها الآموريون في مجاورتهم لحضارتين عظيمتين (وادي النيل ووادي الرافدين) مما عرقل تكوين دولة معظمة في بلاد الشام بالاضافة الى قربهم من الدولة الحثية المتعاظمة في قوتها والى ذلك فان الدولة الأشورية بدأت في تكوين قوتها السياسية لتحل محل الأمبراطورية المصرية في بلاد الشام[٢] والتي كانت تتمتع بعلاقات طيبة معها في مجالي السياسة والتجارة وهذا ادى الى تأثير الفينيقيين الواضح بحضارة وادي النيل[٣].

ان هذه الظروف لم تسمح للفينيقيين من تكوين دولة كبيرة موحدة، بل كانوا منقسمين الى عدة دويلات مدن محصنة ويحكمها ملك يستقل بمدينته عن بقية المدن وكانت تلك المدن تتفاوت في قوتها ومنعتها ويأتي على راسها مدينتي صيدا وصور[٤] وقد انتشرت تلك المدن على طول الساحل من جبل كاشيوش حتى جبل الكرمل في الجنوب[٥]، غير ان تلك الجبال لم تكن توفر حماية كافية لتلك المدن مثل تلك التي توفرها جبال لبنان، ولهذا فان المدن العظيمة والتي بقيت دائمة ازدهرت فيه وهي طرابلس والبترون وجبيل وبيروت وصيدا وصور فضلاً عن مدن الشمال عرقة وسيميرا وأرواد، وفي الجنوب غزة وعسقلان في الساحل وهناك مدن اخرى في الداخل مثل جزير ومجدو واورشليم[٦].

يعتبر الخطر الخارجي أهم العوامل التي توحد تلك المدن للوقوف بوجه الأعداء وذلك لمصالحها المشتركة حيث كانت أحد المدن تتزعم تلك الوحدة المؤقتة وقد حصلت على مثل تلك الزعامة اوغاريت في اواخر القرن السادس عشر وجبيل في القرن الرابع عشر وصيدا بعد القرنين الثاني عشر والحادي عشر وصور بعد هذا القرن وطرابلس في القرن الخامس[٧] ومن الأمثلة

---

(١) مرعي، عيد، التاريخ القديم، ص ١٤٥.

(٢) باقر، طه، مقدمة، ج ٢، ص ٢٤٦.

(3) Kuhrt, A., The Ancient Near East 3000-330 B C, P.317- 318.

(٤) بورتر، هارفي، موسوعة مختصر التأريخ القديم، ص ٩٧.

(٥) ذكر لنا الفرعون المصري تحوتمس الثالث في نصوصه اسماء ١١٩ مدينة تقع الآن في فلسطين وسوريا قام بالسيطرة عليها وبعضها ما زال يحمل نفس الاسم القديم. انظر:

طه، حمدان، "العلاقات ما بين مصر وكنعان في العصر البرونزي"، المؤتمر الخامس عشر للآثار والتراث الحضاري في الوطن العربي، (دمشق، ٢٠٠٠)، ص ٢٢٠ وما بعدها.

(٦) حتي، فيليب، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ص ٨٨-٨٩. وحول بقية المدن الفينيقية انظر:

ابو عساف، علي اثار الممالك القديمة، ص ٤١٠.

(٧) حتي، فيليب، المصدر نفسه، ص ٩٢.

على نشوء مثل تلك التحالفات بين المدن ذلك الحلف الذي تزعمته قادش والذي تم سحقه من قبل الفرعون المصري طوطمس الثالث في موقعة مجدو الشهيرة عام ١٤٧٩ ق.م[١].

احتلت مدينة صور مركزاً مرموقاً بين المدن الفينيقية وتمتعت بقوة ونفوذ كبيرين وحكم ملوكها منطقة امتدت من جبل الكرمل في الجنوب وحتى منطقة طرابلس الحالية في الشمال[٢] وكان ملكها حيرام (٩٦٩-٩٣٦ ق.م) معاصراً للملك العبراني سليمان وتاجر معه حيث ساعده في بناء معبد الهيكل في اورشليم مقابل ما دفع الملك العبراني من ذهب وفضة وحبوب[٣].

أما عن علاقة الفينيقيين بالاشوريين فانهم كانوا يدفعون الجزية لهم ليضمنوا امن طرقهم التجارية، ولكن شلمنصر الثالث (٨٥٨-٨٢٤ ق.م) هاجم بعض المدن الفينيقية واستولى على عدد منها[٤]، في حين حاصر سرجون الثاني (٧٢١-٧٠٥ ق.م) مدينة صور لمدة خمس سنوات ولكنه لم يفتحها بعد ان أخضع سائر المدن الفينيقية الاخرى[٥]، ولعل اشهر حصار قاومته صور فيما بعد هو حصارها من قبل نبوخذ نصر الثاني (٦٠٤-٥٦٢ ق.م)[٦].

تألق الفينيقيون عبر تاريخهم بالتجارة البرية والبحرية[٧] على حد سواء فكانوا من الامم المتميزة في التاريخ والتي انشأت مستوطنات تجارية في البر والبحر وانتشرت مستوطناتهم في مختلف مدن عالم البحر المتوسط، ولكن كانت قرطاجة اكثر المستوطنات نجاحاً وان كانت احدثها عهداً اذ انها انشأت منذ القرن السادس ق.م امبراطورية ممتدة من ليبيا الى اعمدة هرقل (مضيق جبل طارق) تضم اليها مالطا وسردينيا وجملة مستوطنات اخرى في الساحل الاسباني الفرنسي[٨]، ويمكن القول ان قرطاجة عوضت وطنها الأم في صور وصيدا في عدم تمكنها من انشاء مملكة قوية موحدة بسبب ضغط المصريين والاشوريين[٩]، كما لها الفضل في انها طورت

---

(١) باقر، طه، مقدمة، ج ٢، ص ٢٤٣.

(٢) مرعي، عيد، التأريخ القديم، ص ١٤٨.

(٣) صموئيل الثاني/٥:١١، الملوك الأول/٥: وما يليه.

(٤) باقر، طه، مقدمة، ج ٢، ص ٢٤٥.

(٥) بورتر، هارفي، موسوعة مختصر التاريخ القديم، ص ١٠٠.

(6) Olmosted, A., History of Palestine And Syria, (New York. London, 1931), P. 533f.

بخصوص حصار صور انظر الفصل السادس ص ٢١٦ وما بعدها.

(٧) حول وصف تجارة الفينيقيين انظر حزقيال / ٢٧.

(٨) سوسة، احمد، العرب واليهود في التاريخ، (بغداد، ١٩٧٢)، ص ٢١.

(٩) بورتر، هارفي، موسوعة مختصر التاريخ القديم، ص ١٠٥.

حضارة جزرية خالصة ونشرتها وعمقتها[١] الى ان لاقت نهايتها على يد الرومان عام ١٤٦ ق. م[٢] .

اشتهر الفينيقيون كذلك بالملاحة البحرية فقاموا في بداية القرن السادس ق.م بالدوران حول افريقية بتكليف من الفرعون المصري نيخو الثاني (٦١٠-٥٩٥ ق،م)[٣] وقد جاءتنا نماذج من صور السفن الفينيقية من حدود ١٤٠٠ ق.م وهي مصورة في المآثر المصرية، كما قدموا مساعدة لحلفائهم في الحملات البحرية بتجهيزهم بالسفن ومنها ما قدموه الى الملك العبراني سليمان والملك الاشوري سنحاريب في حملتة على بلاد عيلام عام ٦٩٦ ق. م[٤].

اما اعظم انجاز حضاري قدمه الفينيقييون للبشرية فتمثل باختراعهم للأبجدية التي عرفت في اوغاريت في القرن الرابع عشر ق.م حيث اخذ الأغريق والرومان وغيرهم من الشعوب الابجدية واستخدموها في كتابة لغاتهم المختلفة[٥].

وبخصوص الديانة الكنعانية (الفينيقية) فكان اساسها عبادة القوى الطبيعية المنتجة والخصبة وهذه ميزة من مميزات المجتمعات الزراعية، حيث كان هناك الهان مهمان في عبادة الكنعانيين بوجه خاص والجزريين بوجه عام منشؤهما من عبادة الظواهر الطبيعية وتعرف باسماء مختلفة ولكنهما في جوهرهما: الهواء الأب والأرض الام، وكان اله الجو يعرف باسم ايل أو بعل بينما الآلهة الأم كانت تسمى عاشرة او عشترت[٦]، وقد عرف ايل بعدة اسماء وصفات وهي دلالة على مكانته المبجلة عند الفينيقيين فسموه ايضاً باسم (بعل لبنان) و(شميم) اي سيد السموات وظهر في صور باسم (بعل حمون) و(بعل صافون) وهي التسمية التي عرف بها في المناطق التي ضمتها قرطاجة الى سيادتها البحرية.

اما عشترت فهي آلهة الحب والأخصاب والربيع واحتلت عبادتها مكانة مرموقة عند الفينيقيين وفي سواحل البحر المتوسط التي كانت تحت سيطرة قرطاجة وعرفت فيها باسم

---

(١) بدوي، حسن، "ملامح الحضارة الفينيقية في الوطن العربي"، المؤتمر الخامس عشر للآثار والتراث الحضاري في الوطن العربي، (دمشق، ٢٠٠٠)، ص ٣٣٤.

(٢) بورتر، هارفي، موسوعة مختصر التاريخ القديم، ص ١٠٥.

(٣) مرعي، عيد، التاريخ القديم، ص ١٥٢.

(٤) باقر، طه، مقدمة، ج٢، ص ٢٥٠.

(٥) فريحة، انيس، ملاحم واساطير اوغاريت، (بيروت، ١٩٨٠)، ص ٢٧.

تشيركين، بولي، بركوفيتش، الحضارة الفينيقية في اسبانيا، ترجمة يوسف ابو فاضل، (بيروت، ١٩٨٧) ص ١٩٧ وما بعدها.

(٦) دوسو، رينيه، الديانات السورية القديمة، ترجمة موسى الخوري، (دمشق، ١٩٩٦)، ص ٣١ وما بعدها.

(تانيت)، ومعبد عشترت الرئيس كان في مدينة صور، وقد انتقلت عبادة هذه الالهة من الساحل السوري الى مصر. ومن الالهة الفينيقية المهمة الاخرى الاله (اشمون) وهو اله الشفاء الذي كانت له أهمية بارزة في مدينة صيدا[1]، وكذلك الأله رشف اله الحرب وسيد الصواعق الذي كان معبده الرئيس في جبيل وعرفت عبادته في مصر ايضاً[2]. لقد اسفرت التحريات الآثارية الحديثة في سورية الكشف عن معابد يرجع تأريخ البعض منها الى حدود عام (١٤٠٠-١٢٠٠ ق.م) في موقع ايمار (تل مسكنة)[3] وهي مكرسة لعبادة بعل وعشترت[4].

وعموماً فان الديانة الكنعانية (الفينيقية) لم تكن بالمستوى الحضاري الذي كانت عليه ديانة حضارة بلاد الرافدين ويتجلى ذلك في قسوة بعض طقوسها واهتمامها المبالغ فيه بالعناصر الجنسية، كذلك فأن تلك الالهة ليست محددة في صفاتها ووظائفها فكثيراً ما كانت تتبادل في الصفات والوظيفة حتى ليصعب على الباحث احيانا ان يعرف طبيعة الصلات بين تلك الآلهة وهذا يرجع ربما الى انعدام الوحدة السياسية بين المدن الفينيقية من جهة، ومن جهة اخرى الى انه لم يكن ثمة طبقة منظمة من الكهنة تستطيع تنظيم الديانة كما هو الحال في ديانة بلاد الرافدين[5].

---

(١) بدوي، حسن، المؤتمر الخامس عشر للآثار والتراث الحضاري في الوطن العربي، ص ٣٤٢.

(2) ANE T., 1969 P. 305

ولمزيد عن الديانة الكنعانية -الفينيقية انظر:

تشيركين، بولي، بركوفيتش، الحضارة الفينيقية في اسبانيا، ص ١٠٣ وما بعدها

(٣) مدينة تجارية قديمة تقع في موقع يلتقي فيه الطريق بين حلب والموصل بالفرات، ذكرت هذه المدينة في نصوص مدينة ماري، كذلك فقد عثر فيها على مجموعة من الرقم الطينية. ودمرت عام ١١٨٧ ق.م وقد جاء ذكرها في العصر الروماني والبيزنطي باسم بارباليوس (Barbalissos) وفي العصر الاسلامي باسم باليس (Balis) وهجرت نهائياً عام ١٢٥٩ م زمن الغزو المغولي. انظر: غولفن، ل، وآخرون، مسكنة باليس، معرض الآثار السوري الاوربي، (دمشق، ١٩٩٦)، ص ١٨٢ وما بعدها.

(4) RLA.,8, 1993, P 85ff

دنتز، جان ماري وغافليكوفسكي، ميشيل، المعبد السوري، ترجمة موسى ديب الخوري، (دمشق ١٩٩٦)، ص ٣-٤.

(٥) موسكاتي، سبتينو، الحضارات السامية القديمة، ص ١٢٧.

٢. **العبرانيون[١]:**

مثل العبرانيون الهجرة الجزرية الرابعة التي دخلت بلاد الشام وسكنت فيها بعد الأموريين والكنعانيين والآراميين اذ يتحول مسرح الأحداث الى الاقليم الجنوبي من البلاد اي فلسطين[٢] والتي يمكن تحديد حدودها بالاراضي الواقعة بين نهر الاردن والبحر المتوسط وتقع بين رأس الناقورة (سكالاتيروروم قديماً) على الساحل وعند جبل الشيخ حتى وادي العريش (نهر مصر قديماً) حيث تقع مدينة العريش المصرية (رينوكولوزا القديمة)[٣].

ومن المرجح ان العبرانيين قد دخلوا الى هذه المنطقة على ثلاث دفعات، كانت الأولى تتزامن مع تقدم الهكسوس والحوريين الى شرق البحر المتوسط في القرن الثامن عشر ق.م، في حين تحركت الثانية مع الهجرة الآرامية في القرن الرابع عشر ق.م، أما الثالثة والأخيرة فكانت تمثل خروجهم من مصر مع موسى ويشوع في أواخر القرن الثالث عشر ق.م[٤].

واستناداً لتلك الازمان المحتملة لتلك الهجرات الثلاث يمكن القول ان الهجرة الأولى قد وجدت الكنعانيين يؤلفون القسم الأعظم من السكان وكان الأموريين يستوطنون الجهات المرتفعة التي كانت قليلة السكان مما سهل على المهاجرين الجدد استيطانهم، كما كانت عدة أقوام اخرى غير جزرية كالفلسطينين والحوريين والحثيين تسكن معهم فاختلط العبرانيون بهؤلاء وبالاقوام الجزرية الاخرى التي كانت في المنطقة قبلهم ونتج عن ذلك العبرانيون الذين ورثوا عن الكنعانيين ثقافتهم[٥] وتعلموا منهم مقومات الحضارة بعد ان كانوا اقواما رُحَّل ولكن بعد اختلاطهم بالسكان

---

(١) اشتقت كلمة عبري بتحوير بسيط من كلمة (خابيرو) (عابيرو، أبيرو). وبذلك يكون معناه الخارج عن القانون والداخل بصورة لا شرعية والدخيل والعاصي، وربما يكون التحوير هذا مقصوداً للتفريق بين الخابيرو (العصاة من اهل البلاد) وبينهم. انظر: الأحمد، سامي سعيد، تاريخ فلسطين القديم، ص ١٥٧. وقد ورد ذكر العابيرو في برديتين مصريتين تعودان الى عهد رعمسيس الثاني، الأولى رسالة موجهة من موظف الى موظف آخر، وقد جاء فيها: (وأعط الجنود طعامهم وكذلك العابيرو والذين ينقلون الحجارة لبناء الملك رعمسيس) والوثيقة الثانية رسالة هي الاخرى، وقد جاء فيها قول كاتبها: ((اطعت ما امرني به سيدي قائلاً: اعط الجنود ارزاقهم والعابيرو الذين ينقلون الحجارة لهيكل الشمس الذي انصرفت اليه عناية رعمسيس.)) انظر: اليوسف، سامي يوسف، فلسطين في التاريخ القديم، عمان، ١٩٩٩، ص ٦٥.

في حين يخبرنا العهد القديم ان كلمة عبراني نسبة الى (عابر) الذي ينحدر من سام اكبر ابناء نوح. انظر سفر التكوين ١١،١٠.

(٢) حتي، فيليب، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص١٩٠.

(٣) الأحمد، سامي سعيد وجمال، رشيد أحمد، تاريخ الشرق القديم، ص٢٩١.

(4) Meek, T. J. Hebrew origins, (New York, 1963) P. 3f.

(٥) باقر، طه، مقدمة، ج٢، ص ٢٨٢.

عرفوا الاستقرار وبناء المنازل ثم تعلموا الزراعة والقراءة والكتابة حتى انهم تركوا الهجتهم الجزرية القديمة واتخذو من اللغة الكنعانية لغة لهم(١).

يكتنف الغموض بداية تأريخ العبرانيين اذ نقرأ في العهد القديم ان ابراهيم جدهم الأكبر اتي من مدينة اور العراقية عن طريق حران(٢) واقام مؤقتاً قرب حبرون (الخليل) وان ابنه اسحق انجب ولداً سماه يعقوب(٣) الذي فُضِل من بعد اقامته عدة سنين في (فدان آرام) على أخيه عيسو وتغير اسمه فاصبح اسرائيل(٤) وحصل عيسو على اسم آخر وهو آدوم (أي أحمر) وحل ورثته فيما بعد محل سكان منطقة جبل سعير وعرفوا بالأيدوميين(٥) وهكذا أخرج احفاد عيسو من العبرانيين كما أخرج اسماعيل وابناؤه حيث فضل عليه أخوه اسحق وبين اولاد يعقوب الاثني عشر كان يوسف الحادي عشر وهو الأبن الأكبر لراحيل وقد باعه أخوته لجماعة في مصر فارتفع شأنه في بلاد الفرعون المصري وبعد ان عاش احفاد يوسف واحفاد أخوته في مصر عدة اجيال رجعوا الى فلسطين تحت قيادة موسى(٦). .

ان ملخص تأريخ العبرانيين هذا ليس لدينا عنه اي نص تأريخي مطلقاً عدا العهد القديم والكتب المقدسة الأخرى، ولنا أن نعرف بأن هناك فارقاً زمنياً كبيراً بين الزمن الذي يعطيه العهد القديم لهذه الاحداث وتأريخ تدوينها في اواسط القرن العاشر ق.م وهذا يثير الشك في ما جاء في العهد القديم من ناحية الى جانب عرضه للأحداث باسلوب اسطوري يعتمد على الخوارق والقوى الألهية من ناحية ثانية(٧). وعلى اية حال فبعد تمكنهم من الدخول الى فلسطين اثر استيلائهم

---

(١) حتي، فيليب، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص١٩١.

(٢) تكوين ٣١:١١.

(٣) تكوين ٢٥: ٢٦.

(٤) تكوين ٢٥: ٢٣، ٢٧، ٣٤. من الجدير بالاشارة الى ان كلمة اسرائيل ذكرت لأول مرة في انشودة النصر المكتوبة على مسلة الفرعون المصري (مرين فتاح) بن رعمسيس الثاني والتي تم العثور عليها في طيبة حيث تحدث فيها عن انتصاراته على الاسرائيليين في حدود عام ١٢٢٩ ق.م انظر:
ابراهيم، نجيب ميخائيل، مصر والشرق الادنى القديم ١٩٦٦، ص ٢٧٦.
وحول تفاصيل العلاقة بين مصر وفلسطين في الحقبة الزمنية (٣٢٠٠-١٢٠٠ ق.م) انظر:
طه، حمدان، المؤتمر الخامس للآثار والتراث الحضاري في الوطن العربي، ص ١٩٩ وما بعدها

(٥) التثنية ٢: ٤،١٢،٢٢.

(٦) بورتر، هارفي، موسوعة مختصر التاريخ القديم، ص ١١١.
حول تاريخ العبرانيين انظر كذلك:
الشوك، علي، الاساطير بين المعتقدات القديمة والتوراة، (لندن، ١٩٨٧)، ص ١١ وما بعدها.

(٧) الأحمد، سامي سعيد، تاريخ فلسطين القديم، ص ١٥٧.

على بعض الممالك الواقعة في شرق الاردن اخذوا يتوغلون الى مناطق اخرى منها بالتدريج[١] ثم قاموا بتقسيم ما استولوا عليه من اراضي على قبائلهم الاثنتي عشرة[٢].

شكل العبريون يعد دخولهم لفلسطين اقلية ضئيلة نسبة الى السكان الاصليين في البلاد (اموريين وكنعانيين وفلسطينيين وغيرهم) حيث لاقوا مقاومة عنيفة من قبلهم[٣]، ونتيجة لذلك فقد ظهر بين العبريين وبصورة عفوية بعض الزعماء الذين يقودوهم في وقت الخطر والشدة على قبائلهم وقد سمي هؤلاء باسم القضاة وسميت هذه الحقبة الزمنية من التاريخ العبري باسم (عصر القضاة)[٤] وهو يشمل تقريبا الربع الأخير للقرن الاثني عشر والأرباع الثلاثة الاولى للقرن الحادي عشر[٥] وقد كان الفلسطينيون الذين سميت باسمهم ارض فلسطين من اشد الذين قاوموا العبرانيين واوقعوا فيهم هزائم شديدة[٦] وظلت اليد العليا لهم على العبرانيين الى زمن حكم اول ملك عبراني وهو شاؤول (في حدود ١٠٢٠-١٠٠٤ ق.م).

ان من أهم العوامل التي مكنت الفلسطينيين من الحاق الهزائم بالعبرانيين هو معرفتهم لمعدن الحديد الذي صنعوا منه اسلحتهم[٧]، ولكن ومنذ عهد داود (١٠٠٤-٩٦٣ ق.م) بدأت القوة الفلسطينية بالتضاؤل حيث انهم اندمجوا بالعبرانيين وبقية السكان الجزريين الآخرين وفقدوا كيانهم السياسي والثقافي المستقل[٨].

المملكة العبرانية:

حتمت الظروف التي مر بها العبرانيون في صراعهم مع سكان البلاد الاصليين، اضافة الى تاثرهم بالممالك المجاورة الى ظهور نظام الملكية عندهم حيث تم تعيين أول ملك عليهم وهو شاؤول في حدود (١٠٢٠-١٠٠٤ ق.م)[٩] والذي يعتبر عهده بداية تاريخ العبرانيين السياسي

---

(١) ابراهيم، نجيب ميخائيل، مصر والشرق الادنى القديم، ص ٢٧٧ وما بعدها. وحول تفاصيل استيلائهم على ممالك شرق الاردن. انظر:

هاردنج، لانكستر، اثار الاردن، ترجمة سليمان موسى، ط١، (عمان، ١٩٦٥)، ص ٢٦ وما بعدها.

(٢) الأحمد، سامي سعيد وجمال، رشيد أحمد، تاريخ الشرق القديم، ص ٣٠٦، وحول تفاصيل تقسيم المناطق بين القبائل. انظر:

ألأحمد، سامي سعيد، تاريخ فلسطين القديم، ص ١٧٠ وما بعدها.

(٣) الأحمد، سامي سعيد وجمال، رشيد أحمد، تاريخ الشرق القديم، ص ٣٠٦.

(٤) حول تفاصيل هذا العصر انظر سفر القضاة.

(٥) حتي، فيليب، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص١٩٥.

(٦) سوسة، احمد، العرب واليهود في التاريخ، ص٢٩٥.

(٧) ابراهيم، نجيب ميخائيل، مصر والشرق الادنى القديم، ص ٣٦٠.

(٨) باقر، طه، مقدمة...، ج٢، ص٢٨٧.

(٩) ابراهيم، نجيب ميخائيل، مصر والشرق الادنى القديم، ص ٣٥٦.

ولكنه لم يكن حاكماً كفوءاً حيث انه هزم في معركة ضد الفلسطينيين وقتل ابناؤه الثلاثة وجرح جرحاً خطيراً ثم انتحر وأُخذ سلاحه ووضع كقربان في معبد الألهة عشتار[١]، وتبع ذلك اختيار داود (١٠٠٤–٩٦٠ ق.م) ملكاً على العبرانيين والذي كان ملتحقاً بالفلسطينيين بعد هروبه من شاؤول قبل مقتله وذلك لشعوره بحقد شاؤول عليه لشعبيته الكبيرة[٢]، ومن اسباب اختيار العبرانيين لداود ملكاً عليهم كونه متزوج من ابنة الملك السابق اضافة الى شجاعته التي ظهرت عند التحاقه بالفلسطينيين ولأغرائه بتركهم[٣].

ان أول عمل أقدم عليه داود هو انه جعل اورشليم عاصمة له واستطاع ان يسجل انتصاراً على الفلسطينيين ثم ضرب المؤابيين والآدوميين وبعض من القبائل الآرامية في بلاد الشام واستطاع أن يوحد قومه في دولة قوية[٤]. وبموت داود يخلفه في الحكم ابنه سليمان (٩٦٣–٩٢٣ ق.م) حيث انه كان يشارك في الحكم نهاية حياة والده، وقد وصلتنا من حكمه بعض النصوص الكتابية التي كانت معاصرة للاحداث التي حصلت خلال حكمه ولو انها تمتاز بالمبالغة وقصر الاهتمام على العبريين واحوالهم وكثرة احداثها الاسطورية[٥].

لقد مثل حكم سليمان عهداً زاهراً ولكنه تميز بالاسراف مما لا يمكن لدويلة فتية ان تتحمل النفقات الكبيرة التي انفقها على بناء التحصينات الدفاعية والثكنات العسكرية والأهتمام بانشاء الاسطول البحري الضخم بمساعدة صديقه الملك الفينيقي (حيرام)[٦] واشتهر سليمان اكثر من ذلك في بناء المعبد المشهور باسم (هيكل)[٧] الذي استغرق العمل فيه سبع سنوات.

ان من اهم العوامل التي ساعدت سليمان على تثبيت حكمه استمرار مصر في ضعفها[٨] في حين كان الاشوريين يعانون من عدم وجود ادارة مركزية قوية[٩]، ولكن استطاعت

---

(١) صموئيل ١: ٣١، ١–١٠.

(٢) ابراهيم، نجيب ميخائيل، مصر والشرق الادنى القديم، ص ٣٥٦.

(٣) الأحمد، سامي سعيد وجمال، رشيد أحمد، تاريخ الشرق القديم، ص ٣٠٦.

(٤) بورتر، هارفي، موسوعة مختصر التاريخ القديم، ص ١٣٣.

(٥) ألأحمد، سامي سعيد، تاريخ فلسطين القديم، ص ١٨٨.

(٦) رو، جورج، العراق القديم، ص ١٦٣.

(٧) (hekallu) جاءت الى اللغة الكنعانية من السومرية (e-gal) انظر حتي، فليب، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص١٤٩ الهامش.

(٨) مرت مصر للمدة الواقعة من (١٠٩٠–٦٦٣ ق.م) بضعف في السلالات التي حكمتها وتشمل السلالات من ٢١ الى ٢٥. انظر: CAH, III, P. 30 ff كذلك انظر الخطيب، محمد حضارة مصر القديمة، (دمشق، ١٩٩٣)، ص ٥٣–٥٤.

(٩) ساكز، هاري، قوة آشور، ص ١٠٤.

مملكة دمشق الآرامية التخلص من نفوذ المملكة العبرانية[١]. ويمكن القول ان اسراف سليمان في الانفاق قد اثر تأثيراً مباشراً في انقسام هذه المملكة بعد وفاته عام ٩٢٣ ق.م[٢].

حالة المملكة بعد وفاة سليمان:

يحدثنا العهد القديم عن النزاعات والخلافات التي ظهرت بين القبائل العبرانية بعد وفاة سليمان وكان من نتيجة ذلك قيام دولتين، فكانت اسرائيل في الشمال ويحكمها يربعام وعاصمتها شكيم[٣] ثم ترزة (تل الفرعة الشمالي قرب نابلس)[٤] والسامرة[٥] وعدد قبائلها عشرة قبائل، في حين كانت مملكة يهوذا في الجنوب[٦] وتولى الحكم فيها رحبعام بن سليمان وعاصمتها اورشليم وعدد قبائلها قبيلتين فقط[٧]. واصبحت المملكتان متنافستين واحيانا عدوتين احدهما للأخرى وكانت التمردات والمكائد سمة من سمات الدولتين[٨].

المملكة الشمالية (اسرائيل):

من أهم مدن هذه المملكة ترصة والسامرة وشكيم ويقع جبل الكرمل في شمالها[٩]. يعتبر عومرى (٨٨٥-٨٧٤ ق.م) من اشهر ملوكها وهو الذي اسس مدينة السامرة وقد خلفه في الحكم احاب (٨٧٤-٨٥٢ ق. م) الذي دخل في حلف مع مملكة دمشق الآرامية في موقعة القرقار ضد

---

(١) بورتر، هارفي، موسوعة مختصر التاريخ القديم، ص ١٣٥.

(٢) حتي، فيليب، تأريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ص ٢٠٧-٢٠٨.

(٣) شكيم: نابلس الحالية تحريفاً عن اسمها اليوناني (نيابولس) اي المدينة الجديدة وتقع على بعد ٣٤ ميل شمال القدس. انظر: سوسة، احمد، العرب واليهود في التاريخ، ص ٤٧٩.

(٤)الاحمد، سامي سعيد، تاريخ فلسطين القديم، ص ١٩٩.

(٥) تقع السامرة على بعد ٦ أميال شمال غرب شكيم وهي سبسطية من اللفظة اليونانية (sebastos) بمعنى الموقر وهو الاسم الجديد الذي اعطي للمدينة على شرف اوغسطس عندما بناها من جديد هيرودس الكبير عام ٢٧ ق. م. انظر:

حتي، فيليب، تأريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ص ٢٠٩.

(٦) يفصل بين المملكتين الخط الذي يصل عجلون (قرب عمواس) ومكماش (مخماس) على بعد ٧ أميال شرق القدس. انظر: ألأحمد، سامي سعيد، تاريخ فلسطين القديم، ص ١٩٨.

(٧) الملوك ١، ١١: ٤-الملوك ١، ١٢:٢.

(٨) حتي، فيليب، تأريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ص ٢٠٨.

(9) Wright, G., and Filson, F., Historical Atlas To The Bible, fourth edition, (westminxter, 1953), plate VI.

الاشوريين عام ٨٥٣ ق. م وانتهى حكمه عندما قام أحد قادة جيشه (يهو) بثورة ضده حيث قضى عليه عام ٨٤٢ ق.م [١].

ومع تصاعد قوة الدولة الآشورية في عهد امبراطوريتها الثانية (٧٤٧-٦١٢ ق،م) استطاع تجلاثبليزر الثالث (٧٤٧-٧٢٧ ق.م) ان يجعل مملكة اسرائيل ومملكة يهوذا تحت السيطرة الاشورية ودفعت المملكتان هدايا الولاء لها[٢]، وفي عهد شلمنصر الخامس رفض ملك اسرائيل (هوشع) دفع الجزية بتحريض من مصر فقام الملك الاشوري بمحاصرة السامرة لثلاث سنوات ثم اكمل فتحها من بعده سرجون الثاني في حدود عام ٧٢١ ق.م واجلى اعداد كبيرة من رجالها وبذلك تحطمت مملكة اسرائيل وزالت من الوجود على يد الاشوريين[٣]. ومن الجدير بالذكر هنا ان سرجون قد جلب جماعات من السكان من بلاد بابل وعيلام ومن اجزاء بلاد الشام الاخيرة والجزيرة العربية لتحل محل الاسرائيليين الذين اجلاهم واسكن هؤلاء السكان في السامرة واختلطوا مع الاسرائيليين الذين بقوا في المدينة وسمي هؤلاء في تاريخ اليهود فيما بعد بالسامريين[٤].

المملكة الجنوبية يهوذا:

من اهم مدن هذه المملكة اورشليم، بيت لحم، عريقة، لاخيش، حبرون، وتمتد حتى صحراء النقب في الجنوب[٥] وشكلت في المنطقة الجنوبية من فلسطين كما اسلفنا واستمرت في الحكم لمد قرن وثلث بعد زوال المملكة الشمالية اسرائيل[٦] وقد تعرضت هذه المملكة مع بداية تشكيلها الى غزو الفرعون المصري شيشنك الأول الذي دخلها في السنة الخامسة من حكم ملكها

---

(١) بورتر، هارفي، موسوعة مختصر التاريخ القديم، ص ١٢٨-١٢٩. ومن الجدير بالذكر ان يهو نراه مصوراً في مسلة الملك الاشوري شلمنصر الثالث المعروفة باسم المسلة السوداء اذ تجده ساجداً يقبل الارض امام الملك الاشوري ويقدم له الجزية. انظر: باقر، طه، مقدمة...، ج٢، ص٢٩٢.

(٢) الملوك ٢: ١٧ وما بعده.

(٣) ساكز، هاري، عظمة بابل، ص١٤٣.

(٤) حتي، فيليب، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص ٢١٤. وحول الفعاليات الاشورية في بلاد الشام في عهد سرجون انظر:

علي، قاسم محمد، سرجون الاشوري (٧٢١-٧٠٥)، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة بغداد، ١٩٨٢)، ص ٧٣ وما بعدها.

كذلك انظر: ايلاي، جوسيت، "المدن الفينيقية والامبراطورية الاشورية في عهد سرجون الثاني"، سومر، م ٤٢، ج١- ٢، ١٩٨٦، ص ٧٤ وما بعدها.

(5) Wright, G., and Filson, F., Historical Atlas To The Bible, plate , VI.

محمد، قاسم محمد، التناقض في تواريخ وأحداث التوارة، (قطر، ١٩٩٢)، ص ٤٤٩.

(٦) بورتر، هارفي، موسوعة مختصر التاريخ القديم، ص١٤٣.

الاول رحبعام بن سليمان واستحوذ على كنوز معبدها[١] وقد صورت هذه الحملة من قبل فناني مصر القديمة على جدران معبد الكرنك[٢] وكان من نتيجة هذه الغزوة ان عقدت مصاهرة سياسية بين الطرفين حيث تزوج يربعام من أحد بنات الفرعون المصري[٣]، ولكن خلفاء شيشنك لم يستطيعوا الحفاظ على الوجود المصري في فلسطين مما ادى الى نهاية نفوذهم فيها[٤].

تعرضت المملكة الى الهجمات الاشورية وخصوصاً بعد زوال مملكة اسرائيل عام ٧٢١ ق.م كما مر بنا وأخذت تؤدي فروض الطاعة والولاء للآشوريين في اوائل حكم حزقيا (٧٢١-٦٩٣ ق.م) فاستطاعت ان تتوقى الهجمات الاشورية بشكل مؤقت[٥]، ولكن الامور لم تبقى على ما هو عليه فتمرد حزقيا فيما بعد بتحريض من مصر ضد الدولة الاشورية ونتيجة لذلك قام كل من سرجون وسنحاريب بسلسلة من الحملات العسكرية ضد المدن الفينيقية والفلسطينية وبلغت ذروتها في عام ٧٠١ ق. م عندما قام سنحاريب بمحاصرة عاصمة يهوذا اورشليم[٦] الان ان هذا الحصار لم يحقق النصر كما يخبرنا العهد القديم بسبب تفشي الوباء[٧] الذي ربما كان الطاعون اذ اشار بعض الباحثين الى ان ملك مصر قد ارسل فئراناً لنشر ذلك الوباء بين صفوف الجيش الاشوري[٨].

ومهما يكن من أمر فان مدناً عديدة تقع بجوار اورشليم تم فتحها، وبقي حزقيا على عرشه مقابل دفع هدايا الولاء للملك الاشوري[٩] الذي جلب معه قائمة طويلة بالغنائم التي تدل على ثراء المدن الفلسطينية[١٠]. وقد بقي حزقيا مواليا لسنحاريب وابنه اسرحدون من بعده حيث مر اسرحدون في فلسطين عندما شرع يفتح مصر[١١].

---

(١) الملك الأول ١٤: ٢٥-٢٦.

(٢) ابراهيم، نجيب ميخائيل، مصر والشرق الادنى القديم، ص ٤٢٥.

(٣) حتي، فيليب، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص ٢١٥.

(٤) الأحمد، سامي سعيد، تاريخ فلسطين القديم، ص٢١٣.

(٥) بورتر، هارفي، موسوعة مختصر التاريخ القديم، ص ١٤٧.

(6) Luckenbill ,D. D.,ARAB, 2, No. 5-9-29-235-239.

(٧) اخبار الايام ٣٢.

(٨) ابراهيم، نجيب ميخائيل، مصر والشرق الادنى القديم، ص ٤٣٣.

(9) Luckenbill ,D. D., ARAB, 2, No., 312.

(10) Olmosted, A., History of Palestine nad Syria, P. 264.
ANET, 1969, P. 288.

(11) Luckenbill ,D. D., ARAB, 2, No., 521 f.

وفي عهد اشوربانيبال بقيت المدن الفلسطينية على ولائها السابق حتى أخر سنوات الدولة الاشورية وسقوط نينوى عام ٦١٢ ق.م[١].

أما في عهد الدولة البابلية الحديثة (٦٢٦-٥٣٩ ق.م) فقد ترددت مملكة يهوذا بين سياسة الخضوع لها وبين سياسة التحالف مع مصر ونتيجة لذلك فقد شهدت حملات عسكرية من قبل الملك الشهير نبوخذنصر الثاني (٦٠٤-٥٦٢ ق.م)[٢]

ولابد لنا ونحن نختتم هذا العرض السريع لتأريخ العبرانيين ان ننوه ببعض الأوجه الحضارية في حياتهم، وكما اوضحنا انفاً فان العبرانيين اخذوا من الكنعانيين لغتهم وحروفهم الهجائية وتعلموا الزراعة منهم[٣].

وفي مجال الديانة كانت صفات (يهوه) الأله الرسمي للعبرانيين فيها الكثير من صفات (بعل) الكنعاني[٤] مع تأثرهم الواضح بالموسيقى والتراتيل الدينية الكنعانية، كما كانت عادات الدفن وعقائد ما بعد الموت مشابهه لتلك التي كانت عند الكنعانيين[٥].

وينبغي علينا القول ان تأثير العبرانيين في الحضارة الانسانية يكاد ينحصر في الناحية الدينية في مسألة الوحدانية التي تبلورت وتطورت عندهم وكان من افرازات تأثيرها الديانة المسيحية[٦]، كما ان اقامة اليهود في بابل بعد الجلائين لهم في عامي ٥٩٧ و ٥٨٦ ق.م اعطتهم فرصة للأطلاع على اداب وفنون حضارات منطقة الشرق السومرية البابلية واليونانية المتعلقة بمفهوم الحياة والموت والكون والثواب والعقاب والملاحم البطولية والشعرية والتنبؤات الغيبية، وبالتالي التأثر بها وبرز هذا التأثير واضحاً في مدوناتهم التأريخية والدينية والأدبية التي ظهرت في كتب التوراة والتلمود[٧] وهذ ما حدد صيغة توجهها اليهودية واكسبها عدائية في منهجها وانغلاقاً في علاقاتها بالديانات والاقوام الاخرى.

---

(1) Olmosted, A., History of Palestine nad Syria, P. 506-507.

انظر الفصل السادس ص ١٩٩ وما بعدها.

(٢) حتي، فيليب، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ص ٢١٨.

انظر الفصل السادس ص٢٠٧ وما بعدها.

(٣) حتي، فيليب، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ص ٢٢١.

(٤) باقر، طه، مقدمة...، ج٢، ص ٣٠٠.

(٥) حتي، فيليب، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ص ٢٢٣.

(٦) باقر، طه، مقدمة...، ج٢، ص ٣٠١.

(7) Grayson, A. K., “Akkadian propheeies”, Bibliae Oriente, vol 25, 1964, P. 10.

علي، فاضل عبد الواحد، من الواح سومر الى التوراة، ص ٢٤٣-٢٤٤.

وحول كلمة تلمود فهي كلمة بابلية من المصدر (lamadu) وتعني علم وبذلك يصبح معنى التلمود (التعليم).

انظر: AHw.P. 531

المبحث الاول
العصـور المبـكرة

لمحة عن تنقيبات عصور قبل التاريخ في بلاد الشام:

ان الاهتمام بدراسة عصور ما قبل التاريخ في بلاد الشام بدأ في اوساط مجموعة من علماء اوربا وامريكا منذ بداية القرن العشرين حيث قام هؤلاء بوضع الاطار العام لدراسات عصور ما قبل التاريخ في هذه المنطقة[١]. وتمخضت اعمالهم التنقيبية الفردية الأولى عن وضع تقارير بسيطة ذات معلومات محدودة، ومن اهم هؤلاء الذين وضعوا تلك الدراسات الأولية هو الانجليزي تورفيل بتري (Turville Petre) الذي اجرى حفرياته في مغارة الزطية في جبال الجليل بفلسطين عام ١٩٢٥م، ثم تبعته في العمل بعثة امريكية–انجليزية مشتركة برئاسة كل من ت– جارود (T. Garoad) و ت. مكاون (T. Mc Cown) قامت باجراء تنقيبات اثارية في كهوف الواد والسخول والطابون وقام في الوقت نفسه الفرنسي ر. نيوفيل (R. Newville) باجراء حفريات اثارية في عدد من مواقع ما قبل التاريخ ومنها ام قطفة الذي يقع بين مدينة بيت لحم والبحر الميت في فلسطين، وكذلك الألماني الفرد رست (A. Rust) في ملاجيء يبرود الواقعة في منطقة جبال القلمون المتاخمة لجبال لبنان الشرقية ما بين عامي ١٩٣٠– ١٩٣٣م[٢].

وبعد الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩–١٩٤٥) زاد الأهتمام من قبل البعثات الآثارية للاستدلال على مواقع بلاد الشام في تلك العصور، ومن أهم تلك التنقيبات الاثارية في هذه المرحلة الزمنية هو ما قام به العالم الأمريكي روبرت بريدوود (R. Braidwood) من حفريات في سهل العمق في شمال غربي سوريا[٣]. كما قام كل من هنري دي كونتنسون (Henri de Contenson) وجيمس ميلارت (J. Mellart) في عام ١٩٥٣م باجراء حفريات ومسوحات اثارية في مواقع تل الشونة الشمالية وتل او هابيل وتل السعيدية في منطقة غور الاردن[٤]، كذلك قامت كاثلين كنيون (K. Kenyon) بتنقيبات اثارية في موقع تل السلطان بالقرب من اريحا[٥].

ومع بداية الستينات من القرن العشرين بدأت مسوحات اثارية في منطقة شمالي وسوريا وقد كانت تحت اشراف الهولندي فان لير (Van Liere) حيث اكتشف عدد من مواقع قبل التاريخ

---

(١) كفافي، زيدان، الاردن في العصور الحجرية، ص٧٢.

(٢) كفافي، زيدان، بحوث المؤتمر الخامس عشر للأثار والتراث الحضاري في الوطن العربي، ص ٥١.

(3) Braidwood, R. and Braidwood, L., Excavation In The plan of Antioch (Chicago, 1960).

(4) Contenson, H., "Three soundings in the Jordan valley", Annual of Department of Antiquities of Jordan, 4-5 (1960), p. 12 ff.

(5) Kenyon, K., Digging up Jericho, (London, 1957).

وكان من أهمها موقع اللطامنة في حوض نهر العاصي[١]، كذلك ما قامت به الانجليزية ديانا كيركبرايد (D. Kirkibride) في تنقيبات عدد من مواقع غور الأردن[٢].

لقد ازداد الاهتمام بدراسات عصور ما قبل التاريخ لمنطقة بلاد الشام خلال عقود السبيعينات والثمانينات والتسعينات من القرن الماضي حيث اصبح هناك تركيز على تلك الدراسات وكان من نتيجة ذلك الاهتمام المتزايد اكتشاف عدد كبير من المواقع التي تعود الى العصور الحجرية في مناطق متعددة من بلاد الشام والتي احتوت على بقايا عظمية وحجرية تدل على معرفة سكان تلك المواقع بالزراعة وتدجين الحيوان[٣]، ولعل أهم المشاريع الدراسية التي جرت في بلاد الشام هو ما قام به الفرنسيون باشراف العالم جاك كوفان (J. Cuvan) في منطقة الكوم في البادية السورية والقرماشي في حوض نهر العاصي وفي منطقة حوض الزرقا وحوض الازرق في الاردن، وكان الهدف من تلك الدراسات التوصل الى ان منطقة بلاد الشام بمواقعها المختلفة والمنتشرة في (اقطارها) الحالية تقع في اطار حضاري واحد وهذه دلالة على تماسك الوحدة الحضارية للمنطقة باسرها[٤].

العصور الحجرية:

واستناداً الى تلك الدراسات وما تم تحليله من ملتقطات ومتحجرات ودراسة تقنية صناعة الآلات والآدوات الحجرية التي عثر عليها ثم تقسيم العصور الحجرية في بلاد الشام الى عدة مراحل زمنية هي:

١. العصور الحجرية القديمة (Palaealithic)

أ. المرحلة الاولى (حوالي ١.٥٠٠.٠٠٠–١٠٠.٠٠٠ سنة مضت)

ب. المرحلة الثانية (حوالي ١٠٠.٠٠٠–٤٠.٠٠٠ سنة مضت)

ج. المرحلة الثالثة (حوالي ٤٠.٠٠٠–١٩.٠٠٠ سنة مضت)

٢. المرحلة الانتقالية بين الانسان الجامع للقوت وبين الانسان المنتج للقوت وبوادر الزراعة (Epi- palaeolithic) وتشمل الثقافات التالية:

---

(١) لير، فان وكونتانسون، "مذكرة عن خمسة مواقع من اول الدور الحجري الحديث في سوريا"، ترجمة عدنان البني، الحوليات السورية، (م١٣، ١٩٦٣) ص ٢٧٢ وما بعدها.

(2) Kirkbride, D. A. "Neoltithic site at wadi el – Yabis", Annual of Department of Antiquities of Jardan, 3, (1959), p. 56 f.

(٣) كوفان، جاك، الالوهية والزراعة ثورة الرموز في العصر النيوليثي، ترجمة موسى الخوري، (دمشق، ١٩٩٩)، ص ٣١ وما بعدها.

(٤) كفافي، زيدان، المؤتمر الخامس عشر للاثار والتراث الحضاري في الوطن العربي، ص ٥٣.

أ. الثقافة الكبارية (حوالي ١٧.٠٠٠-١٠.٠٠٠ ق.م)[١]

ب. الثقافة النطوفية (حوالي ١٠.٠٠٠-٨.٥٠٠ ق.م)[٢]

٣. مرحلة القرى الزراعية (Neolithic)

وتقسم الى مرحلتين فرعيتين.

أ. العصر الحجري الحديث المبكر (حوالي ٨٥٠٠-٥٥٠٠ ق.م)

ب. العصر الحجري الحديث المتأخر (حوالي ٥٥٠٠- ٤٠٠٠ ق.م)

٤. القرى الزراعية الحرفية في العصر الحجري النحاسي (حوالي ٤٠٠٠-٣٢٠٠ ق.م)[٣].

أما بخصوص اقدم بقايا الآنسان العظمية في بلاد الشام فكان يعتقد سابقاً انها تعود لأنسان من نوع نياندرتال وهي التي وجدت في كهوف جبل الكرمل مثل مغارة الطابون ومغارة السخول في فلسطين[٤]، ولكن التنقيبات الحديثة التي جرت في سوريا ابانت ان أقدم بقايا عظمية لأنسان عاش في هذه المنطقة تعود لأنسان من النوع المعروف باسم الهومو-ايركتوس (Homo - Erectus) والذي وجدت اثاره في حوض نهر الكبير الشمالي على الساحل[٥] وكذلك عثر على بقايا هذا النوع من الانسان في تل العبيد[٦] في فلسطين وكانت عبارة عن جمجمة بشرية واثنين من الاسنان كبيرة الحجم[٧]، كما عثر في حوض نهر العاصي على ادوات حجرية تمثل قواطع وفؤوس يدوية وشظايا يعود تاريخها الى الدور الاشولي من العصر الحجري القديم الادنى، ولكن ليس لدينا دليل أخر من مواقع سورية اخرى على ان مثل هذا النوع من الانسان قد سكنها[٨]. ومما تجدر الاشارة اليه هنا الى انه لم يعثر لحد الان على بقايا انسانية عظمية في العراق تعود

---

(١) سميت بهذه التسمية نسبة الى مغارة كبارا على بعد ١٥ كم الى الجنوب من جبال الكرمل في فلسطين.

(٢) نسبة الى وادي النطوف في فلسطين.

(٣) كفافي، زيدان، الاردن في العصور الحجرية، ص ٧٢.

(٤) باقر، طه، مقدمة...، ج ٢، ص ٢٢٨.

(٥) محيسن، سلطان، "سورية في عصور ما قبل التاريخ"، معرض الاثار السوري الاوربي، (دمشق، ١٩٩٦)، ص ٢١.

(٦) يقع هذا التل في منتصف الضفة الغربية لوادي الاردن تقريبا عند التقاء وادي العمود بنهر اليرموك على بعد ٣ كم جنوب بحيرة طبرية. انظر

غريبة، عز الدين اسماعيل، "الحضارة العبيدية في فلسطين"، سومر، (م ٤٥، ١٩٨٧-١٩٨٨)، ص٩٩ وما بعدها.

(٧) المصدر نفسه.

(٨) محيسن، سلطان، معرض الاثار السوري الاوربي، ص ٢١.

لهذا العصر، ولكن عثر على ادوات حجرية تعود الى الدور الاشولي وهو الدور الثالث من ادوار هذا العصر في الموضع المعروف باسم برده بلكا في شمال العراق قرب جمجمال[١].

وفي العصر الحجري القديم الأوسط (حوالي ١٠٠.٠٠٠-٤٠.٠٠٠ سنة مضت) حل انسان من نوع نياندرتال محل انسان (الهومو-ايركتوس) حيث كشف عن بقاياه في مغاور جرف العجلة والدوارة في تدمر وفي موقع ام التلال في حوض الكوم وملاجيء يبرود في ضواحي دمشق[٢] وفي مغارة الديدرية في وادي عفرين شمال غرب حلب اذ عثر في هذه المغارة على اكمل الهياكل النياندرتالية التي تم العثور عليها غي بلاد الشام لحد الان[٣].

وقبل ان ينتقل الانسان في بلاد الشام الى العصر الحجري الحديث انتقل من العصر الحجري القديم الى مرحلة زمنية فاصلة بين العصرين (القديم والحديث) وهي المرحلة المعروفة في تاريخ العراق القديم باسم العصر الحجري الوسيط، بينما اطلق عليه في بلاد الشام اسم الدور (النطوفي) وتعاصره قرية زاوي-جمي في الشمال العراقي[٤].

لقد عثر على اولى البقايا الاثارية والادوات الصوانية الخاصة في هذا الدور في كهف الشقبه الواقع في وادي النطوف بالقرب من القدس[٥]، مما حدا بالباحثين ان يعتبروا هذا الدور خاصاً بفلسطين وحدها دون غيرها من مناطق بلاد الشام، ولكن هذا الرأي لم يعد مقبولاً الآن خاصة بعد اعمال التحريات والتنقيبات الآثارية الحديثة والتي اظهرت ان لهذا الدور انتشاراً واسعاً امتد من سواحل البحر الابيض المتوسط الجنوبية وحتى بلاد الاناضول في الشمال مروراً بمناطق الاردن والبادية السورية وحوض الفرات[٦]، ومن مواقع هذا الدور تلك التي تقع في البقاع (جبل السيدية) ومريبط على الضفة الشرقية من نهر الفرات شرق حلب ووادي فلاح[٧].

استطاع الانسان في نهاية هذا الدور من تحقيق الانجاز العظيم بمعرفته للزراعة وتدجين الحيوان مع بداية الالف التاسع ق.م حيث كانت بلاد الشام احد مراكز العالم القديم التي شهدت ظهور القرى الزراعية الولى في العصر الحجري الحديث[٨] وبقي الباحثون وحتى نهاية الثمانينات

---

(١) باقر، طه، مقدمة، ج١، ص ١٥٢.

(٢) محيسن، سلطان، معرض الاثار السوري الاوربي، ص ٢١.

(٣) بوناتز، دومينيك، وآخرون، الأنهار والبوادي-التراث الحضاري للجزيرة السورية وما حولها، ترجمة هلا عطورة، (دمشق، ١٩٩٩)، ص ١٧.

(٤) كفافي، زيدان، المؤتمر الخامس عشر للآثار والتراث الحضاري في الوطن العربي، ص ٦٥.

(٥) باقر، طه، مقدمة...، ج٢ ، ص٢٢٩.

(٦) كوفان، جاك، الألوهية والزراعة...، ص ٣٩.

(٧) الدباغ، تقي ووليد، الجادر، عصور قبل التاريخ، (بغداد، ١٩٨٣)، ص ١٦٤.

(٨) محيسن، سلطان، معرض الاثار السوري الاوربي، ص ٢٢.

من القرن الماضي، يستشهدون بوادي النطوف فقط عند الحديث على تلك الحقبة التاريخية التي شهدت معرفة الزراعة وتدجين الحيوان والواقعة ما بين الألف العاشر والألف الثامن ق. م متجاهلين مواقع اخرى احتوت على بيوت دائرية مثل (عين الملاحة) في فلسطين و(رأس زين) و(رأس حريسة) في صحراء النقب وهي قرى مضاهية الى ما عثر عليه لاحقاً في مريبط وبقرص وابي هريرة في سوريا[١]. في حين ادى التعرف الى عمارة مستوطن نمريك في اعالي نهر دجلة بالقرب من ناحية فايدة شمالي العراق الى حدوث تجديد في الافكار السابقة حول الحضارة النطوفية باعتبارها حضارة محلية خاصة بفلسطين حيث ابان هذا الموقع بانه موقع له علاقة في المرحلة التي شهدت الانتقال من جمع القوت الى بدايات انتاجه وكذلك الأمر ينسحب على موقع (قرمز دره) قرب تلعفر في الموصل والذي هو يضاهي في زمنه المرحلة التي سبقت انتاج القوت، ولذلك كان هناك تشابه وتقارب زمني واضح بين المواقع الشامية في فلسطين وبين مواقع شمال العراق[٢].

ومع بداية دخولنا الى العصر الحجري الحديث في بلاد الشام يظهر لنا موقع اريحا (تل السلطان) الواقع الى الشمال من منطقة البحر الميت والذي نقب من قبل عدة بعثات اجنبية ولمرات عديدة وكان من أهم نتائج تلك التنقيبات هو تثبيت العصر الحجري الحديث في المنطقة وتم التمييز بين مرحلتين مختلفتين في صناعة الفخار مع رصد سور دفاعي بالقرب من المستوطن[٣]، والحقيقة ان موقع اريحا يمثل ثقافة لها خصوصيتها وسماتها المميزة وقد انتشرت هذه الثقافة الى مواقع تقع الى الشرق منها والى جنوب شرق اسيا الصغرى[٤].

لقد قسم العالم جاك كوفان (J.Cuvan) العصر الحجري الحديث في بلاد الشام تقسيما خاصاً يعتمد على ثلاث مراحل تاريخية وكما يلي:

١) العصر الحجري الحديث (القديم): وزمنه حوالي (٨٧٠٠-٨٢٠٠ ق.م)
٢) العصر الحجري الحديث (الاوسط): وزمنه حوالي (٨٢٠٠-٧٥٠٠ ق.م)
٣) العصر الحجري الحديث (الحديث): وزمنه حوالي (٧٥٠٠-٧٠٠٠ ق.م)

---

(١) سعيد، مؤيد، "العصر الحجري الحديث–فترة ما قبل الفخار في العراق وبلاد الشام"، بحوث المؤتمر الخامس عشر للأثار والتراث الحضاري في الوطن العربي، (دمشق، ٢٠٠٠)، ص ١٦٠.

(٢) المصدر نفسه. وحول نتائج التنقيبات في نمريك وقرمز دره انظر:
Stefan, K. and Kozlowski et. al., "A preliminary report on the third season 1987 of polish excavations at Nemrik 9, Saddam dam salvage project", (Sumer, 46, 1989-1990), P. 19 ff.

(٣) الدباغ، تقي ووليد، الجادر، عصور قبل التاريخ، ص ١٦٢-١٦٣.

(٤) كوفان، جاك، الألوهية والزراعة...، ص ١٢٤.

وتعاصر هذه المرحلة الاخيرة من هذا العصر قرية جرمو الزراعية في شمال العراق اذ شهدت هذه المرحلة التحول الكبير الى الزراعة وتدجين الحيوان والتي امتدت الى المناطق الساحلية والمعتدلة المناخ من سوريا الشمالية والى البادية الداخلية[١].

لقد تمثل هذا العصر في عدة مواقع ومنها مريبط وتل ابو هريرة وتل الرماد في سوريا ومجدو (تل المتسلم) الواقع في شمال جبل الكرمل في فلسطين حيث اوضحت التنقيبات التي تم اجراؤها في تلك المواقع خلال السبعينات والثمانينات من القرن الماضي[٢] عن حدوث تغيرات جذرية في البنية الاقتصادية للأنسان في انتاجه للقوت أو في الممارسات الطقسية مثل عبادة (الألهة الام) و(الثور المقدس)[٣]، وكذلك في ممارسة عقيدة عبادة الاجداد او ما تسمى (عبادة الجماجم)[٤].

ومع بداية التسعينات من القرن العشرين تم اجراء تنقيبات جديدة في مواقع اثارية تقع في وادي الفرات السوري ومنها ما قامت به بعثة اسبانية سورية مشتركة عملت في موقع (حالوله) الذي يقع على الضفة اليمنى لنهر الفرات قرب مدينة جرابلس الحالية. واظهرت نتائج تلك التنقيبات على ان حالولة كانت موقعاً استمر فيه السكن بين الألف العاشر وحتى دور حلف في الالف السادس ق.م وقدم هذا الموقع معطيات جديدة منها اقتصادية في معرفتة للزراعة والتدجين، ومنها تقنية في طريقة صناعة ألات وادوات حجرية جديدة تستخدم في الحياة اليومية بعد معرفة الأنسان للعملية الزراعية في هذا الموقع[٥].

واذا ما انتقلنا الى موقع (أم التلال) في حوضة الكوم في سورية الوسطى بين تدمر والفرات نرى ان هناك تسلسلاً نموذجياً في الطبقات الآثارية يعطيه هذا الموقع من خلال تتابع السكن فيه منذ العصر الحجري القديم الادنى وحتى ظهور الرعاة الاوائل والفلاحين في العصر الحجري الحديث وقد اتاح هذا التسلسل الزمني الاستثنائي والطويل للموقع دراسة تطور المهارات التقنية للأنسان في صنع آلاته وأدواته الحجرية ومعرفة السلوك الأقتصادي للجماعات التي عاشت فيه منذ السكن الأول وحتى ظهور الأنسان العاقل فيه[٦].

---

(١) كوفان، جاك، الألوهية والزراعة...، ص ١٢٤وما بعدها.

(٢) اوتس، ديفيد وجون، نشوء الحضارة، ترجمة لطفي الخوري، (بغداد، ١٩٨٨)، ص ٣٥ وما بعدها.

(٣) محيسن، سلطان، معرض الاثار السوري الاوربي، ص ٢٢.

(٤) كوفان، جاك، الألوهية والزراعة...، ص ١٢٤.

(٥) موليست، ميغيل، "العصر الحجري في الالف التاسع والثامن ق. م في شمال سورية– نتائج التنقيبات في تل حالولة (وادي الفرات، سورية)"، الحوليات السورية، (م ٤٣، ١٩٩٩)، ص ٢٥٣ وما بعدها.

(٦) من تقارير البعثة السورية– الفرنسية– الاسبانية المشتركة العاملة في موقع حالولة والمحفوظة في قسم التنقيبات–المديرية العامة للآثار والمتاحف السورية.

يمثل تل بقرص (٦٤٠٠-٥٩٠٠ ق.م) الواقع على بعد ٤٠ كم جنوبي مدينة دير الزور على الضفة اليمنى للفرات الاوسط مستوطنا مثالياً من مستوطنات العصر الحجري الحديث حيث عثر في هذا الموقع على اسس لبيوت سكنية عديدة مبنية بالطين وتشكل صفين متقابلين مع بعضها وفي داخل تلك البيوت عثر على مواقد للطبخ وتنانير للخبز ومجموعة من الاقداح الحجرية التي تتشابه بطرازها الفني والتقني على ما عثر عليه في تل الصوان وأم الدباغية في بلاد الرافدين[١] اذ يميل بعض الباحثين الى الاعتقاد بأن مثل هذه الصناعة الحجرية هي صناعة ينفرد بتقنيتها صناع بقرص وانتقلت منهم الى مواقع بلاد الرافدين السالفة الذكر. ومهما يكن من امر فان تلك الصناعة اعطتنا دليلا اكيداً وثابتا على وجود صلات حضارية وعلاقات تجارية ما بين بلاد الرافدين وبلاد الشام في هذه المرحلة الومنية المبكرة من التاريخ وخصوصاً مع قرية جرمو من خلال تشابه اشكال الآلات والأدوات الحجرية المكتشفة فيها مع مثيلاتها في بقرص[٢]. فضلاً عن ذلك فان مستوطنة تل الدامشلية في وادي البليخ في سوريا الشمالية وموقع تل اسود المجاور لها تعطي لنا تشابهاً واضحاً في فخارياتها مع فخار يارم تبه وام الدباغية شمال العراق[٣]، كما ان نماذج لأشكال فخارية أخرى عرفت في شمال سوريا واعالي الفرات في وادي الرافدين تعود فتظهر في الساحل الفلسطيني مما يدلل على وجود تأثير واضح لهذه النماذج امتد الى مواقع لبنان حيث عثر على اشكال منها في جبيل تعود بزمنها الى العصر الحجري الحديث واستمرت في الاستعمال في عصر فجر السلالات[٤].

ان انتشار الفخار ذو الصفات المشتركة في مناطق عديدة من بلاد الرافدين وبلاد الشام لم يكن بمحض صدفة انما هو دليل مادي على قيام صلات بين التجمعات السكنية في هذه المنطقة منذ العصور الحجرية القديمة حيث بدأت تتوضح الدلائل المادية على وجود وشائج وصلات بين تلك التجمعات اعتباراً من العصر الحجري الحديث بعد تزايد الفعاليات البشرية نتيجة الاستقرار الذي حتمه الاهتداء للزراعة وتدجين الحيوان وبالتالي نشوء المجتمعات الزراعية[٥]، وهذا ما توضحه التنقيبات الحديثة التي بدأت عام ١٩٩١م في تل خزنة II الواقع على بعد ٢٥كم شمال شرق الحسكه، فمن خلال النماذج الفخارية المكتشفة في هذا التل

---

(١) شترومنغر، ايفا، "جولة في تاريخ الحضارة السورية"، الآثار السورية، (فينا، ١٩٨٥) ص١٩ وما بعدها.

(٢) كونتنسون، هـ وفان، ليري، "تقرير أولي عن اول عملية سبر جرت في بقراس سنة ١٩٦٥"، الحوليات السورية، (م١٦، ١٩٦٦)، ص ٧٢.

(٣) اكرمانز، بيتر، "التنقيبات الأثرية في (تل الدامشلية)، مستوطنة من العصر الحجري الحديث في وادي البليخ-سوريا الشمالية"، ترجمة شوقي شعث، الحوليات السورية، (م٢٦-١٩٨٦،٣٧-١٩٨٧)، ص ٢١٦.

(٤) فرانكفورت، هنري، فجر الحضارة في الشرق الادنى، ترجمة ميخائيل خوري، (بيروت، ١٩٥٩)، ص ٤٠.

(٥) فرانكفورت، هنري، فجر الحضارة في الشرق الادنى، ص٤١.

تتوضح لنا الصلات الحضارية بين بلاد الرافدين وبلاد الشام في هذه المرحلة الزمنية واكدت لنا نتائج التنقيبات على وجود حلقة وصل بين ما يسمى بـ (حضارة تل سوتو)[١] والتي كانت تسبق زمنياً دور حسونة مع مراكز الحضارات الزراعية في شرق سوريا حيث ان نشوء المجتمعات الزراعية متصلة ببعضها من هذا الموقع حتى شمال بلاد الرافدين يبرهن على تكون نظم للأتصالات التجارية والحضارية فيما بين تلك المراكز[٢].

لقد جلبت بعض المواد الاولية التي كانت تفتقر اليها بيئة بلاد الرافدين من بلاد الشام مثل المرمر وبعض الاحجار مثل الفيروز وبعض انواع من اصداف البحر المتوسط والتي وجدت كميات منها في بعض من قبور الدفن في بلاد الرافدين، كما وجدت انواع من الحجارة الخضراء ومواد أخرى كالاخشاب التي كانت متوفرة في بيئة بلاد الشام، ومن المعتقد ان الطريق الذي كانت تنقل عبره تلك المواد كان يمر في السهول الداخلية ماراً بمنطقة اعالي الجزيرة في الاماكن الواقعة بين تلول بقرص ومريبط وطابات الحمام على الفرات الاعلى باتجاه نينوى وحسونة وام الدباغية في جزيرة العراق الشمالية، لذلك كانت تلك المواد في تل الرماد بسوريا وفي اريحا الفلسطينية وقرية جرمو العراقية من نفس الدور تتشابه مع بعضها البعض من حيث طرازها وصناعتها[٣].

أما على صعيد المعتقدات الدينية في العصر الحجري الحديث فقد دلت المكتشفات الآثارية التي جرت منذ الستينات من القرن الماضي ان هناك اهتماما واضحاً \بالجماجم البشرية حيث اصبحت تلك الجماجم لا تدفن وانما كانت تفصل عن الرأس وتعامل بالجص وتثبت على تماثيل طينية ويحتفظ بها بتقديس داخل بيوت السكن. لقد وجدت مثل هذه الجماجم في مواقع عديدة مثل اريحا والبيضا وبيسامون وابو غوش في فلسطين وقرمز ديره في العراق وابو هريرة وتل الرماد في سوريا وهذا يؤكد على ان هذه العقيدة (عبادة جماجم الأموات) قد سادت على امتداد المواقع الشامية وصولاً الى مواقع اعالي دجلة في شمال العراق ما بين الالف التاسع

---

(١) يمثل هذا التل اقدم الحضارات الزراعية المعروفة في السهول الاشورية والتي أرخ اقدم اطوارها من قبل منقبيها الروس الى حوالي ٦٠٠٠ ق.م وتمثل بقايا التل قرية صغيرة متأخرة. انظر:
ساكز، هاري، قوة آشور، ص ٢٦-٢٧.

(٢) منشاييف، رؤوف ونيقولاي، ميربرت، "أصول اقدم الحضارات الزراعية في شمال شرقي سورية وتطورها"، تعريب هالة مصطفى، الحوليات السورية، (م ٤٣، ١٩٩٩)، ص ٢٦٧ وما بعدها.

(٣) عبد الله، محمد صبحي، العراق وبلاد الشام الصلات الحضارية والسياسية منذ عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية العصر البابلي ، ص ١٤٨.

والسابع ق. م، وهذا دليل آخر على الصلات الحضارية فيما بين المنطقتين في مجال العقائد والطقوس الدينية[١].

وينبغي علينا القول هنا ان النتاج الحضاري وابتداءاً من العصر الحجري الحديث وبوجه عام في منطقة الشرق القديم بدأت تتضح فيه ظاهرة الاتصال الحضاري بين مختلف اقاليمه بعد ان بدأ الانسان يخرج من نطاق دائرته المحلية ويتصل بالتجمعات السكانية المجاورة له فاكتسب تجارب اوسع وتأثرت التجمعات السكانية لهذه المرحلة بعضها مع بعض مما أدى الى بلورة مجتمعات في اطار مقومات حضارية خاصة بها حيث ظهرت مثل هذه الخصوصية الحضارية جلية في بداية العصور التاريخية فيما بعد.

ينتهي العصر الحجري الحديث في العراق في حدود عام ٥٦٠٠ ق. م ليبدأ العصر الحجري المعدني والذي تشير تسميته الى حقيقة ان سكان وادي الرافدين بدأوا يعرفون استعمال المعادن[٢]، في حين تشير الأدلة الآثارية الى ان معرفة المعادن قد تأخر نسبياً في بلاد الشام الى حدود ٤٠٠٠ ق.م[٣] فكان التقدم الحضاري خلاله تدريجياً ولم يظهر مرة واحدة وبصورة واضحة في كل مكان، ووضح هذا التقدم في منطقة البحر الميت وشمال النقب وساحل البحر المتوسط[٤] وعمت في اكثر المناطق الشامية حضارة متماثلة عرفت باسم (الحضارة الغسولية) نسبة الى اسم (تليلة الغسول في السهل الممتد شمال البحر الميت وشرق نهر الاردن)[٥] .

لقد اجريت اعمال التنقيبات في مواقع متعددة للكشف عن الحضارة الغسولية، فوجدت اثارها في اريحا ومجد و(تل المتسلم) والعفولة وبيت شان (بيسان) ولاخيش (تل الدوير) واوغاريت وجبيل (بيبلوس)[٦] حيث اتضح من نتائج اعمال التنقيبات ان الحضارة الغسولية في فلسطين تقابل حضارة حلف في بلاد الرافدين والبداري في مصر[٧].

---

(١) محيسن، سلطان، "الوحدة الحضارية في الوطن العربي القديم-عصور ما قبل التاريخ"، بحوث المؤتمر الخامس عشر للآثار والتراث الحضاري في الوطن العربي، (دمشق، ٢٠٠٠)، ص ١٧-١٨. كذلك انظر: كول، سونيا، ثورة العصر الحجري الحديث، ترجمة تقي الدباغ ونادية الدبوني، (بغداد، ١٩٨٨)، ص ٣٩. وللتوسع حول عبادة جماجم الاموات انظر: سعيد، أحمد، "عقائد الدفن وعبادة الاسلاف فيما قبل التاريخ في الشرق الادنى القديم"، دراسات في اثار الوطن العربي، ج١،(القاهرة، ٢٠٠٠)، ص ٧ وما بعدها.

(٢) باقر، طه، مقدمة...، ج١، ص ٢٠٧.

(٣) غريبة، عز الدين، فلسطين تأريخها وحضارتها، (بغداد، ١٩٨١)، ص ٧٦.

(٤) الأحمد، سامي سعيد، تاريخ فلسطين القديم، ص ٦٨.

(٥) باقر، طه، مقدمة...، ج٢، ص ٢٣١

(٦) حتي، فيليب، تأريخ سورية ولبنان وفلسطين، ج١، ص٢٧.

(٧) غريبة، عز الدين اسماعيل، فاسطين تأريخها وحضارتها، ص ٧٩.

حدثت في هذا العصر سلسلة من التطورات الحضارية وامكن حصرها في ادوار تتميز بطرز صناعة اوانيها الفخارية، وكذلك فان هذا العصر قد تميز بازدياد القرى الفلاحية واتساعها وكانت نواة للمدن التي برزت لنا في العصور التأريخية التالية وكانت السمة المهمة لهذه العصر ان الزراعة اصبحت تعتمد على الري[١].

تعد منطقة نهر الخابور هي الميدان الاول والمهم لأحداث هذا العصر في سوريا، في حين كانت مواقع حسونة وسامراء وحلف شمالاً والعبيد والوركاء وجمدة نصر جنوباً هي أهم مواقع هذا العصر بالنسبة لبلاد الرافدين[٢]، وقد اثبتت الابحاث الآثارية والانثروبولوجية عن وجود صلات حضارية بين بلاد الرافدين وبلاد الشام في دور حسونة اذ اشارت الدراسات الانثروبولوجية الى ان الجماجم التي تمت دراستها من موقع حسونة تشبه تلك الجماجم التي عثر عليها في جبيل (بيبلوس) وأريحا والتي تكون اسنانها طويلة وهي صفة يتميز بها جنس البحر المتوسط ذي الرؤوس الطويلة ايضاً وهذا يبرهن لنا على وجود نوع من الصلات البشرية بين سكان المنطقتين[٣]، ولا يستبعد ان تكون المنطقة الممتدة من البحر المتوسط الى المنطقة الشمالية من العراق قد سكنت من قبل جماعات ذات أصل عرقي واحد او حصلت تنقلات بين المجاميع السكانية من منطقة الى اخرى[٤].

ويقدم لنا موقع جوخه مامي[٥] الذي يعود الى دور سامراء دليلاً حضاريا أخيراً يشير الى الصلات الحضارية القوية بين شمال العراق وسوريا ويتمثل هذا الدليل بالرؤوس المصبوغة ذات العيون التي تشبه حبة القهوة وتكون اهدابها ملونة، فضلاً عن القبعة المخروطية وبعض انواع الحلي مثل سدادات الأنف او الشفه ومثل هذا الطراز الفني للتماثيل نجده شائعاً في مواقع سورية مثل شاغار بازار وتل حلف وفيما بعد وجدت مثل هذه النماذج في مواقع بعيدة اخرى مثل جطل هيوك في اسيا الصغرى وتبه سراب في غرب ايران وهذا يؤكد الصلات الحضارية بين شمال العراق والاقطار المجاورة له[٦].

---

(١) باقر، طه، مقدمة...، ج٢، ص ٢٠٧–٢٠٨.

(٢) العطار، نادر، "منطقة الخابور الأثرية"، الحوليات السورية، (م٢، ١٩٥٢)، ص ١٠٨ وما بعدها.

(٣) رو، جورج، العراق القديم، ص ٩٠.

(٤) الأحمد، سامي سعيد، العراق القديم، ج١، ص١٨٢.

(٥) تقع هذه القرية في محافظة ديالى على مسافة قريبة الى الشمال من قضاء مندلي الحالي. أنظر:
Oates, J. “Prehestoric invistigation near Mandali”, IRAQ, vol 30,1968, P.3.

(٦) لويد، ستين، اثار بلاد الرافدين، ترجمة سامي سعيد الأحمد، (بيروت، ١٩٨٠)، ص ٩٥.

كما زودتنا نتائج التنقيبات التي جرت في موقع حمام التركمان وصبي ابيض على البليخ في عام ١٩٨٦ بفخاريات ذات تقنية صناعية متأثرة بفخاريات سامراء العراقية واوضحت صلة منطقة البليخ الشامية مع بلاد الرافدين في هذا الدور الحضاري[١].

---

(1) Akkermans, P., "Tell Sabi Abyad", P. 36f and Meijer, D., Tell Hammam AL-Turkman, 1992 P. 109f in chronique Archeologique en Syrie, vol I, (Damas, 1992).

كذلك انظر:-

لون، موريتس فان وآخرون، "نتائج حفريات موسم ١٩٨٦ في حمام التركمان وصبي ابيض"، الحوليات السورية، م٣٦-٣٧، ١٩٨٦-١٩٨٧، ص ٢٠٣.

المبحث الثاني
الألفان الخامس والرابع قبل الميلاد

بدأ الاختلاف الحضاري الاوسع بين شمال بلاد الشام وجنوبها مع نهاية الالف السادس ق.م، أي مع بداية ما يعرف بالطبقة C من منطقة العمق اذ اننا نجد ان المنطقة الشمالية قد اصبحت تحت تاثير اكبر بحضارة بلاد الرافدين وبدأ ما يعرف حضاريا بدور حلف[١] حيث كان هذا الدور هو بداية انتقال بلاد الشام الى العصر الحجري المعدني، في حين تابعت التجمعات السكانية في كل من فلسطين والاردن تقاليد العصر الحجري الحديث[٢]، فمنذ منتصف الالف السادس ق.م استوطنت مناطق شمال وشرق سوريا من قبل جماعات تثقفت حضاريا فيما بعد بحضارة حلف وتطوروا بشكل متزامن مع اخوانهم في شمال بلاد الرافدين حيث كانت المواقع الحلفية في سوريا ترادف حضارياً مواقع بارم تبه II [٣] والأربجية[٤] في بلاد الرافدين.

لقد قامت بين سكان تلك المواقع صلات حضارية نتج عنها تبادل صناعة الاواني الفخارية العالية الجودة والمهارة حيث تعلمت تلك المجاميع السكانية في بلاد الشام صناعة مثل هذا الفخار الجميل وصنعوا على غراره فخاراً خاصاً بهم[٥] ويتجلى ذلك واضحاً في سهل العمق اذ اجاد سكان تل الشيخ مثل هذه الصنعة التي عثر على انواع منها في مرسين في تركيا مما يشير الى تصديره الى تلك المنطقة[٦]، كما وجدت فخاريات هذا الدور في عدة مواقع سورية اخرى ومنها تبه حمام وحماه وكركميش وتل الحمام وتل مفش وتل اسود وتل زيدان وشاغار بازار وتل براك ورأس شمرا وتل رفعت[٧].

---

(١) يعتبر هذا الدور من الادوار الحضارية المهمة بالنسبة لبلاد الرافدين وبلاد الشام على حد سواء ولقد سمي بهذه التسمية نسبة الى تل خلف (كوزان القديمة) على نهر الخابور. وقد امتاز بفخاره الجيد الصنع على الرغم من صناعته اليدوية ونقب هذا الموقع من قبل الاثاري ليو اوبنهايم بين عام ١٩١١-١٩١٣ م ومرة ثانية عام ١٩٢٩م. انظر:

Oppenheim, A. L., Der Tell Halaf, (chicago, 1931)..

(2) Braidwood, R., and L. Braidwood, Excavation In The plan of Antioch, P. 104.

(٣) يقع هذا التل جنوب غربي تلعفر بنحو ٥ كم وقد نقبت فيه بعثة اثارية روسية وكانت برئاسة الاستاذ مونجايف. انظر:

باقر، طه، مقدمة...، ج١، ص ٢١٢.

(٤) وتسمى في الوقت الحاضر بـ (تبة رشوه) وتقع على بعد ٨ كم شمال شرق نينوى. انظر

الدباغ، تقي، "الثورة الزراعية والقرى الاولى"، حضارة العراق، ج١، (بغداد، ١٩٨٥)، ص ١٣٢.

(٥) محيسن، سلطان، عصور ما قبل التاريخ، (دمشق، ١٩٨٧)، ص٣٧٣.

(٦) ابو عساف، علي، اثار الممالك القديمة في سورية، ص ١١١.

(٧) كسار، أكرم محمد، عصر حلف في العراق، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة بغداد، ١٩٨٢)، ص ٤٢ وما بعدها. كذلك انظر: مالوان، ماكس، مذكرات مالوان، ص ١١٣ وما بعدها.

ان من أهم المواقع الحلفية هو ما تم استظهاره من قبل البعثة الهولندية في تنقيباتها الآخيرة هو موقع (خربة الشنف) الواقع في الجزء الشمالي من ووادي البليخ في الجزيرة السورية ويؤرخ هذا الموقع الى حوالي ٤٨٠٠ ق.م واستظهرت فيه مجموعة ابنية دائرية قطر الواحدة منها يزيد عن ٤م، وكذلك عثر على فخاريات ذات مستوى فني رفيع في صناعتها ومجموعة من الخرز والادوات الصوانية والمغازل والهاونات ودمى ادمية وحيوانية[١].

لقد كانت ميزة هذا الدور هو البيوت الدائرية المقببه ذات المدخل المستطيل والتي تسمى ثولي (Tholoi) ومن امثلتها البيوت التي تم استظهارها من قبل البعثة الاسبانية في تل حالولة عام ١٩٨٩م وقبلها ظهرت في المواقع السورية الحلفية التي ذكرناها انفاً[٢]، فيما وجدت عشرة بيوت من هذا النوع في بلاد الرافدين في موقع الاربجية وفي تبه كورا[٣] (ط ٢٠) وكذلك في يارم تبه[٤]، حيث انها كانت مستديرة في شكلها ومشيدة من الطين على اسس من الحجارة تبلغ اقطارها من ثلاثة عشر الى ثلاثين قدماً وهي تشكل بمجموعها شكل خلايا النحل ولها سقف مقبب ومعقود وفيها مداخل امامية بهيئة غرف مستطيلة[٥]، ولكن هذه البيوت كانت خالية من المخلفات والأثاث لذلك لم يهتدِ الباحثون الى وظيفتها الرئيسة على الرغم من ان هناك رأي في انها تمثل اماكن عبادة[٦]، ويدعم هذا الرأي البيت الصغير الذي كشف عنه في موقع تل اسود في حوض البليخ حيث وجدت فيه مصطبة ربما كانت مخصصة لتقديم القرابين وجمجمة ثور وعظام حيوانية، ولهذا فانه اعتبر بناءاً دينياً، واذا ما صح هذا الرأي فان هذا البناء يمثل المعبد الأول في سوريا لأنه يعود الى النصف الثاني من الالف الخامس ق.م[٧].

لقد ظن بعض الباحثين ان هذا النوع من الابنية مصدره بحر ايجه لوجود ما يشابهها في الجزر اليونانية، ولكن بعد جملة التنقيبات التي جرت في بلاد الرافدين وبلاد الشام والتي استظهرت اسس تلك البيوت في مواقع الاربجية ويارم تبه وتبه كورا، وفي جملة من المواقع السورية ومنها تل الرماد ومريبط وشمس الدين (شمال مريبط) اتضح وبشكل اكيد ان اصل هذه البنايات هو ابتكار محلي ولم يأتِ الى المنطقة من الخارج، ولذلك فانها تمثل امتداداً حضارياً

---

(١) اكرمنس، ب.، "تل صبي ابيض"، معرض الاثار السورية الاوربي، ص٣٣.

(٢) موليست، م، تل حالولة، معرض الاثار السوري الاوربي، ص ٤١.

(٣) تبعد عن مدينة الموصل الحالية خمسة عشر ميلاً باتجاه الشمال والشمال الشرقي. انظر:
Speiser, E., Excavation at Tepe cura, vol. I, 1935, P. 2.

(٤) لويد، ستبن، لويد، ستبن، اثار بلاد الرافدين، ص ٨٥.

(5) Mallawan, M. and Rose, J. "Excavation at tell Arpachia", IRAQ. 1933, vol, 2, P. 45.

(6) Hijara, I, "The new graves at Arpachiyah", world Archaeology, vol, 10, No. 2, 1978, P. 127.

(٧) محيسن، سلطان، عصور ما قبل التأريخ، ص ٣٧٣-٣٧٤.

وطرازاً معمارياً خاصاً بالمواقع السورية والعراقية التي اكتشفت فيها[١]، ومن الجدير بالذكر هنا ان مثل هذه الابنية موجودة في وقتنا الحاضر وهي تمثل البيوت السكنية لقرية تل يونس الحالية بالقرب من حلب في الشمال السوري[٢].

اما بخصوص الطقوس الدينية فان تقديس تماثيل الالهة الام التي وجدت اعداد من تماثيلها في مواقع تبه كورا وحلف ويارم تبه وفي بلاد الاناضول ومواقع اعالي الفرات في جاغار بازار في بلاد الشام ومنها عبرت الى بلاد اليونان في العصور اللاحقة وبذلك فان هذا الانتشار الواسع يشير اشارة واضحة على قيام صلات بشرية وحضارية بين بلاد الرافدين وبلاد الشام[٣]. وأخيراً نرى وجود بعض الاختام من النوع المنبسط في بعض المواقع السورية على غرار ما وجد في المواقع الحلفية العراقية القديمة وهذه صلة اخرى من الصلات الحضارية بين البلدين[٤].

وعموماً فقد كانت حضارة حلف دوراً ممهداً لجملة من التغييرات الحضارية والاجتماعية التي ستظهر لاحقاً في دور العبيد.

دور العبيد:

مهدت عمليات انتاج القوت بصورة اوسع مما كانت عليه في دور حلف الى تشكيل مستوطنات منظمة منذ منتصف الالف الخامس ق. م لتمثل رابع ادوار العصر الحجري المعدني والذي اطلق عليه اسم العبيد نسبة الى اسم موقع تل العبيد الأثري في جنوب بلاد الرافدين وبهذا ينتقل مركز الثقل الحضاري والاقتصادي من الشمال الى الجنوب[٥]، فيما مثلت تبه كورا قرب مدينة الموصل مستوطناً عبيدياً شمالياً. وانتشرت المستوطنات العبيدية بشكل اوسع من حضارة حلف حتى شملت مناطق الخليج العربي اضافة الى النصف الشمالي من بلاد الشام[٦]. وكذلك بعض مناطق ايران[٧]. ويمكن القول ان مع بداية دور العبيد ظهر التجانس الحضاري للمشرق

---

(١) ابو عساف، علي، اثار الممالك القديمة في سورية، ص ٨.

(2) Fortin, M., Syria Land of civilizations, (Quebec, 1999), P. 136-137.

استنادا الى نتائج التنقيبات فقد تم تحديد تاريخ عصر حلف في سوريا بحوالي ٥٨٠٠ ق.م في حين يعود تاريخه في العراق الى حوالي ٥١٠٠ق.م ولهذا يمكن القول ان البيوت الدائرية قد امتد تاثير طرازها المعماري من سوريا الى العراق انظر:-

Brentijes, B. Von Schanidar bis Akkad, (Berlin, 1968), PP. 232-233.

(٣) محيسن، سلطان، بحوث المؤتمر الخامس عشر للآثار والتراث الحضاري في الوطن العربي، ص٢١-٢٢.

(٤) هول، فرانك، "تقرير اولي عن حفريات (أم قصير) على الخابور موسم ١٩٨٦"، ترجمة خالد الاسعد، الحوليات السورية، م٣٦-٣٧، ١٩٨٦-١٩٨٧، ص ١٢١-١٢٢.

(٥) بوناتز، دومينيك وآخرون، الانهار والبوادي...، ص ٣٩-٤٠.

(٦) ابو عساف، علي، اثار الممالك القديمة في سورية، ص ١٠٩-١١١.

(٧) باقر، طه، مقدمة...، ج١، ص ٢٨٨. وحول المستوطنات العبيدية في الخليج العربي انظر:-
Oates, J., "Ubaid Mesopotamia and its Relation to Gulf Counters, (Oxford, 1978), PP. 39-52.

العربي القديم بصورة اكثر وضوحاً من الادوار السابقة، بل ان هذا التجانس قد تجذر وتبلور على الصعيدين الحضاري والاقتصادي والديني[1] حيث مثل دور العبيد بداية ظهور المدن خصوصاً في جنوب العراق بعد أن شهدت هذه المرحلة التأريخية انتعاشاً اقتصادياً بسبب اعتماد الزراعة على الري، كذلك ظهرت الابنية المخصصة للعبادة بصورة واضحة ولأول مرة وهذا ما كشفته التحريات التي جرت في مدينة أريدو حيث لعب المعبد دوراً مهماً في التنظيمات الأدارية والاقتصادية والأجتماعية[2]، وبهذا يكون العبيديون أول من بنى العمارة الدينية بمعناها الدقيق بعد أن اقاموا معابدهم على مصاطب مرتفعة وبنوها وفق المخطط الثلاثي العناصر (Tripartite) والذي يتألف من صالة مركزية في الوسط يحيط بها صفان من الابنية على الجانبين حتى اصبح هذا المخطط (الثلاثي) تقليداً بنيت على طرازه العديد من معابد الشرق القديم في العصور اللاحقة[3]. في حين شكلت المصاطب التي بنيت عليها تلك المعابد قواعد لفكرة الزقورة التي ارتبطت بمعابد العراق القديم فيما بعد[4].

أما فخاريات دور العبيد فانها تمتاز بوجه عام انها من النوع الملون ولكنها كانت احادية اللون (Monochrome) وقوام زخارفها خطوط سوداء اللون مائلة الى الزرقة او سمراء او حمراء قاتمة، وعموماً فان فخاريات هذا الدور ليست بالجمالية والتقنية العالية في الصناعة التي كان عليها فخار دور حلف[5]، في حين ظهرت لدينا في هذا الدور بعض الاشكال الفخارية الجديدة ومنها أواني مزدوجة التحدب ذات صنبور طويل يطلق عليها اسم (عظم ظهر السلحفاة) حيث يتواجد هذا الشكل من الاواني الفخارية في عموم المستوطنات العبيدية العراقية مع اختلافات محلية بسيطة[6].

واذا ما انتقلنا الى المواقع الاثارية العبيدية في سوريا فان التنقيبات الاثارية تظهر لنا وجود تنظيمات مدنية في منطقة الجزيرة (البادية السورية الشرقية) وقد مثل تل براك مركز

الهاشمي، رضا، المدخل لآثار الخليج العربي، (بغداد، ١٩٨٠)، ص ٩٩ وما بعدها.

(١) محيسن، سلطان، بحوث المؤتمر الخامس عشر للآثار والتراث الحضاري في الوطن العربي، ص٢٢

(٢) باقر، طه، مقدمة...، ج١، ص٢٢١.

لويد، ستين، اثار بلاد الرافدين، ص ٤٦.

(٣) محيسن، سلطان، بحوث المؤتمر الخامس عشر للآثار والتراث الحضاري في الوطن العربي، ص٢٢.

(٤) سعيد، أحمد، "نشأة الديانة ما بين الترحال والاستقرار خلال العصور الحجرية في بعض بلاد الشرق الادنى"، بحوث المؤتمر الخامس عشر للآثار والتراث الحضاري في الوطن العربي، (دمشق، ٢٠٠٠)، ص١٢٩.

(٥) باقر، طه، مقدمة...، ج١، ص ٢٢٨.

(٦) رو، جورج، العراق القديم، ص ٩٨.

الأحمد، سامي سعيد، العراق القديم، ج١، ص ١٩٢-١٩٣.

الاشعاع الحضاري لمنطقة نهر الخابور في هذه المرحلة الزمنية[١] بعد ان اضمحلت حضارة حلف وحلت محلها الحضارة العبيدية منذ النصف الاول من الالف الرابع في بلاد الشام ووصل تأثيرها الى جنوب اسيا الصغرى[٢].

ويعد موقع تل مشنقة السوري الواقع على مسافة ٣٠ كم جنوب الحسكة موقعاً عبيدياً نموذجياً يعطينا الدلائل على العلاقات والوشائج الحضارية التي كانت بين سكانه وسكان بلاد الرافدين في ذلك الوقت حيث ابانت نتائج تنقيبات البعثة الدانماركية التي عملت فيه منذ عام ١٩٩٠م ان هناك مجموعة من السكان قد وصلت الى هذا الموقع بحدود عام ٥٠٠٠ ق.م قادمة من جنوب العراق وهي تحمل معها تقاليد الحضارة العبيدية ثم استقروا على ضفة نهر الخابور الذي كان شريان حياتهم[٣].

ان أهم ما تم العثور عليه في هذا الموقع هو جزئين من نموذج لزورق يشبه في طرازه الزورق الذي عثر عليه سابقاً في مدينة أريدو التي هي أحد المدن العبيدية في جنوب العراق، وقد اكد الدكتور مادسن (Madsen) بان هذا الزورق كان عبيدي الاصل وذلك بعد التحليل الدقيق لشكل الزورق ومقارنته بزوارق اخرى والمواد التي صنع منها، وعموما كان شكل الزورق طويلاً وضيقاً وقدر طوله (٥-٧م) وهو بهذا يستطيع حمل مجموعة قد تكون عائلة صغيرة، ومن الجدير بالذكر هنا ان هذا النوع من الزوارق ما زال يستخدم من قبل سكان أهوار جنوب العراق وهو المعروف محلياً باسم (المشحوف)[٤].

وتشير طريقة دفن الموتى التي عرفت من خلال العثور على مجموعة قبور في هذا الموقع الى انها كانت مشابهة لطريقة الدفن في القبور العبيدية التي تم الكشف عنها في بلاد الرافدين في وضع الجثة داخل القبر على شكل وضعية الجنين او كما تسمى بالملمومة او القرفصائية (Contracted)[٥]، وقد وضحت مثل هذه الطريقة في الدفن ايضاً في موقع حمام التركمان على البليخ[٦]، كما عرفت في مواقع تليلات الغسول في فلسطين وابو حامد في غور الاردن[٧].

---

(١) بوناتز، دومينيك، وآخرون، الانهار والبوادي...، ص٤٠.

(٢) محيسن، سلطان، عصور ما قبل التأريخ، ص ٣٧٤.

(٣) تويسن، آ. ، "تل مشنقة"، معرض الاثار السوري الاوربي، (دمشق، ١٩٩٦)، ص٥١.

(٤) المصدر نفسه، ص ٥٢.

(٥) باقر، طه، مقدمة..، ج١، ص ٢٣٢.

(٦) لون، موريتس وأخرون، الحوليات السورية، م ٣٦-٣٧، ١٩٨٦-١٩٨٧، ص ٢٠٧.

(٧) كفافي، زيدان، المؤتمر الخامس عشر للآثار والتراث الحضاري في الوطن العربي، ص ٨٤.

ان ما قدمه موقع تل مشنقه من دلائل اثارية واضحة تشير وبكل تأكيد الى ان اصول التجمعات السكانية التي سكنت في البادية الشرقية السورية كان اصلهم سكان عبيديون جاءوا من جنوب بلاد الرافدين، ولم يقتصر سكن العبيديين على البادية السورية الشرقية بل وجدت فخارياتهم في الطبقة الثالثة (B) في اوغاريت على الساحل السوري حيث اظهرت تلك الطبقة المرحلة الانتقالية بين دور حلف والعبيد، في حين تظهر الطبقة الثالثة (C) الاواني الفخارية العبيدية الخالصة كالجرار والقدور، كما اوضحت التنقيبات التي اجريت في موقع المجامع في منطقة القنيطرة عن وجود بعض المستوطنات العبيدية استناداً الى الفخاريات التي تم العثور عليها في هذا الموقع[١].

العصر الشبيه بالكتابي (الالف الرابع ق.م)[٢]:

تتبلور الصلات الحضارية بين بلاد الرافدين وبلاد الشام بصورة اكثر وضوحاً واكثر دلالات في هذا العصر (٣٥٠٠-٢٨٠٠ ق.م) حيث لم تتحدد معالم تلك الصلات بصورة جلية في دوري الوركاء القديم والوسيط.

يعد هذا العصر مقدمة للحضارة السومرية الناضجة والمرحلة الاولى في تكوينها[٣]، وتعتقد الباحثة شترومنكر ومن خلال ابحاثها الاثارية ان مجموعة سكانية قدمت من جنوب بلاد الرافدين وسكنت في مواقع الشمال السوري او انها كانت على اتصال وثيق مع سكان بلاد الرافدين بحيث ان هناك جملة خصائص حضارية مشتركة تجعلنا نتأكد من هذه العلاقة الوثيقة في هذه المرحلة الزمنية[٤]، ولكننا نعتقد ان هذه الخصائص الحضارية المشتركة لم تأت بفعل هجرة سكانية بل كانت امتداداً طبيعياً للحضارة السومرية من بلاد الرافدين الى مواقع الشمال السوري حيث اثبتت التنقيبات الاثارية ان شمال سوريا وبلاد الرافدين وجنوب اسيا الصغرى تشترك في صفات وخصائص مشتركة في التحولات الثقافية والاجتماعية التي حصلت في هذا العصر اذ كانت الفخاريات الوركائية تنتشر في مستوطنات تلك المناطق بعد ان انتظمت العلاقات التجارية في هذه المرحلة الزمنية مع مجرى نهر دجلة وعبر جبل سنجار الى الخابور

---

(١) محيسن، سلطان، عصور ما قبل التاريخ، ص ٣٧٥-٣٧٦. انظر كذلك
Schaeffer, C.F.A., "Nouvelles Decouverts de Ras shamra", AAAS, (Toms. 8-9, 1958-1959) P. 131f.

(٢) اطلق مصطلح العصر الشبيه بالكتابي او الشبيه بالتاريخي على دور الوركاء الاخير ودور جمدة نصر واضيف لهما عصر فجر السلالات الأول. انظر باقر، طه، مقدمة...، ج١، ص ٢٣٦.

(٣) لويد، ستين، اثار بلاد الرافدين، ص ١٠١.

(٤) أحمد، محمود عبد الحميد، وآخرون، اثر الوطن العربي القديم، ص ٢٢٩.

والبليخ الى ان تصل نهر الفرات في سوريا قرب دير الزور والرقة ثم تستمر تلك الطرق شمالاً على طول نهر الفرات[١].

لقد اظهر لنا هذا العصر تطابقاً واضحاً بين بلاد الرافدين وسوريا الى درجة كبيرة وتمثل ذلك في العمارة والفنون والفخار والكتابة الصورية اذ اثبتت ذلك التنقيبات التي جرت في حوض الفرات الاوسط السوري والذي نشأت فيه مستوطنات مهمة تعود الى هذا العصر[٢] الذي لعبت فيه مدينة الوركاء العراقية الجنوبية دوراً كبيراً لأنها ذا اهمية اقتصادية ودينية وحضارية بحيث اصبحت تسمية العصر الشبيه بالكتابي تقترن باسم الوركاء في حين انها كانت تسمية خاصة بالدور الأول منه[٣]، بينما كان موقع تل براك الواقع على بعد ١ كم غربي نهر جغجغ[٤] احد روافد الخابور يتمتع باهمية خاصة بالنسبة لسوريا في هذا العصر لما قدمه من براهين تؤكد الامتداد الواضح لحضارة الوركاء في النواحي الثقافية والفكرية لبلاد الشام، ولعل ابرز ما تم اكتشافه في هذا الموقع هو المعبد المعروف باسم معبد العين والذي كانت جدرانه مزينة بالمخاريط الحجرية الملونة التي عرفت لأول مرة في تزيين الجدران الداخلية لمعابد مدينة الوزركاء في الالف الرابع ق.م واشتهرت باسم زينة (الفسيفساء)[٥].

اظهرت لنا التنقيبات الآثارية الحديثة التي جرت في سوريا أهمية مواقع أخرى تعود الى هذا العصر، ولعل من أهم تلك المواقع موقع حبوبة كبيرة على الضفة اليمنى للفرات الاوسط اذ لعبت هذه المدينة دوراً تجارياً هاماً منذ منتصف الألف الرابع ق. م لوقوعها على الطريق التجاري الذي يربط الشرق بالغرب[٦] وقد كشف عن ثلاث طبقات بنائية تعود الى المدينة التي تبلغ مساحتها حوالي ١٨ هكتار ويحيطها سور خارجي يبتديء بناءه من الطبقة الثانية، في حين كانت الطبقة الأولى منها غير مسورة[٧]. وتوضح اوجه الشبه في الطرز المعمارية وفنون الصناعات اليدوية التي ظهرت في كل من مدينتي حبوبة والوركاء على قيام صلات حضارية

---

(1) Mazzoni, S., “Tell Afis and Its region in the late chalcolithic period”, AAAS, (vol 43, 1999), P. 98.

(٢) محيسن، سلطان، عصور ما قبل التاريخ، ص ٣٧٧.

(٣) بوناتز، دومينيك، وآخرون، الانهار والبوادي...، ص ٤٣-٤٤.

(٤) اسمه القديم الهرماس. انظر:-

باقر، طه، مقدمة... ، ج١، ص ٤٧.

(٥) شترومنيغر، ايفا، "عصر فجر التاريخ"، الآثار السورية، (فينا، ١٩٨٥)، ص ٣٤.

Mallawan, M., IRAQ, vol 9, part I,1947, P. 32 f.

(٦)شترومنيغر، ايفا، ، الآثار السورية، ، ص ٣٢.

(7) Strommenger, E., “Habuba Kabira South Tell Qannas and Jebel Aruda” Ebla To Damascus (U.S.A. 1985) P. 86..

وثيقة بينهما منذ منتصف الالف الرابع ق.م[١]. ولعل اولى اوجه التشابه هذه هو سور المدينة المبني على طراز سور مدينة الوركاء مع ملاحظة ان سور مدينة حبوبة يمتاز بزوايا قائمة بينما سور الوركاء اتخذ الشكل الدائري، وكان سور حبوبة يحيط بها من كل جهاتها عدا الشرق حيث كان النهر[٢]. يبلغ عرض جدار سور حبوبة ثلاثة امتار وقد دعم بعدد من الابراج الدفاعية واتخذت واجهته من الخارج شكل الطلعات والدخلات وشيد امام هذا السور من الخارج جدار آخر له بوابتان مشيدتان وفق طراز معماري واحد وبنيت الى جانب كل منهما غرفة مخصصة للحرس وفيه عدد من الابراج الدفاعية، تسعة منها تمتد ما بين الزاوية الشمالية القريبة من الجدار والبوابة الشمالية، كذلك الحال فقد كانت هناك تسعة ابراج دفاعية اخرى بين الزاوية الجنوبية الغربية منه والبوابة الجنوبية[٣]، واذا لاحظنا سور الوركاء فاننا نلاحظ انه يتكون ايضاً من جدارين متلاصقين عرض الداخلي خمسة امتار والخارجي حوالي المترين ويلاصق السور من الداخل سلسلة من انصاف الأبراج ويبرز كل منها عن السور بما يقارب ٢.٥م وللسور مدخلان يقع الاول في الشمال والثاني في الجنوب[٤].

تتميز مدينة حبوبة بتخطيطها المتقن الذي يذكرنا بتخطيط المدن السومرية في جنوب العراق حيث تخترق المدينة شوارع رئيسة تمتد من الشمال الى الجنوب وشوارع فرعية تتفرع من الشرق الى الغرب، كما تمتاز بدقة نظام تصريف مياه المجاري فيها حيث انها تمتد

فوق خنادق في الأرض وشبكة من القنوات أو الانابيب الفخارية المتصلة بعضها مع بعض[٥].

اما بالنسبة لبيوت السكن في المدينة فانها مبنية من اللبن المعروف باسم **(ريمشن)** والذي عرفته مدينة الوركاء اولاً[٦]، وغالبية تلك البيوت تمتاز بالطراز الثلاثي العناصر أي صالة رئيسة في الوسط وصفين من الغرف الصغيرة على الجانبين[٧] وهو نفس الطراز المعماري الذي

---

(١) شترومنيغر، ايفا،حبوبة الكبيرة مدينة عمرها خمسة الاف عام، ص ٤٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٦. وللتوسع اكثر حول تفاصيل سور حبوبة انظر:

الأعظمي، محمد طه، الاسوار والتحصينات في العمارة العراقية القديمة، اطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة بغداد، ١٩٩٢)، ص ١٩٨ وما بعدها.

(٤) ألأحمد، سامي سعيد، "المدن الملكية والعسكرية"، المدينة والحياة المدنية، ج١، (بغداد، ١٩٨٨)، ص١٥٠.

(5) Strommenger, E., Ebla To Damascus, P.86.

(6) ibid., P. 85.

(٧) شترومنيغر، ايفا،حبوبة الكبيره...، ص ٢٥-٢٦.

بنيت به المعابد الأولى لبلاد الرافدين[1]، وهناك طرازان آخران من عمارة البيوت في حبوبة وهما النوع البدائي البسيط الذي يتألف من مجموعة من الغرف التي بنيت بجانب بعضها دون ترتيب، أما الطراز الثاني وهو ما يمكن تسمية بالطراز الشرقي ويتألف في العادة من ساحة وسطية، مربعة الشكل أو مستطيلة يحيط بها عدد من القاعات والغرف حيث سكنت الاسرة في القاعة الكبيرة، فيما استخدمت الغرف لأغراض الخزن والطبخ، ولم تكن تلك البيوت بحجم واحد بل كان فيها الكبير والصغير[2]، وقد كان هذا الطراز سمة مميزة لعمارة بيوت السكن في العراق القديم وظل سائداً حتى العهود المتأخرة من تاريخ العراق الحديث[3].

أما الاواني الفخارية المعروفة بالاواني الناقوسية التي هي ذات جوانب مستقيمة وحافات مائلة مقلوبة نحو الخارج فقد عثر على عدد كبير منها في حبوبة والتي تظهر لنا تشابهاً في شكلها وطرازها مع الاواني الناقوسية التي عرفت في مدينة الوركاء وتم استظهارها في الطبقة الثانية والرابعة من منطقة (أي-انا)[4].

وتتشابه الاختام الاسطوانية لحبوبة مع اختام الوركاء من حيث مواضيعها الاسطورية والطبيعية المنقوشة عليها[5]، وثمة دليل آخر على الصلات الكبيرة بين حبوبة ومدن جنوب بلاد الرافدين ويتمثل هذا الدليل باكتشاف بعض الرقم الطينية ذات العلامات الصورية والتي تمثل اولى مراحل الكتابة التي اكتشفت نصوصها الأولى في معابد مدينة الوركاء[6].

والى الجنوب من حبوبة تم التنقيب في تل قناص والذي كان يمثل المركز الاداري والديني لمدينة حبوبة وكانت شوارع الموقع مرصوفة بالحصى، أما البيوت فكانت ذات طابق واحد وهناك نظام لتصريف المياه كالذي شاهدناه في حبوبة[7]. لقد اكتشف في هذا الموقع عدد من الابنية ذات المساحات الواسعة نسبياً وكانت مشيدة على مرتفع يعلو قليلاً عن مستوى سطح الأرض التي شيدت عليها مساكن المدينة مما جعل مكتشفها الآثاري البلجيكي (فينيه) يعتقد ان

---

(١) محيسن، سلطان، عصور ما قبل التاريخ، ص٣٧٨. انظر كذلك:
سعيد، مؤيد، العمارة، حضارة العراق، ج١، (بغداد، ١٩٨٥)، ص ١١١.

(٢) ابو عساف، علي، اثار الممالك القديمة في سورية، ص ١٤٣-١٤٥.

(٣) سليمان، عامر، "الحياة الاجتماعية والخدمات في المدن العراقية في الازمنة التاريخية القديمة"، المدينة والحياة المدنية، (بغداد، ١٩٨٨)، ص ٢٠٥.

(٤) هاينريش، ارنست، "التنقيب في تل حبوبة الكبيرة وتل ممباقة"، ترجمة قاسم طوير، الحوليات السورية، م ٢٠، ١٩٧٠، ص ١١٩.
اوتس، جوان وديفيد، نشوء الحضارة، ص ٢٧٤.

(٥) محيسن، سلطان، عصور ما قبل التاريخ، ص٣٧٨.

(٦) شترومنيغر، ايفا، حبوبة الكبيره...، ص٤٥-٤٦.

(٧) عبودي، هنري، معجم الحضارات السامية، (طرابلس، ١٩٩١)، ص ٦٩٤.

تلك الابنية كانت ذات وظيفة دينية(١). ولكن في الواقع ان تلك الأبنية لم تكن تختلف في تفاصيلها الداخلية عن بيوت السكن الا بمساحتها الأكبر فقط(٢)، واذا ما قورنت بمعابد مدينة الوركاء نرى ان الفارق كبير في سعتها، ولكنها تشترك معها في نوع زينة الجدران الداخلية والتي هي على شكل مخاريط حجرية ملونة كالتي عرفت في الوركاء باسم زينة الفسيفساء(٣) اذ ان سكان موقع قناص كانت لهم نفس الاساليب الفنية في تزيين الجدران وفي صناعة الفخار التي عرفها سكان مدن جنوب بلاد الرافدين في هذا العصر(٤).

ويعود الى العصر الشبيه بالكتابي ايضاً جبل عرودة الذي يقع الى الشمال من حبوبة حيث شيد سكان الموقع على قمة الجبل الذي يرتفع حوالي ٦٠م عن السهل المجاور له معبدين كبيرين وفق الطراز الذي شيدت عليه الابنية التي اعتقد انها ذات وظيفة دينية في قناص، وزينت الجدران الداخلية لهذه المعابد ايضاً بزينة مشابهة لزينة الفسيفساء الوركائية، وقد وجدت في احد هذين المعبدين طبعات اختام ومجموعة من الرقم الطينية ذات العلامات الصورية التي وجد ما يشابهها ايضاً في تل قناص(٥).

وتتوالى المواقع الآثارية السورية التي تعود الى هذا العصر في اعطاء الادلة على ان التاثيرات الحضارية لدور الوركاء قد امتدت الى اقصى الشمال السوري وهذ ما اوضحه موقع (جرابلس تحتاني) الواقع بالقرب من كركميش (التي هي الان ضمن الأراضي التركية) والذي عملت فيه البعثة البريطانية لأربعة مواسم تنقيبية (١٩٩٢-١٩٩٥م) حيث اشارت لنا الفخاريات المكتشفة فيه الى انها كانت وركائية في شكلها وطراز صنعتها(٦). ولعل آخر الادلة على الصلات الحضارية بين بلاد الرافدين وبلاد الشام في العصر الشبيه بالكتابي والمتوفرة لدينا لحد الان يأتينا من أحدث التنقيبات التي اجرتها البعثة الفرنسية برئاسة دومنيك بيير (D.Bayer) عام ١٩٩٥ في تل مشنقة الذ استمر السكن فيه منذ دور العبيد وحتى النصف الأول من الالف الثالث ق.م، فقد تم استظهار طبقات دور الوركاء التي كشفت عن وجود سور دائري تقريباً

---

(١) شترومنيغر، ايفا، حبوبة الكبيره...، ص٣٣.

(٢) شترومنيغر، ايفا،الاثار السورية، ص٣٣.

(٣) شترومنيغر، ايفا،حبوبة الكبيره...، ص٣٣.

(٤) عبودي، هنري، معجم الحضارات السامية، ص ٦٩٤.

(٥) محيسن، سلطان، عصور ما قبل التاريخ، ص٣٧٩-٣٨٠.

(6) Peltenburg, E., "Excavations at Jerablus- Tahtani, 1992", Chronique Archeologique En Syrie, vol I, (Syrie, 1992), P. 427.

ومجموعة من البيوت الكبيرة المبنية وفق التخطيط الثلاثي الذي رأيناه في بيوت حبوبة والمتأثرة بعمارة بلاد الرافدين[١].

ومن خلال ما تم عرضه انفاً نستخلص ان العصر الشبيه بالكتابي عصراً وفير الشواهد والادلة المادية التي تشهد على عمق الصلات الحضارية والتجارية بين بلاد الرافدين وبلاد الشام من خلال ما لعبته مستوطنات هذا العصر التي استعرضنا الابرز منها من دور هام في التجارة ما بين المدن الجنوبية لبلاد الرافدين وسواحل البحر المتوسط حيث انها كانت اشبه بالثغور السومرية على ضفاف الفرات الشرقية في سوريا[٢]، وقد كان لمدينة الوركاء دور هام في امتداد واتساع تأثيرات هذا الدور الحضارية مما حدا بالباحث الايطالي الغزي (Algaze) ان يطلق تسمية (عالم الوركاء) على كل تلك المستوطنات التي وقعت تحت التاثيرات الحضارية لهذه المدينة[٣].

---

(1) Beyer, D. "Mission archeologique francaise de Mashnaqa", Chronique Archeologique En Syrie, vol I, (Syrie, 1992), P. 22f.

بيير، دومنيك، تل مشنقة، معرض الاثار السوري الاوربي، ص ٥٥ وما بعدها.

(2) Fortin, M., Syria land of Civilizations, P. 50.

بهنسي، عفيف، الاثار السورية، (فينا، ١٩٨٥)، ص٥.

(3) Algaze, G., "Habuba on the Tigris: archaic Nineveh reconsidered", JNES, (VOL 45, No. 2, 1986), P. 125 ff.
Mazzoni, S., AAAS, vol, 43, 1999, P. 98.

المبحث الاول
عصر فجر السلالات

الصلات بين بلاد الرافدين وبلاد الشام في عصر فجر السلالات:

من الامور المعروفة عن عصر فجر السلالات (٢٩٠٠-٢٣٧١ ق.م) ان النصوص المدونة التي تتحدث عن احداثه السياسية قليلة، بحيث لا تمكن الباحث من تكوين صورة متكاملة عن السلالات التي حكمت فيه وتفاصيل علاقاتها السياسية باستثناء بعض العهود منه(١). ولهذا لم تشر تلك النصوص التي جاءتنا من المراحل الاولى لهذا العصر الى اسماء المواقع الجغرافية في بلاد الشام التي وصل اليها حكام هذا العصر(٢) لان النصوص الكتابية لم تسجل الاحداث السياسية والعلاقات بين الدول والمدن الا في النصف الثاني من الالف الثالث ق.م. ذلك ان نصوص النصف الاول كانت مكرسة لتدوين الأعمال النذرية والشواهد البنائية، ولكن بعد ذلك اصبح الكتاب يقومون بتدوين المعلومات التاريخية والمعاهدات واخبار الحروب بين دويلات المدن السومرية في هذا العصر، وكذلك بعض الاصلاحات الاجتماعية التي عرفت فيه والمعروفة باسم اصلاحات اورو اينمكينا (اوروكاجينا)(٣) وقد وصلتنا من اواخر الالف الثالث ق.م نسخة مما يعرف بجداول الملوك السومريين التي تتحدث عن السلالات والملوك الذين تتابعوا على الحكم في بلاد سومر منذ عهود قبل الطوفان(٤)، ولهذا يكون الأعتماد الرئيسي على الاثار الفنية والمخلفات المادية الاخرى عند دراسة هذا العصر(٥).

ومنذ خلال تعدد السلالات الحاكمة في هذه المرحلة التاريخية فقد اصطلح على تسميته (عصر فجر السلالات) أو (عصر دول المدن) مع تقسيمه الى ثلاثة ادوار هي:

فجر السلالات الاول: ٢٩٠٠-٢٨٠٠ ق.م

فجر السلالات الثاني: ٢٨٠٠-٢٦٠٠ ق.م

---

(١) باقر، طه، مقدمة...، ج١، ص ٢٥٦.

(٢) كلينغل، هورست، تاريخ سورية السياسي ٣٠٠٠-٣٠٠ ق.م، ص ٥٣-٥٤.

(٣) كريمر، صموئيل نوح، السومريون، ص ٤٦-٤٧.

هذه القراءة الجديدة لهذا الاسم انظر:

Lambert, W. G., "The reading of the name uru KA-gi-na", Orientalia, vol. 39, (Roma, 1970), P. 419.

(4) Jacobson, Th., The Sumerian king list. (chicago, 1939).

وحول الطوفان انظر:

علي، فاضل عبد الواحد، الطوفان في المراجع المسمارية، ط٢، (دمشق، ١٩٩٩).

(٥) باقر، طه، مقدمة...، ج١، ص ٢٥٦.

فجر السلالات الثالث: ٢٦٠٠-٢٣٧٠ ق.م[١].

فضلاً عن ذلك فقد سمي هذا العصر بتسميات أُخَر مثل عصر ما قبل سرجون (pre-Sargonic period) لأن هذا العصر يسبق زمن الملك الاكدي سرجون في الحكم، كما كان يسمى عصر اللبن المستوي المحدب (Plano-Convex bricks) لشيوع استعمال هذا النوع من اللبن في ابنية هذا العصر، كما يمكن تسميته بعصر الحضارة السومرية على الرغم من اختلاط الجزريين (الأكديين) الذين كانوا يتعايشون مع السومريين في السهل الرسوبي والذين ساهموا في بناء تلك الحضارة[٢].

اما في بلاد الشام فتقع تلك الحقبة التاريخية ضمن مصطلح يطلق عليه العصور البرونزية وهي تقع في الالفين الثالث والثاني ق.م ((٣٢٠٠-١٢٠٠ق .م)) ويقسم الى ثلاثة مراحل تاريخية (العصر البرونزي القديم ((٣٢٠٠-٢٠٠٠ ق.م))، والبرونزي الوسيط ((٢٠٠٠-١٦٠٠ ق.م))، البرونزي الاخير ((١٦٠٠-١٢٠٠ ق.م)) ويتزامن العصر البرونزي القديم مع عصر فجر السلالات السومرية في بلاد الرافدين[٣] وقد اصبح مصطلح العصر البرونزي اكثر شيوعاً في بلاد الشام اذ اعتمد الباحثون في ذلك على استعمال البرونز في الحياة اليومية ولأنعدام الوثائق المكتوبة في وسط بلاد الشام وجنوبها، أما مناطق شمال سوريا وحوض الفرات فارتبطت ارتباطاً وثيقاً بحضارة العراق القديم حتى انها اخذت احيانا التسميات المتعارف عليها لمواقع هذا العصر في العراق، وهذه دلالة اكيدة وواضحة على ان المنطقة كانت تؤلف وحدة حضارية مع بعضها[٤]. وجاء هذا بفعل الأتصال الحضاري من خلال الحركة التجارية النشطة بين المنطقتين والتي كان من نتائجها تفكير حكام وملوك العراق القديم في العهود التاريخية اللاحقة بالسيطرة على الطرق التجارية الرئيسة التي تربط بين المنطقتين من أجل تأمين المواد الأولية التي كانوا يحتاجونها في بناء حضارتهم[٥].

وتساعد بعض النصوص التاريخية القليلة التي وصلتنا من هذا العصر على تقصي واقع الصلات السياسية بين بلاد الرافدين وبلاد الشام ودور حضارة بلاد الرافدين هناك ذلك اننا نقرأ الكتابات التي تعود الى الملك السومري (لوجال-انيموندو)، وهو أحد مولك مدينة ادب[٦] وتؤرخ

---

(١) باقر، طه، مقدمة...، ج١، ص ١٥٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٥٥.

(٣) ابراهيم، معاوية، المؤتمر الخامس عشر للاثار والتراث الحضاري في الوطن العربي، ص ١٧٣.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٧٤.

(5) Dalley, S., Mari And Karana Two Old Babylonian Cities, P. 3 f.

(٦) تقع هذه المدينة في جنوب العراق في منتصف الطريق بين تلو ونفر ويسمى موقعها حالياً بسماية. انظر: اوبنهايم، ليو، بلاد ما بين النهرين، ترجمة سعدي فيضي، بغداد، ١٩٨١، ص٤٧٥.

الى حوالي عام ٢٦٠٠ ق.م بان هذا الملك قد ضم عدة مناطق الى سيطرته ومنها (مارتو) أي المناطق الغربية و (بلاد جبال الارز) أي لبنان الحالية، فضلاً عن مناطق أخرى يذكرها النص ومنها بلاد عيلام في الشرق و(سوبير) في الشمال و(سوتي) و(أي–انا) في الوسط والجنوب، وسيطر على كل الهلال الخصيب من البحر المتوسط الى جبال زاكروس، ولهذا فانه لقب نفسه ملك الجهات الاربعة، ولكن هذا النص وصل الينا بنسخة واحدة وبعد ألف عام من زمن الاحداث التي سجلها[١]. واذا ما تقصينا نص ملحمة كلكامش ذلك البطل الاسطوري الذي لم يعد هناك شك في وجوده التاريخي كملك حكم في مدينة الوركاء وكان تسلسله الخامس في سلالتها الاولى، حيث جاء ذكره مع اسم ابيه (لوكال بندا) في النصوص المكتشفة في مدينة شروباك (تل فارة)[٢] التي ترجع بتاريخها الى مطلع عصر السلالات الثالث[٣]، نرى ان هذا الملك قد وصل الى جبال الارز وقاتل خمبابا ويرد ذكر جبل حرمون الذي ورد في النصوص المسمارية باسم ساريا (Saria) وهذه الملحمة تشير لنا اشارة واضحة على صلة بلاد سومر ببلاد الشام في هذا العصر[٤]، ولعل جلجامش كان يحلم باقامة حكم موحد مركزي يمتد من الخليج العربي الى البحر المتوسط، ولكن هذا الحلم لم يتحق رغم النجاح الذي احرزه في حملته[٥].

ونستنتج من ثبت الملوك السومريين ومن خلال ذكر سلالة ماري ان منطقة الفرات الاوسط كانت ترتبط ارتباطاً وثيقاً ببلاد سومر، حيث قام أي اناتم (٢٤٥٤–٢٤٢٥ ق.م) ملك لجش بضم منطقة ماري الى سلطته بعد ان انتصر على حلف دخلته الى جانب مدينتي كيش واكشاك[٦] للحد من سيطرته ونفوذه السياسي، ولكن أي إناتم حقق الأنتصار على هذا الحلف في

---

(١) كريمر، صموئيل نوح، السومريون، ص ٦٨–٦٩.

(٢) تقع على بعد ٣٠ كم الى الغرب من مدينة اوما (جوخة) الواقعة على بعد ١٠ كم غرب نهر الغراف وقضاء الرفاعي. انظر:

بوتير، جان، بلاد الرافدين، الكتابة– العقل– الالهة، ص ٣٦٩.

(٣) باقر، طه، مقدمة...، ج١، ص ٣٠٩–٣١٠.

(٤) باقر، طه، ملحمة كلكامش، ط٣، ص١٧٩–١٨٠.

(٥) كونه، كورد، "سورية–بلاد الرافدين–اسيا الصغرى في الالف الثالث والثاني قبل الميلاد"، الاثار السورية، (فينا، ١٩٨٥)، ص ٣١١.

(٦) من المدن السومرية القديمة ولا يعرف مكانها بالتأكيد حيث يرى بعض الباحثين ان تل خفاجي في منطقة ديالى هو بقايا هذه المدينة، بينما يرى اخرون ان اطلال تل عمر الواقع على الضفة اليمنى لنهر دجلة مقابل طيسفون هو موضع المدينة. انظر:

سوسة، أحمد، تاريخ حضارة وادي الرافدين، ج٢، (بغداد، ١٩٨٦)، ص ٣٤٢.

موقعة التاسورا (AL-tasura)[١]، وبعد ان سيطر على ماري منحه أهل تيدنوم (وهو الاسم المرادف لتسمية ((مارتو)) السومرية والتي تعني ((الغرب)) لقب لوما (Lumma)[٢].

غير ان مدة قرن من الزمن التي تلت حكم هذا الملك اتسمت باضطراب الاوضاع السياسية في بلاد سومر، وصاحب ذلك ظهور حاكم قوي في مدينة ماري وهو انبو (Anbu) فحدث الصدام بين لجش وماري، وكانت النهاية في صالح ماري حيث استطاع انبو ان يسيطر حتى على مدينة الوركاء[٣]، وبهذا فانه سيطر على بلاد سومر وحكمها ستة ملوك من ماري لمدة ١٣٦ عاماً حسب ما تذكره قائمة الملوك السومرية[٤].

لقد كشفت التنقيبات التي اجريت في ماري ابتداءاً من عام ١٩٣٣م. عن كونها مدينة كبيرة في عصر فجر السلالات اذ وردتنا أهم ادلة هذا العصر من طبقات معبد عشتار المتتابعة الست (آ–و). فقد عثر في الطبقة (هـ) على بناية مهمة ابعادها ٢٦ × ٢٥ م وكانت اسسها من الصخور الجبسية وتحتوي على برج تبين انه يعود الى عصر فجر السلالات الآول، أما بعد الطبقة الرابعة (د) فقد اشتمل على مزار في الجهة الغربية وبيت كاهن في الشرقية مع مذبح مبني من الطين ويرجع الى عصر فجر السلالات الثاني[٥]، ومن الامور التي ميزت هذه الطبقة ايضاً عدد من المدافن الصخرية ذات العقادة القبوية (corbel) وهي تشابه عقادات المقبرة الملكية في اور، في حين كان معبد الطبقة الثالثة (ج) يتألف من غرفة ابعادها ٩.٣٠ × ٧.٢٠ م محاطه بجدران من اللبن عرضها ثلاثة امتار مع مذبح في احدى نهايات الغرفة مقابل الباب في الجدار الطويل المؤدي الى ساحة كبيرة ذات اعمدة اجرية ثلاث بقطر ١.٢٠ م وهي تشابه الاعمدة المكتشفة في الطبقة الثامنة لمعبد الاله سين في توتب (خفاجي) من عصر فجر السلالات الثاني[٦]. وفي معبد الطبقة ٣ب عثر على حروز مصنوعة من اللازورد محفوره على شكل ثيران ملتحية تشبه ما وجد في مقبرة أور وتل براك[٧]. في حين عثر في المعبد الأول الذي يعود الى النصف الثاني من عصر فجر السلالات الثالث (ويقابل سلالة أور الاولى) على تمثالين احدهما يعود للملك لاكمي ماري

---

(١) لمبرت، موريس، "عصر ما قبل سرجون"، ترجمة فرج بصمجي، سومر، م٨، ١٩٥٢، ص ٩١.

(٢) كريمر، صموئيل نوح، السومريون، ص ٧٣.

(٣) لمبرت، موريس، سومر، م٨، ١٩٥١، ص ٥٧.

(٤) رو، جورج، العراق القديم، ص ١٩٦.

(٥) الأحمد، سامي سعيد، العراق القديم، ج١، ص٢٥٧.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) المصدر نفسه، ص ٢٥٩.

(lagmi-mari)[١] ويظهر مرتدياً وزره تغطي الكتف والذراع الأيسر له ويلبس غطاء رأس يشبه غطاء الرأس الذهبي الذي يرتديه ملك سلالة اور الأولى ميس–كلام– دك الذي عثر عليه في المقبرة الملكية في اور[٢]. أما التمثال الآخر فكان يعود لأحد الموظفين الكبار والمدعو ابيخ–ايل (Ebikh-Eal) ويجلس ملتحياً على عرش مرتدياً تنورة فيما كان صدره عارياً[٣]، ويمكن القول ان اسلوب نحت هذين التمثالين مشابه للاسلوب المتبع في نحت تماثيل عصر فجر السلالات في مناطق ديالى واور وكيش في العصر نفسه[٤]. واهم ما يميز هذين التمثالين هو كتابة اسميهما على الكتف[٥]، ونستدل من الاسمين انهما اسمان جزريان مما يدل على ان منطقة ماري كانت منذ هذا العصر مستوطنة من قبل القبائل الجزرية التي تفاعلت مع الحضارة السومرية[٦].

ومن بين القطع المهمة الاخرى التي عثر عليها في هذا المعبد قطعة فنية مطعمة بالصدف والعاج وفصوص من الحجر الكلسي الأحمر، وتشبه هذه القطعة الفنية التي عثر عليها في المقبرة الملكية في اور والتي تعرف باسم (راية اور). وتصور هذه القطعة مشهداً يتكون من عدة افاريز ويظهر فيه أحد ملوك ماري وجيشه وعرباته واسرى الحرب ووليمة الاحتفال بالنصر[٧].

لقد انتهى هذا المعبد من جراء ما اصابه من تدمير وحريق كما اثبتت التنقيبات ذلك ويرجح الاستاذ بارو، الذي ترأس بعثة التنقيب في ماري، ان هذا التدمير حصل على يد (أي–اناتم) ملك لجش بعد سيطرته على المدينة، وهناك احتمال بان يكون ذلك قد حدث من قبل سرجون الأكدي لأن الملكين قد دخلا المناطق العليا من الفرات[٨].

أما اهم ما اكتشف في المدينة فهو قصرها الشهير الذي بناه الملك (زمري–لم) ويعود بزمنه الى العصر البابلي القديم (٢٠٠٤–١٥٩٥ ق.م) والذي لابد ان يكون قد سبقه قصر ضخم حيث توجد بناية كبيرة مبنية من اللبن على عمق تحت قصر طبقة العصر البابلي القديم

---

(١) مرغرون، ج .ك .، "ماري"، المساهمة الفرنسية في دراسة الاثار السورية، (دمشق، ١٩٨٩)، ص ٤٠.

(٢) مورتكارت، انطوان، الفن في العراق القديم، ترجمة عيسى سلمان وسليم التكريتي، (بغداد، ١٩٧٥)، ص ١٢٦.

(٣) مرغرون، ج .ك .، المساهمة الفرنسية في دراسة الاثار السورية، ص ٤٠.

(٤) الأحمد، سامي سعيد، العراق القديم، ج١، ص ٢٥٩.

(٥) الجندي، عدنان، الفن العموري، دمشق، (بدون سنة طبع)، ص ٤٦.

(٦) باقر، طه، مقدمة...، ج١، ص ٢٨٥.

(٧) ابو عساف، اثار الممالك القديمة في سورية، ص٢١٠.

(8) Pettinato, G., Ebla, (London, 1991), P. 63.

قد خربت ايضاً والتهمتها الحرائق التي اصابت المدينة[١]، وعثر في رمادها على وعاء طيني يحتوي في داخله على مجموعة من الاساور الفضية والبرونزية وتماثيل لنساء عاريات مصنوعة من البرونز والعاج وتمثال صغير يمثل نسراً برأس اسد وهو حيوان اسطوري يسمى بالسومرية انزو (Anzo) ويرمز الى الاله ننجزسو (اله مدينة لجش)[٢]، كذلك احتوى الوعاء على اختام اسطوانية تحمل مشاهد اسطورية تحاكي تلك المشاهد السومرية المعروفة في اختام الالف الثالث ق.م وخاصة تلك التي تم العثور عليها في موقع شروباك[٣]، ولعل من القطع المهمة التي احتواها ذلك الوعاء هي خرزة من اللازورد وتظهر اهمية القطعة في الكتابة الموجودة عليها حيث نقرأ فيها:

((مقدمة من آلهة كال-ميسنبيدا ملك أور الى كانسودا ملك (ميرا) أي ماري))[٤]

لقد سمي هذا الوعاء بمحتوياته باسم كنز اور وارجع تأريخه في حدود منتصف الالف الثالث ق.م وبالتحديد في عام ٢٦٠٠ ق.م وقد اعتبر بارو هذا الكنز هدية من ملك سلالة اور الاولى ميسنبيدا الى ملك ماري مما يدل على عمق الروابط والصلات بين الملكين في هذه المرحلة الزمنية[٥] فيما يشير رأي آخر حول هذا الكنز بان محتوياته تعود للكهنة او لأحد تماثيل الآلهة المعبودة في المدينة، ومهما يكن من امر فان محتويات ذلك الكنز تدلل من خلال طرازها الفنية وتقنية صناعتها على انها مصنوعة في مدن بلاد الرافدين الجنوبية[٦]، كما كشف في ماري عن معبدين آخرين خصص أحدهما لعبادة الألهة (نن - خرساك)[٧] وهي آلهة سومرية عرفت عبادتها في جنوب بلاد الرافدين، فيما خصص المعبد الثاني لآلهة ورد اسمها بهيئة (ننـي - زازا)[٨] وقد وجد في داخله عمود حجري على شكل مسلة من النوع المعروف في معابد فلسطين القديمة مما يعرف باسم (بيت - ايل)[٩].

---

(1) Parrot, A., "Les Fouilles de Mari, Quatorzienne Campagne Printemps 1964", Syria, vol 42, 1965. P Iff.

(٢) كولماير، كاي، "عصر السلالات الملكية الاولى"، الاثار السورية، (فينا، ١٩٨٥)، ص ٧٦ وما بعدها.

(٣) الأحمد، سامي سعيد، العراق القديم، ج١، ص ٢٥٦.

(٤) بارو، اندريه، حفريات ماري الموسم الخامس عشر ١٩٦٥، ترجمة عدنان الجندي، الحوليات السورية، م ١٦ ،ج١، ١٩٦٦، ص ٩٦.

(٥) المصدر نفسه، ص ٩٥.

(٦) كولماير، كاي، الاثار السورية، ص ٦٠.

(٧) الهة الانجاب السومرية وآلهة مدينة كيش. انظر:
بوستغيت، نيكولاس، حضارة العراق واثاره، ص ١٣٧.

(8) Parrot, A., Le temples d`Ishtar et de Ninni-zaza, (Paris, 1961), P. 8 f.

(٩) كولماير، كاي، الاثار السورية، ص ٥٩.

وتم العثور في ماري ايضاً على تماثيل صغيرة كان الأشخاص يكرسونها لألهتهم وهي منحوتة بعناية فائقة، وتمثل تلك المنحوتات الصغيرة اصحابها وهم يرتدون التنورة الصوفية السومرية التقليدية ويطلقون لحاهم ويحلقون شعر رؤوسهم ويصلون باتخاذهم الوضع السومري التقليدي بضم ايديهم الى صدورهم وهذه الوضعية معروفة عند السومريين اذ وجدت تماثيل مشابهة لها في تل اسمر وخفاجي وتل اجرب وهذه دلالة واضحة على وحدة المدرسة الفنية في النحت بين ماري ومواقع حوض ديالى في العراق والتي أهم مواقع عصر فجر السلالات فيه(١). ولعل آخر الأمثلة التي توضحها لنا ماري والتي تدل على عمق الصلات الحضارية والفنية والثقافية بينها وبين مدن بلاد الرافدين في هذا العصر هو ان لوحة حجرية منحوتة لكنها مخرومة عثر عليها في خفاجي وتم الحصول على كسرة مكملة لها في ماري(٢). ومن هنا يمكن القول ان هذه المدينة ظلت تمثل امتداد واضحاً للنفوذ الحضاري السومري القوي وخاصة في مجالي الدين والفن(٣).

ومن تل خويرة(٤) جاءتنا ادلة اثارية اخرى تدل على ان هذه المنطقة كانت وثيقة الصلة بالحضارة السومرية في عصر فجر السلالات حيث نشاهد تشابهاً واضحاً بين معبد الطبقة الرابعة وبين معبد آبو في اشنونا من حيث التفاصيل المعمارية(٥)، كذلك جاءنا من هذا الموقع عدد من التماثيل التي لها أهمية حضارية كبيرة حيث انها تتماثل باسلوب نحتها مع التماثيل المرمرية التي عثر عليها في منطقتي ديالى واواسط الفرات وربما كانت هذه التماثيل تعود الى الجزريين الذين استقروا في بادئ الامر في البادية السورية والذين اختلطوا مع السومريين وآخذوا منهم الكثير من المظاهر الحضارية(٦)، كما عثر في احد بيوت هذا الموقع على مبخرة يبلغ ارتفاعها حوالي (٧٠ سم) والى جانبها قطعة مكسورة تعود اليها ذات نقوش نافرة تحمل صورة التنين المعروف في فن النحت السومري والأكدي وهو المسمى باسم (المشخوشو) وفوق التنين

---

(١) رو، جورج، العراق القديم، ص ١٨٢-١٨٣.

(٢) باقر، طه، سومر، ١٩٤٨، ص ٩٨.

(٣) بوترو، جين، الشرق الادنى الحضارات المبكرة، ص ١٣٢.

(٤) يقع هذا التل في محافظة الرقة في منتصف المساحة بين بلدتي راس العين وتل ابيض وبدأ التنقيب فيه عام ١٩٥٨ من قبل الدكتور انطوان مرتكارت. انظر:
ابو عساف، علي، اثار الممالك القديمة، ص ٥٢.

(٥) مورتكارت، انطوان، "تل خويرة في شمال سورية"، ترجمة علي ابو عساف، الحوليات السورية، م ١٦، ج١، ١٩٦٦، ص ١٠٣.

(٦) مورتكارت، انطوان، الفن في العراق القديم، ص ١١٥.

صُوِّر موضوعاً مقتبساً من التقاليد الفنية السومرية يمثل مشهد صراع بين اسد وثور ولكن لم يبق من ذلك سوى جزء يمثل اسدين متصالبين(١).

واذا ما انتقلنا الى مواقع اخرى مثل موقع جاغاربازار بالقرب من الحدود السورية–العراقية اذ كان هذا الموقع احد المستوطنات العديدة على طوال وادي دجلة الأعلى ويتصل ببلاد اشور عن طريق القوافل عبر جبل سنجار وكشفت التنقيبات فيه عن خمس عشرة طبقة، تمثل الطبقات الثالثة والرابعة والخامسة عصر فجر السلالات ولا سيما القبور التي وجدت في الطبقتين الخامسة والرابعة والتي وجد فيها فخار نينوى المعروف باسم (نينوى 5)(٢) الذي يقابل فخار عصر فجر السلالات في جنوب العراق(٣). كما وجد خنجر من الحديد يعود الى الدور الثالث من هذا العصر وهو يضاهي ما وجد في تل اسمر في منطقة ديالى(٤).

ان احدث التنقيبات الخاصة بعصر فجر السلالات في سوريا جاءتنا من موقع تل عربيد (١٤ كم جنوب القامشلي) الذي عملت فيه بعثة اثارية بولونية–سورية منذ عام ١٩٩٦ اذ تم الكشف فيه عن بقايا معمارية تمثل جزءاً من سور الموقع مع مجموعة من اللقى الاثارية والفخاريات التي يعود بتاريخها الى حدود عام ٢٧٠٠ ق.م ومن بينها فخار (نينوى 5)(٥).

ومن المدن التي مثلت احد المراكز المهمة في هذا العصر في منطقة الفرات الاوسط مدينة ترقا (تل عشاره) التي اصبحت مركز اشعاع لحضارة بلاد الرافدين نظراً لتوسطها في المنطقة باتجاه ايبلا في الشمال السوري(٦)، كما ان موقعها الممتاز عند ملتقى نهري الفرات والباليخ جعلها تمثل جسر انتقال ما بين شمال سوريا والمناطق الداخلية منها ولهذا فانها ساهمت مساهمة فعالة وحساسة في التحولات الحضارية والاقتصادية في منطقة الشرق الادنى القديم عموماً، وقد شكل هذا التمييز في موقع ترقا وتأثيرها مصدر قلق مستمر لملوك ماري لمنافستها لها(٧).

---

(١) مورتكارت، انطوان، الحوليات السورية، م١٠، ١٩٦٠، ص ٢٧٩.

(2) Mallowan, M. E., “The Excavations at tell shagar Bazar”, IRAQ, vol 3, 1936, P. 5ff.

(٣) مالوان، ماكس، حضارة عصر فجر السلالات في العراق، ترجمة كاظم سعد الدين، بغداد، ٢٠٠١، ص ٧٥.

(٤) باقر، طه، مقدمة...، ج١، ص ٢٨٧.

(٥) سرية، احمد، "تل عربيد ١٩٩٧"، الوقائع الاثارية في سورية. العدد ٢، (دمشق، ١٩٩٨)، ص ٣ وما بعدها.

(٦) بوتشلاني، جورجيو، واخرون، "الموسم التنقيبي الاول في تل العشارة (ترقا)"، ترجمة شوقي شعث، الحوليات السورية، م ٢٧–٢٨، ١٩٧٧–١٩٧٨، ص ٣٠٩– ٣١٠.

(٧) لوبو، مارك، الحوليات السورية، م ٤٣، ١٩٩٩، ص ٢٧١.

ويلقي لنا موقع الانصاري في حلب ضوءاً جديداً لمعرفة صلات بلاد الرافدين مع الشام في هذه المنطقة المهمة من الشمال السوري من خلال ما تم استظهاره في هذا الموقع من ابنية دينية واواني فخارية وقطع برونزية وعدد كبير من الدمى الفخارية التي اوضحت بان هذا الموقع يعود الى النصف الثاني من عصر فجر السلالات الاول واستمر السكن فيه الى العصر البابلي القديم، وتكمن اهمية هذا الموقع فيما لعبه من دور مهم في العلاقات التجارية بين بلاد الرافدين من جهة اخرى وبين مصر واسيا الصغرى من جهة اخرى حيث كان لمنطقة الشمال السوري دوراً مهماً في ربط تلك المناطق مع بعضها والتي ازدادت اواصرها في الالف الثاني ق.م[١].

وتظهر لنا مستوطنات موقع تل خزنة (I) الواقع على بعد ٢٥ كم شمال شرقي الحسكة والتي تعود الى بداية الالف الثالث ق.م حتى ربعه الاخير عدداً من المعابد المبنية على مصاطب عالية والى جانبها بنيت الابراج الضخمة التي كانت جدرانها ذات تحدب طفيف على غرار الخاصية المعروفة في بناء زقورات العراق القديم وان وجود مثل تلك الابراج ربما يشير الى بقايا للزقورات المشابهة لزقورات بلاد الرافدين[٢] ومن هنا تأتي الاهمية الخاصة لهذا الموقع لما يعطيه لنا من دليل على التواصل المستمر والخلاق للوحدة الثقافية بين بلاد الرافدين والمناطق الشرقية والشمالية من سوريا.

اما تل البديري الذي يقع على بعد ١٥ كم جنوب الحسكة (على الضفة الشرقية لنهر الخابور) فقد اوضحت التنقيبات التي اجريت فيه على ان طبقاته من (٢٥–٧) تعود الى عصر فجر السلالات، ونستخلص من خلال نتائج تلك التنقيبات عن وجود مدينة محصنة بسور دفاعي تم انشائها على انقاض مستوطنة كانت موجودة في عصر الوركاء (الالف الرابع ق. م) ويعتبر ذلك دليلاً واضحاً على ازدهار هذا الموقع بعد امتداد الحضارة السومرية اليه[٣].

ان اهم الاكتشافات الحديثة التي توضح الصلات الحضارية الوثيقة بين بلاد الرافدين والشام في عصر فجر السلالات هو ما تم اكتشافه في نهاية عام ١٩٩٤م في تل بيدر في وادي

---

(١) سليمان، انطوان، "معبد من الالف الثالث قبل الميلاد في موقع الانصاري"، الحوليات السورية، م ٤٣، ١٩٩٩، ص ٧٩ وما بعدها.

(2) Merpert, N., and Munchaev, R., "The religious complex at tell hazna I in north-east Syria", AAAS, vol 43, 1999, P. 119f.

لابد من الاشارة الى ان خاصية التحدب او الانتفاخ الطفيف في سطوح الجدران استخدمت في عمارة العراق القديم من اجل تصحيح خداع البصر الذي تبدو فيه الاعمدة او الجدران مقعرة لو انها شيدت وهي مستوية السطوح، كما ان هذه الخاصية العمارية عرفت في العمارة اليونانية لا سيما في الاعمدة وعرفت بأسم (Entasis). انظر: باقر، طه، مقدمة...، ج١، ص ٣٨٥.

(٣) بفيلستر، بيتر، "تل البديري في حوض الخابور"، اضواء جديدة على تاريخ واثار بلاد الشام، ترجمة قاسم طوير، (دمشق، ١٩٨٩)، ص ٩٣.

عويج وهو احد فروع نهر الخابور (على مسافة ٣٠ كم من مدينة الحكسة) والتي تعود طبقات سكناه الرئيسه الى الالف الثالث ق.م وقد تمثل هذا الاكتشاف بمجموعة من النصوص الكتابية وعددها (١٤٤) رقيم طيني وهي قرصية الشكل حالها حال شكل نصوص عصر فجر السلالات في بلاد الرافدين، وقد كتبت تلك النصوص بالعلامات السومرية، أما موضوعاتها فكانت تمثل حسابات جرايات وحصص وجداول تتضمن اسماء اشخاص، وهذا الموقع يمثل حلقة وصل هامة من حلقات انتقال التراث السومري المكتوب من المراكز السومرية في كيش وابو الصلابيخ[١] وشروباك باتجاه ماري وايبلا، وتعتبر هذه النصوص أول دليل كتابي يردنا من منطقة الخابور[٢].

واذا ما عدنا الى النصوص الكتابية التي وردتنا من نهاية هذا العصر والتي تخص آخر الملوك الذين حكموا فيه وهو لوكال زاكيزي (٢٤٠٠-٢٣٧٠ ق.م) فانها تعطينا دلائل اخرى على وجود صلات سياسية بين بلاد الرافدين وبلاد الشام حيث يذكر هذا الملك في احد نصوصه بان الالهة قد ساعدته في اخضاع البلدان التي تقع الى الغرب واصبحت تلك المنطقة ضمن الاراضي التي تحت سيطرته اذ يقول بصدد ذلك:

((عندما وهبه انليل، ملك كل البلدان ذات السيادة الملكية على الوطن، (سومر)، ووجه انظار الأمة اليه، وجعل كل البلدان تنتظره، وجعل (كل فرد)، من حيثما تشرق الشمس الى حيثما تغرب، يستسلم له بعد هذا ضم اليه اقدام (كل شخص) من البحر الادنى (الخليج العربي) و(على امتداد) دجلة والفرات حتى البحر الأعلى (المتوسط). لم يبق له انليل-أي منافس من حيثما تشرق الشمس الى حيثما تغرب، فخضعت كل البلدان ذات السيادة لسيطرته (كالابقار) في المرعى، وكانت الامة تروي (حقولها) بفرح في ظل حكمه وانحنى له كل حكام سومر التابعين، وكل امراء البلدان الاجنبية امامه في (الوركاء))).[٣]

ومن خلال هذا النص نستشف ان لوكال زاكيزي وبعد ان وحد دويلات المدن السومرية انطلق الى البلاد السورية لضمها تحت لواء امبراطورية واحدة كان يطمح بتحقيقها حيث وضع اللبنة الاولى باتجاه ذلك الهدف الذي اتم تحقيقه من بعده الجزريون الذين اقاموا الامبراطورية الاكدية بقيادة الملك سرجون، ويستدل من اسم والد لوكال زاكيزي (بوبو) على انه ربما من اصل جزري[٤].

ونستخلص مما تقدم ان ابرز اثر تركه امتداد الحضارة السومرية في البلاد السورية هو تعلمها الكتابة المسمارية واللغة السومرية التي اقتبستها مملكة ايبلا في الشمال السوري، ومن ثم

---

(١) موقع لمدينة سومرية لم تعرف لحد الان ويبعد ١٤ ميل تقريباً شمال شرق نفر. انظر:
بوستغيت، نيكولاس، حضارة العراق واثاره، ص ١٢٥.
(٢) سليمان، انطوان ومارك لوبو، "تل بيدر"، معرض الاثار السوري الاوربي، (دمشق، ١٩٩٦)، ص ٨٤.
(٣) كريمر، صموئيل نوح، السومريون، ص ٤٦٥.
(٤) بوتيرو، جين، الشرق الادنى الحضارات المبكرة، ص ٩٣.

اهتدت من خلالها الى كتابة لغة خاصة بها وهي التي تسمى الآن بالأبلوية او الأبلية[1] وتنتمي الى عائلة اللغات الجزرية بفرعها الغربي وتتصل باللغة الأكدية القديمة ومن ثم باللغة الأمورية والتي استعارت فيما بعد النظام المقطعي المسماري من بلاد الرافدين لكتابة نصوصها[2]. ومن هنا ينبغي علينا التعرف على مملكة ايبلا لما مثلته من امتداد حضاري وما لعبته من دور تجاري متميز مع بلاد الرافدين خلال الألف الثالث ق.م.

مملكة ايبلا:

لفت تل مرديخ الواقع على بعد ٥٥ كم جنوب غرب مدينة حلب[3] بالقرب من بلدة سراقب التابعة الى محافظة ادلب الحالية، انتباه الباحثين سواء بكثرة اللقى الآثرية المنتشرة على سطحه او بكبر مساحته حيث انه يمتد لمسافة ١٨٠٠م من الشمال الى الجنوب ونحو ٧٠٠م من الشرق الى الغرب[4]. ومن هنا فقد بدأت اعمال التنقيب الاثاري في هذا التل من قبل بعثة اثارية ايطالية تابعة الى معهد دراسات الشرق الادنى القديم في جامعة روما وبرئاسة الاستاذ باولو ماتييه (Paolo Mattiae) في يوم ١٣/٩/١٩٦٤م[5].

وقد تبين من نتائج التنقيب ان تل مرديخ قد استوطن من حوالي عام ٣٥٠٠ ق.م واستمر السكن فيه حتى عام ٧٠٠م[6]، ولكن لم يعرف الاسم القديم لتل مرديخ حتى عام ١٩٦٨ حين عثر على جذع تمثال لرجل منحوت من حجر البازلت نقشت على جانبي صدره كتابه مؤلفه من ٢٦ سطر بالخط المسماري و باللغة الاكدية وقد تبين من دراسته انه نص ندري امر بكتابته ابيط–ليم (ibbit-lim) أحد ملوك ايبلا ويتحدث فيه عن تقديم نذر للألهة عشتار، واهم ما جاء في هذه الكتابة هو ورود اسم الموقع القديم لتل مرديخ وهو (ايبلا) مرتين مرة كصفة لسكان

(١) كونه، كورد، الاثار السورية، ص ٣١١.

(٢) كلينغل، هورست، تاريخ سورية السياسي ، ص ٢٥.

(٣) هناك اراء متعددة حول تسمية حلب، منها ان اسمها آرامي ومعناه اللبن أو البياض وسميت بذلك لبياض تربتها أو لغزارة لبنها، ومنها ايضاً خرب أو خراب واصاب اللفظة الأبدال وسميت بذلك لكثرة ما اصابها من خراب بسبب الغزو، ومنها ما يقول الاب (انستاس الكرملي): ان اصل كلمة حلب هو (لب) باعتبار ان الالفاظ الثلاثية الجزرية هي ثنائية التركيب في اصلها وتوجب بالحرف الحلقي (ح) وبذلك يكون معنى حلب: المدينة الخصبة الارض، المكتنزة التراب. انظر: اسماعيل، احمد علي، تاريخ بلاد الشام، م١، دمشق، ١٩٩٨، ص ٤٥.

(٤) مرعي، عيد، ابلا تاريخ وحضارة اقدم مملكة في سورية، (دمشق، ١٩٩٦)، ص ٩.

(٥) مقابلة شخصية مع ماتيية بتاريخ ٨/٨/٢٠٠٠م.

(٦) ابو عساف، علين اثار الممالك القديمة، ص ٢٤٥.

الموقع (ابلويين eb-la-i-im) في السطر الرابع، ومرة كاسم مجرد (ايبلا E-b-la) في السطر السابع[١].

يقول ماتييه ومع هذا الدليل المادي واللغوي فان الكثير من المهتمين في تاريخ الشرق القديم قد ساورهم الشك في تحديد هوية الموقع من خلال هذا التمثال وشككوا بان يكون التمثال منقولاً من موقعه الاصلي[٢]، ولكن السبعة عشر الف وخمسمائة رقيم التي تم العثور عليها ما بين اعوام ١٩٧٤–١٩٧٦م كانت كفيلة في ازالة الشكوك والتأكيد على ان تل مرديخ هو مكان مملكة ايبلا القديمة، وألفت هذه المجموعة الكبيرة من النصوص الارشيف الملكي الأبلوي والذي تنوع في موضوعاته فمنها الادارية والاقتصادية والقضائية والادبية والمدرسية والمعاجم اللغوية والرسائل والمعاهدات[٣].

لقد اثار اكتشاف الارشيف الملكي الابلوي ضجة علمية كبيرة بين علماء الاشوريات والمهتمين بتاريخ الشرق القديم لأنه غير من تفكير المؤرخين عن مكانة سورية في المنطقة في الالف الثالث ق.م على حد تعبير عالم الاشوريات جَلْب (Gelb) ودل على ان سوريا في هذه المرحلة التأريخية وبالذات في النصف الثاني منها كانت مركزاً لمملكة قوية لها حضور سياسي وحضاري وتجاري في المنطقة[٤]، وتوصل الاستاذ جَلْب (Gelb) بعد هذا الاكتشاف الى انه ليس صحيحاً ان تكون جميع الحضارات القديمة قد نشأت على ضفاف الانهار، وليس كل الحضارات

---

(1) Pettinato, G. Ebla, p. 16f.

(٢) مقابلة شخصية مع ماتيية بتاريخ ٢٠٠٠/٨/٨م.

(3) Pettinato, G., "The Royal Archives of Tell Marduk-Ebla", (Roma 1976), P. 44.

من الجدير بالاشارة هنا ان مديرية الاثار والمتاحف السورية قد شكلت فريق دولي يتألف من كبار علماء المسماريات والمهتمين في دراسة تاريخ الشرق القديم لدراسة نصوص ايبلا وتالفت اللجنة من باولو ماتييه رئيس بعثة التنقيب في ايبلا وعضوية:–

أ. الفونسو اركي: استاذ اللغات الشرقية القديمة في جامعة روما.
ب. جورجيو بوتشيلاتي: مدير معهد الاثار واللغات السامية في جامعة لوس انجلس.
ج. ديتراوتو ادزارد: مدير معهد الدراسات الاشورية والحثية في جامعة ميونيخ.
د. بيليو فرَنزرولي: استاذ اللغات السامية في جامعة فلورنسا.
هـ. بول غاريللي: استاذ الدراسات الاشورية في السوربون.
و. هورست كلينغل: المتخصص في تاريخ سورية القديم في اكاديمية العلوم في برلين.
ز. جان روبير كوبر: استاذ اللغات الشرقية القديمة في السوربون.
ح. فوزي رشيد: المختص بالدراسات السومرية والاشورية في المؤسسة العامة للاثار والتراث العراقية.
ط. ادموند سولبرجر: المسؤول عن الالواح المسمارية في المتحف البريطاني.

(٤) مرعي، عيد، ايبلا تاريخ حضارة ...، ص ١٤–١٥.

القديمة قد اعتمدت كلياً على الزراعة(١). اذ تظهر نصوص ارشيف ايبلا ان هذه المملكة قد اعتمدت على التجارة ركناً اساسياً من اركان اقتصادها لأنها تتمتع بموقع جغرافي متميز على تقاطع طرق التجارة الدولية بين بلاد الرافدين والبحر المتوسط، وهضبة اسيا الصغرى ووادي النيل في الجنوب، ومن ثم قربها من جبال لبنان والامانوس وطوروس الغنية باشجار الصنوبر والسرو والارز والبقس والسنديان المرغوبة في كل من بلاد الرافدين ومصر لأهمية اخشابها في عملية البناء وخاصة في بناء المعابد والقصور بسبب متانتها وطولها. ومن هنا اخذت ايبلا تتاجر بتلك الاخشاب مما حقق لها ثروات كبيرة ادت الى ازدهارها الاقتصادي(٢). فضلاً عن ذلك فانها تتمتع بتربة صالحة للزراعة اذ ان السهول الخصبة التي تحيط بحلب تساعد على زراعة الحبوب والزيتون اعتماداً على مياه الامطار، وهذا كان عاملاً مساعداً على الاستيطان الكثيف في المنطقة وبالتالي ادى الى ازدهار الانتاج الزراعي ليشكل ركناً آخراً من اركان الاقتصاد في ايبلا بعد التجارة(٣).

لقد تركزت تجارة ايبلا مع الجهات الشرقية والشمالية الشرقية اكثر من الغربية والجنوبية، فقد كان اهم طريق تجاري لها هو الذي يتجه الى الفرات وبخاصة الى ماري ثم تذهب الى كيش وسط بلاد الرافدين، او الى منطقة الخابور واعالي بلاد الرافدين ومنطقة شرق دجلة. وكانت هناك طرق اخرى تذهب الى ايمار (مسكنة) على الفرات والى كركميش، حيث تصدر المنسوجات والمفروشات الصوفية والكتانية، كذلك المنتجات الزراعية ومنها الزيوت والعنب والحبوب(٤). أما اهم وارداتها فكانت المعادن وخاصة معدني الذهب الفضة(٥) والقصدير والاحجار الكريمة(٦)، وهي في هذا شأنها شأن بلاد الرافدين في افتقارها الى الثروات الطبيعية التي كانت بحاجة الى استيرادها(٧).

---

(١) جلب، اجناس، "تباين البيئة بين ابلا في شمالي سورية ولاجاش في جنوبي العراق"، اضواء جديدة على تاريخ واثار بلاد الشام، ترجمة قاسم طوير، (دمشق، ١٩٨٩)، ص ٥٠.

(٢) مرعي، عيد، "التجارة في ابلا"، مجلة دراسات تاريخية، العدد ٤٥-٤٦، (دمشق، ١٩٩٣)، ص ٦١.

(٣) كلينغل، هورست، "منطقة ادلب في العصر البرونزي على ضوء المصادر الكتابية"، ترجمة شوقي شعث، الحوليات السورية، م٤٠، ١٩٩٠، ص١٦٩-١٧٠.

(٤) مرعي، عيد، مجلة دراسات تأريخية، ص ٦٢.

(٥) من الجدير بالذكر هنا انه لا تزال احدى القرى السورية الحالية الواقعة في سفوح جبال طوروس تحمل اسم (كَسَبْ) وهي التسمية الأكدية لمعدن الفضة (Kaspum) وربما هذا يدل على غنى هذه المنطقة بمعدن الفضة بحيث ان سرجون الأكدي يسمي جبال طوروس (جبال الفضة). انظر:
مرعي، عيد، ايبلا تأريخ وحضارة...، ص٤١.

(٦) مرعي، عيد، ايبلا تأريخ وحضارة...، ص ٣٩.

(٧) جلب، اجناس، اضواء جديدة على تاريخ واثار بلاد الشام،ص ٤٨.

ويمكن القول ان العدد الكبير من النصوص الاقتصادية المتعلقة بالاستيراد والتصدير لمملكة ايبلا مهمة كمثيلتها التي جاءتنا من بلاد اشور في العهد الاشوري القديم (٢٠٠٤-١٥٢١ ق.م) عندما انشأ الاشوريون مستوطناتهم التجارية في اسيا الصغرى[١]. اذ ان بلاد اشور كانت تفتقر ايضاً الى الثروات الطبيعية ولكنها كانت غنية بالصوف فكانت تستورد المعادن مقابل تصدير المنسوجات[٢].

وتشير لنا نصوص ايبلا الى ارقام ضخمة للحيوانات التي كانت تمتلكها وخصوصاً الأغنام التي كانت اصوافها تساعد على قيام صناعة نسيجية تجارية في المملكة[٣].

أهم مكتشفات ايبلا:

كشفت التنقيبات الاثارية التي جرت في مدينة ايبلا عن وجود اربعة احياء فيها، وتتحدث الكتابات عن وجود اربع بوابات في المدينة واذا كان الامر كذلك فمن المحتمل ان المدينة كانت محاطة بسور دائري محصن بابراج دفاعية حسب ما معروف في عمارة المدن القديمة، ولكن ذلك لم يثبت بالدلائل المادية لحد الان[٤]، فيما وثقت النصوص الكتابية التسميات الخاصة ببوابات المدينة الاربعة والتي سميت باسماء الالهة الشهيرة عند الابلويين، وهي بوابة بعل ، بوابة رشف، بوابة BE (قراءته الابلوية غير معروفة)، ثم بوابة اوتو (اله الشمس)[٥].

اما أهم المباني المستظهرة في المدينة لحد الان فهي القصر الملكي (G) والذي اكتشفت فيه الرقم الطينية المتعددة الموضوعات. وتتزامن السنوات الاخيرة من عمر هذا القصر مع نهاية عصر فجر السلالات وبداية العصر الأكدي في بلاد الرافدين[٦]، كذلك تم استظهار الجوانب الشمالية والشرقية من الباحة المسماة (باحة الاستقبال الملكية) والتي بلغت ابعادها ٥٠×٢٧ م ولها وبوابة تقع في جهتها الشرقية والى يسار هذه البوابة هناك مكان مخصص للحرس، فيما يقع الجناح الاداري والبناية التي تسمى باسم دار المحفوظات (لأكتشاف ١٥٠٠ رقيم طيني فيها) الى الجنوب من البوابة[٧].

---

(١) حول هذه المستوطنات انظر:

باقر، طه، مقدمة...، ج١، ص ٤٨٢ وما بعدها.

(٢) جلب، اجناس، اضواء جديدة على تاريخ واثار بلاد الشام، ص ٤٨.

(٣) أحمد، محمود عبد الحميد، واخرون، اثار الوطن العربي القديم. ص ٢٦١.

وحول تربية الماشية في ايبلا انظر:

Archi, A., "Agricultural production in the Ebla region", AAAS, vol, 40, 1990, p. 50ff.

(٤) ابو عساف، علي، اثار الممالك القديمة، ص ٢٤٦.

(٥) مرعي، عيد، ايبلا تأريخ وحضارة...، ص٨٨.

(٦) ماتييه، باولو، وآخرون، مملكة ايبلا وعلاقاتها الدولية في الالف الثالث قبل الميلاد، ص ٨.

(٧) ابو عساف، علي، اثار الممالك القديمة، ص ٢٤٧.

ان أهم الملتقطات الاثارية التي تم العثور عليها في داخل القصر هي مجموعة من الحلي الذهبية وبعض اعمال النحت البارز على الحجر والخشب، وكذلك على كميات من الذهب واللازورد الطبيعي وعدد من الصفائح الذهبية التي كانت تزين اثاث القصر. ويبدو ان هذه المجموعة النفيسة من الملتقطات قد قدمت الى القصر كهدايا او كانت تجبى كضرائب خصوصاً معدن الذهب[١]. كما عثر على تماثيل منحوتة نحتاً مركباً من عدة مواد منها الحجر والخشب والصدف والذهب، وعلى اختام تشير صناعتها الجيدة انها كانت مصنوعة للقصر وموظفيه[٢] اما الفخار فقد عثر على انواع عديدة من أوانيه المصنوعة على دولاب الخزف واهم اشكاله الاقداح والاكواب ذات الشكل الاسطواني، اضافة الى القدور والجرار التي تستعمل للنقل والخزن[٣] ومن الجدير بالذكر هنا ان فخار ايبلا متأثر بمواصفاته الفنية بفخاريات فلسطين اذ انتقلت اليه هذه التأثيرات عبر مدينة قطنة[٤].

لقد كشفت التنقيبات الحديثة في ايبلا والتي جرت عام ١٩٩٥ في الجزء الجنوبي منها والذي يقع فيه المعبد المكرس لعبادة الالهة عشتار عن وجود بئرين احتوت في داخلها على مجموعة كبيرة من الفخاريات المختلفة الاشكال والاحجام، وعلى مجموعة من الاساور والحلي المصنوعة من المعادن والاحجار الثمينة، كذلك استخرج عدد من التماثيل الانثوية الطينية وكمية من عظام الحيوانات[٥].

وللمدينة قصر ملكي آخر المعروف بالحرف (Q) وبني خلال الحقبة الثانية من عمر ايبلا (حوالي ٢٠٠٠–١٨٠٠ ق،م) وقد دمر هذا القصر خلال التدمير النهائي لأيبلا على ايدي الحثيين بحدود عام ١٦٠٠ ق.م[٦].

<u>الصلات الحضارية لأيبلا مع بلاد الرافدين:</u>

مرت صلات ايبلا ببلاد الرافدين بعدة مراحل من الممكن تحديد معالمها وتشخيص امتدادتها بالنقاط التالية:

---

(1) Matthiae, P., "Some fragments of early Syrian sculpture from royal palace G of tell mardikh-Ebla". JNES, vol 39, No. 4. 1980. P. 249 ff.

(٢) القيم، علي، امبراطورية ابلا، (دمشق، ١٩٨٩)، ص ١٢٤.

(٣) ابو عساف، علي، اثار الممالك القديمة، ص ٢٦٠.

(4) Mazzoni, S., "Elements of the Ceramic Culture of early Syrian Ebla comparison with Syro-Palestinian EBIV" BASOR, No. 257, 1985, P.15.

(٥) ماتييه، باولو، "تل مرديخ–ابلا" ، معرض الاثار السوري الاوربي، (دمشق، ١٩٩٦)، ص٨٩.

(6) Pettinato, G., Ebla, P. 25.

١. اكدت نتائج التنقيبات الاثارية الالمانية والبلجيكية والهولندية وبالتعاون مع مديرية الاثار والمتاحف السورية في قناص وحبوبة كبيرة وعارودة في منطقة الفرات الاعلى عن وجود امتدادات واضحة للحضارة السومرية تعود بتأريخها الى ٣٥٠٠-٣٠٠٠ ق،م، ومن المرجح جداً ان تكون الحضارة الاولى لمنطقة ايبلا قد نشأت نتيجة ذلك حيث وصل امتداد الحضارة السومرية أولاً الى موقع (بحيرة المتخ) ضمن حدود منطقة ايبلا والتي تشبه ببيئتها وطبيعة أراضيها السهلية جنوب العراق[١]. ومما اكد ذلك هو العثور على ثلاثة اختام اسطوانية تعود الى عصر الوكاء، وبناءاً على ذلك يمكن القول ان التحضر في هذه المنطقة بدأ منذ النصف الثاني من الالف الرابع ق. م[٢]. ثم أخذت الحضارة تزدهر وتتقدم في مختلف اوجهها حتى بلغت اوجها بين عامي ٢٤٠٠-٢٣٠٠ ق.م، بحيث اصبحت ايبلا عاصمة للشمال السوري وأخذت تسيطر على الطرق التجارية التي تأتي من بلاد الرافدين باتجاه البحر المتوسط وبالعكس، وكذلك من اسيا الصغرى الى بلاد الرافدين[٣]. ومن المحتمل ايضاً ان الحضارة السومرية قد ظهرت أولاً على نهر (قويق)[٤] فرب ايبلا ومن ثم أخذت دورها في تحضر المنطقة باسرها[٥].

٢. من المعروف ان اختراع الكتابة قد تم بحدود منتصف الالف الرابع ق.م في جنوب بلاد الرافدين حيث سجل هذا الاختراع باسم السومريين وهم ممن سكنوا المنطقة. ولم ينحصر استخدام هذا الاختراع على بلاد الرافدين بل شاع وانتشر الى مناطق عديدة من الشرق القديم بدءاً من الالف الثالث ق.م[٦]. وقد عرف سكان ايبلا الخط المسماري كنظام كتابي استخدموه في تدوين لغتهم في النصف الثاني من الالف الثالث ق.م بطريقة تتشابه بصورة كبيرة مع الخط المستخدم في النصوص التي عثر عليها في موقعي شروباك (تل فارة) وابو الصلابيخ في جنوب بلاد الرافدين[٧]، فيما كتبت النصوص الادبية المدرسية بالسومرية الاصلية[٨]،

---

(١) ماتييه، باولو، وآخرون، مملكة ايبلا وعلاقاتها الدولية ....، ص ١٨.

(٢) مرعي، عيد، ابلا تاريخ وحضارة....، ص ١٧.

(٣) ماتييه، باولو، معرض الاثار السوري – الاوربي، ص٨٩.

(٤) جفت مياه نهر قويق تماماً عام ١٩٣٣ فلا تجري فيه سوى السيول الشتوية المحلية. انظر: عبد السلام، عادل، الموقع الجغرافي لحلب وبيئتها الطبيعية، الحوليات السورية، م ٤٣، ١٩٩٩، ص ٣١.

(٥) احمد، محمود عبد الحميد، اثار الوطن العربي القديم، ص ٢٤٧.

(٦) مرعي، عيد، "ملاحظات عن الكتابات المسمارية في ايبلا"، بحث القي في الندوة الاقليمية عن الكتابات في بلاد الشام حتى ظهور الاسلام، (عمان، ١٩٩٤)، ص ٩.

(٧) الشرجي، جمال عبد الواسع، الجزريون هجراتهم ومراكز حضارتهم في بلاد الرافدين حتى نهاية الالف الثالث ق.م، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة بغداد، ١٩٩٤)، ص ٣١.

(٨) مرعي، عيد، "ملاحظات عن الكتابات المسمارية في ابلا"، ص ١٤.

وفضلاً عن ذلك فان نسبة المصطلحات السومرية ضمن نصوص ايبلا تزيد عن ٨٠% بحيث تبدو تلك النصوص للوهلة الاولى وكانها مدونة باللغة السومرية، ويشير عالم الاشوريات بكس (Biggs) الى ان نصوص ايبلا الادبية تتضمن اساطير واناشيد وتعاويذ وامثال مشابهة لما ورد في النصوص السومرية التي عرفت في بلاد الرافدين، كما تردد في نصوص ايبلا اسماء الآلهة السومرية (انكي، انليل، اوتو، اينانا)[١].

ومن هنا يمكن القول ان ايبلا تكلمت بلهجة جزرية غربية الا انها كتبتها بالنظام المقطعي المسماري السومري الذي عرفته مع امتداد الحضارة اليها والذي بدأ منذ منتصف الالف الرابع ق. م[٢] حين استخدم الابلويون الكتابة المقطعية بشكل يتناسب مع خصائص لغتهم وصفاتها، ويمكن تشبيه ذلك حالياً في استخدام الحروف العربية في كتابة اللغة الفارسية وبشكل يلائم تلك اللغة، كذلك استخدام الحروف اللاتينية لكتابة العديد من اللغات الاوربية الحديثة وبشكل يتناسب مع قواعد تلك اللغات وصفاتها[٣]. ولعل اهم المكتشفات اللغوية في ايبلا هو ذلك المعجم (الأبلائي– السومري) الذي يعتبر واحداً من اقدم المعاجم اللغوية في التاريخ ويؤشر لنا بصورة جلية ارتباط ايبلا بالحضارة والثقافة السومرية[٤].

٣. يمكن الاستنتاج ان نظام الحكم المتبع في ايبلا كان مشابهاً لما كان في دويلات المدن السومرية بدليل شيوع استخدام لقب حاكم (En) السومري، وهذه اشارة على تطور نظام الحكم في الأجزاء الشمالية من سوريا، بينما لا تجد مثل هذا اللقب شائعاً في جنوب البلاد[٥]، كذلك عرف الابلاويون لقب ملك (Lugal) الذي يظهر في النصوص الابلاوية للدلالة على سيد القصر او سيد المدينة[٦]. كما نجد ان النصوص الأدارية تذكر ان هناك مجلس للشيوخ يساعد الملك على ادارة السلطة[٧] وهو مشابه لمجالس الشيوخ (Shibut alim) المعروفة في دويلات المدن السومرية[٨]. وما دمنا نتحدث عن نظام الحكم في ايبلا فلا بد من الاشارة

---

(١) خياطة، محمد وحيد، "ايبلا بين الواقع التاريخي والتفسير التوراتي"، الحوليات السورية، م ٤٠، ١٩٩٠، ص ٢٩. وللتوسع حول ذلك انظر: الفونسو، اركي، "آلهة ابلا في الالف الثالث ق.م وآلهة اوغاريت"، الحوليات السورية، ٢٩–٣٠، ١٩٧٩، ١٩٨٠، ص ٩١ وما بعدها.

(٢) كلينغل، هورست، تاريخ سورية السياسي، ص ٢٥.

(٣) مرعي، عيد، ابلا تاريخ وحضارة....، ص ٨١.

(٤) القيم، علي، امبراطورية ابلا، ص ١٠٤.

(٥) كلينغل، هورست، تاريخ سورية السياسي، ص ٣١.

(٦) مرعي، عيد، ابلا تاريخ وحضارة....، ص ٢٠.

(٧) المصدر نفسه، ص ٢٢

(٨) كريمر، صموئيل، السومريون، ص ١٠٠.

هنا الى ان ملوكها كانوا يؤلهون بعد وفاتهم وتقدم القرابين لهم بانتظام[١]وهم بهذه الصفة يشبهون على سبيل المثال بعض الملوك السومريين من سلالة اور الثالثة (٢١١٢-٢٠٠٤ ق.م) في بلاد الرافدين[٢].

٤. تركزت العلاقة بين ايبلا وبلاد الرافدين في المدة المحصورة بين (٣٠٠٠-٢٤٠٠ ق.م) مع مدن بلاد الرافدين الجنوبية وبالتحديد مع مدينة كيش حيث تأثرت ايبلا تأثراً شديداً باسلوب الكتابة واصول المراسلات الرسمية المتبعة بين الحكام، كلك تأثرت باسلوب التعليم في المدارس. ولهذا فان ايبلا ارتبطت بصلات ثقافية وثيقة مع مدينة كيش[٣] وتجلت هذه الصلات باوضح صورها في زيارة قام بها أحد مدرسي الرياضيات وهو (اشمع-ايل) من كيش الى ايبلا حيث يورد نص ابلوي مسألة رياضية مبنية على النظام الستيني وضعها (اشمع-ايل) اثناء تواجده في ايبلا[٤].

٥. فضلاً عن العلاقات الثقافية مع كيش فقد تمتعت ايبلا معها بعلاقات تجارية فالعديد من نصوص ايبلا يرد فيها ذكر كيش وذكر بضائع مرسلة اليها واسماء تجار ينقلون تلك البضائع. ويتبين من تلك النصوص ان المنسوجات والفضة هي التي كانت ترسل غالباً الى كيش، ومنها ما كان يرسل كهدايا الى الملك وعائلته[٥]، فيما يذكر احد النصوص ان احد تجار ايبلا ذهب الى كيش ومعه كمية من الفضة لمقايضتها مع بعض الملابس، ويتحدث نص آخر عن كمية من الذهب جاء بها أحد تجار ايبلا الى كيش[٦]. ومما زاد من عمق الصلات التجارية بين ايبلا ومدن بلاد الرافدين وخاصة التي تقع على نهر الفرات ان اتصالها مع الخليج العربي وخصوصاً مع دلمون كان مروراً بتلك المدن التي اصبحت معبراً للبضائع بين الطرفين[٧].

٦. ان أهم المواضيع التي تناولتها اختام ايبلا الاسطوانية هي المشاهد التعبدية والاسطورية ورموز الالهة ومنها عشتار (عناة السورية) بنجمتها الثمانية المعروفة في ديانة العراق القديم، وقد تألفت تلك المشاهد من عناصر (الانسان، الثور، الأسد، البطل العاري) ومثل هذه

---

(١) مرعي، عيد، ابلا تاريخ وحضارة....، ص٢١.

(٢) باقر، طه، مقدمة...، ج١، ص ٣٨٠ وما بعدها.

(3) Astour, M. C., "An Outline of the history of Ebla, part" I, Eblatica, vol 3, 1992, P. 58.

(٤) القيم، علي، امبراطورية ابلا، ص ١٠٥.

(5) Astour, M. C., Eblatica, 1992, P. 57.

(٦) مرعي، عيد، ابلا تاريخ وحضارة....، ص ٦٣.

(٧)مرعي، عيد، ابلا تاريخ وحضارة....، ص ٦٤.

المشاهد والعناصر معروفة في اختتام عصر فجر السلالات في بلاد الرافدين[١] وهذا يعطينا دليلاً واضحاً على تشابه اختتام ايبلا بمشاهدها وعناصرها مع تلك المعروفة في بلاد الرافدين.

٧. مع تولي السلالة الأكدية الحكم في العراق القديم عام ١٣٧١ ق.م دخلت الصلات بين بلاد الرافدين وايبلا مرحلة جديدة فسرجون الاكدي يذكر في نصوصه بان ماري ويارموتي وايبلا اصبحت تحت سيطرته بعد أن منحها له الأله (داجان) الذي سجد له في مدينة توتول. ولكن لا توجد ادلة على ان ايبلا ضمت اداريا الى الامبراطورية الأكدية[٢]، ويرى ماتييه ان ايبلا اضطرت في هذه المرحلة الى تقديم الهدايا الى سرجون وتم الحد من نفوذها[٣]، في حين يذكر نرام سين (٢٢٩١-٢٢٥٥ ق.م)، حفيد سرجون، في نصوصه انه اخضع ارمانوم (التي ربما هي حلب) وايبلا واخذ حاكم ارمانوم ريش-ادد (Rish-Adad) اسيراً، بينما لم يرد ذكر حاكم ايبلا وربما كان ذلك دليلاً على عدم وجود حاكم فيها في هذه الحقبة الزمنية[٤].

ويمكن القول هنا ان من أهم الاسباب التي كانت وراء امتداد النفوذ الأكدي الى ايبلا كونها اصبحت تشكل قوة سياسية واقتصادية في منطقة شمال سوريا. لذلك رأى الملوك الأكديون انه من الصعب تحقيق طموحاتهم في بناء امبراطوريتهم الواسعة والسيطرة على مصادر المواد الأولية، وبخاصة الاخشاب في جبال لبنان والفضة في جبال طوروس، دون الحد من نفوذ مملكة ايبلا[٥]، ولكن بقي اسم ايبلا يتردد في العهود التاريخية اللاحقة حيث ذكرها كوديا في نصوصه[٦]، وذكرت في نصوص سلالة أور الثالثة (٢١١٢-٢٠٠٤ ق.م) لكونها اصبحت تقدم هدايا الولاء لملوكها. ثم اخذ اسم ايبلا يتلاشى في النصوص العراقية بعد ان اصبحت حلب تتمتع بنفوذ قوي في منطقة الشمال السوري مع بدايات الالف الثاني قبل الميلاد وما بعدها[٧].

---

(١) كونه، هارتموت، وآخرون، الاختام الاسطوانية في سورية بين ٣٣٠٠-٣٣٠ ق.م، ترجمة علي ابو عساف وقاسم طوير، (دمشق، بدون سنة طبع)، ص ٥٤-٥٥.

(٢) كلينغل، هورست، تاريخ سورية السياسي، ص ٣٤- ٣٥.

(٣)ماتييه، باولو، وآخرون، مملكة ايبلا وعلاقاتها الدولية ...، ص ١٩.

(٤) اسماعيل، احمد علي، تاريخ بلاد الشام، م١، ص ٤٦.
Bermant, C., and M. , Weitzman, Ebla,(London, 1974), P. 173.

(٥) ماتييه، باولو، وآخرون، مملكة ايبلا وعلاقاتها الدولية ...، ص ٢١.

(6) Pettinato, G. Ebla. P.34.

(7) Bermant, C. and Weitzman, M., Ebla, p. 175-176.

ولا بد هنا من الاشارة الى ان عالم المسماريات جوفاني بتيناتو قد نشر في عام ١٩٧٦ قراءة لنص مسماري من ايبلا، واشار في قراءته لذلك النص انه يتضمن معاهدة بين حاكم ايبلا ايبريوم (Ebrium) وتوديا حاكم اشور وارخ هذه المعاهدة بحدود عام ٢٥٠٠ ق.م[١]، ولكن تبين فيما يعد ان بتيناتو قد قرأ النص قراءة خاطئة، ولم يعثر لحد الان على نص يشير الة وجود معاهدة بين الطرفين[٢].

ومع كل ما لعبته ايبلا من دور سياسي وحضاري في تاريخ بلاد الشام الا انه يصعب تحديد امتداداتها الجغرافية، ولكنها وصلت بنفوذها الى ألالاخ وحلب وربما الى كركميش شمالاً، والى اوغاريت في الغرب، وحمص في الجنوب وبحيرة كابول (Gabbul) في الشرق، ومن المحتمل ان نفوذها قد امتد الى وسط وجنوب فلسطين وحتى غزة[٣].

ونختم كلامنا عن ايبلا بالحديث عن الادعاءات الباطلة التي اثارها الكاتبان اليهوديان (حاييم برمانت) و(ميكائيل وايزمان)، ويعمل الأول صحفياً لصالح أحد وكالات الأنباء اليهودية، أما الثاني فهو استاذ الدراسات العبرية في جامعة لندن. فقد نشر هذان الكاتبان كتاباً باللغة الالمانية ومترجم الى الانكليزية بعنوان (ايبلا حضارة مكتشفة حديثاً في الشرق القديم) واعتمدا في تأليف الكتاب على الاسلوب الانشائي بما توفر لهما من مصادر توراتية ودراسات لاهوتية يهودية لاتمت الى الدراسات الاثارية او اللغوية بصلة وكان رائدهما في هذا المجال (فريدمان)، استاذ للاهوت في جامعة مشيغان وناشر مجلة الاثار التوراتية وغيره من الهواة الذين يجمعون معلوماتهم السطحية بالاستعانة بوسائل الاعلام المرئية والمسموعة والمقروءة التي كان دأبها الاثارة والتشويق على حساب الموضوعية والبحث العلمي الدقيق. وكانت النتيجة ان توصل الكاتبان المذكوران بتقصياتهم السطحية الى (ان السوريين هم احفاد العبرانيين القدامى وان دولة عبرية ذات اعراف وتقاليد عريقة ممتدة الجذور كانت قابعة تحت ركام الزمن في تل مرديخ)[٤].

لقد زعم الكاتبان بانهما الوحيدان اللذان تجمعت لديهما الحقائق، لكن سوريا تضع العراقيل امامهم لتمنعهم من الوصول الى الحقيقة. فضلاً عن ذلك فان عالم المسماريات بتيناتو قد انضم الى هذه الحملة وزعم بقراءة نص عن الخليقة والطوفان مشابهاً لما هو معروف في

---

(١) سوليبجر، ادموند، ما يسمى بالمعاهدة بين ايبلا واشور، ايبلا– عبلاء– الصخرة البيضاء، ترجمة قاسم الطويل، (دمشق، ١٩٨٤)، ص ١٢٥ وما بعدها.

(٢) المصدر نفسه.

(3) Pettinato, G., Ebla,, P. 125.

(٤) خياطة، محمد وحيد، الحوليات السورية، م٤٠، ١٩٩٠، ص ٢٧.

التوراة، اضافة الى قراءات خاطئة اخرى لبعض اسماء الاعلام والآلهة وكان هدفه ربطها بما ورد من اسماء في التواراة، الا انه جوبه برد من قبل علماء اخرين مثل بكس وسوليبرجر وادزارد[١].

أما (جَلْب) فقد تحدث لمحمد وحيد خياطة مدير اثار حلب عن هذه الادعاءات الباطلة عند مقابلته عام ١٩٨٠ في المعهد الشرقي بشيكاغو وسأله عن رأيه بكتابات تلميذه (بتيناتو) فاجاب ساخطاً:

((لقد باع نفسه للشهرة على حساب الموضعية والابحاث الجادة، وكل محاولاته التي بذلها ويبذلها لربط (ايبلا) بالتوراة هي محاولات مضللة وهراء بهراء، هو نفسه غير مقتنع بها))[٢].

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢٨.

(٢) المصدر نفسه.

المبحث الثاني
الأمبراطورية الأكدية والعصر السومري الحديث

١. **الصلات الحضاريةبين بلاد الرافدين وبلاد الشام خلال العصر الاكدي:**

يعد الانتصار الذي حققه سرجون الاكدي (٢٣٧١-٢٣١٦ ق. م) على آخر حكام عصر فجر السلالات لوكال زاكيزي بداية لتأسيس سلالة جديدة في تاريخ بلاد الرافدين هي السلالة الأكدية، تلك السلالة التي أخذت على عاتقها تكوين امبراطورية ذات طابع ترك اثره الواضح على البلاد، على الرغم من انها لم تستمر في حكمها مدة اكثر من نيف ومائة عام (٢٣٧١-٢٢٣٠ ق.م)[١]، ولكنها حققت انجازاً كبيراً للبلاد حيث دخل العراق في ظلها مرحلة مهمة من تاريخه السياسي اصبح فيها موحداً من أقصى الجنوب الى اقصى الشمال وكانت اكد عاصمة ادارية له[٢]. وقد اتخذ سرجون بعد توحيد البلاد لقباً جديداً هو (ملك الجهات الاربعة)، وهذا اللقب بالاضافة الى كونه مظهراً من مظاهر ازدياد السلطة واتساع الرقعة الجغرافية للبلاد، فانه ذو مدلول ديني لتثبيت السلطة السياسية فقد كان لقباً خاصاً ببعض الآلهة العظام مثل (انو) و(انليل) و(شمش) بصفتهم اسياد الخليقة والكون. وباتخاذ الملوك الأكديين هذا اللقب صاروا ممثلين لهؤلاء الآلهة في حكم العالم، مما اضفى على حكمهم صفة الشرعية[٣].

لقد كون الأكديون دولة قوية في سهل العراق ضمت اليها ارض سومر. وامتزجت في دولتهم الجديدة الحضارة السومرية مع الحضارة الأكدية وسادت اللغة الجزرية حيث انهم كتبوا بلغتهم الآداب السومرية، وبذلك اصبحت اللغة الأكدية لغة البلاد الرسمية الى جانب انها اصبحت لغة العلم والثقافة ايضاً[٤]. وهذا يعتبر بحد ذاته اكبر انجاز حققته السلالة الأكدية في خلال مدة حكمها.

لقد كان سرجون مدركاً ان سهل العراق الذي اتخذه مركزاً لأنشاء دولته الجديدة يمكن ان يتعرض للغزو في اي وقت، وهذا ما دفعه للعمل على توسيع الرقعة الجغرافية لدولته الى ابعد مدى يمكن ان يصل اليه.

ولهذا فان الدولة الاكدية امتدت في شرق وادي نهر دجلة وشماله حتى قمم مرتفعات سلاسل زاجروس وطوروس، كما امتدت في ارض الجزيرة والصحراء السورية حتى قمم المرتفعات التي تحد هذه الصحراء من جهة الغرب، أما من جهة الجزيرة العربية فقد امتدت مع حافة

---

(١) ساكز، هاري، عظمة بابل، ص ٦٩.

(٢) بوتيرو، جين، الشرق الادنى الحضارات المبكرة، ص١١١.

(٣) باقر، طه، مقدمة..، ج١، ص ٣٥٥.

(4) Langdon, S. H., the dynasties of Akkad and Lagash, CAH, vol. I, (Cambridge, 1974), P. 403.

الصحراء ووصلت الى صحراء النفوذ وصحراء الدهناء، ومن جهة الجنوب اجتازت منطقة الاهوار الجنوبية حتى سواحل الخليج العربي[(١)].

لقد حقق سرجون هذا الامتداد الجغرافي بفتوحات متواصلة من خلال نشاطه العسكري في جهات مختلفة بحيث انه تعدى بفتوحاته اقاليم البحر المتوسط ووصل الى جزيرة كريت التي وردت في نصوصه باسم كفتارا. ولعل ما يؤيد ذلك الوصول هو العثور على اختام اسطوانية تعود الى العصر الأكدي[(٢)]، كما وثق لنا ذلك في احد نصوصه بقوله:

((سيطرت على البلاد من البحر الأعلى الى البحر الأدنى))[(٣)]

وفي الحقيقة لم يكن هذا التوسع الجغرافي لتلك الامبراطورية بدافع حماية البلاد من الغزو فقط، بل كان ايضاً بدافع آخر وهو الحصول على ما تحتاج اليه الدولة الجديدة من مواد اولية مثل الاخشاب والصخور والمعادن، وكذلك لكسب ولاء المناطق التي كانت تمر من خلالها مسالك التجارة العراقية، فضلاً على توطيد اقدام بعض التجار العراقيين في تلك الاقاليم التي تم فتحها[(٤)]. ونتيجة لذلك فقد حققت الفتوحات الأكدية أول نظام للأمبراطورية التجارية[(٥)] ولغرض ابقاء السيطرة على المناطق التابعة لتلك الأمبراطورية فقد عين سرجون مواطنين من اكد، ومنهم بعض من افراد العائلة الحاكمة كما جاء على لسانه:

((حكاماً من البحر الاسفل الى البحر الأعلى))[(٦)]

وعند استقراءنا الاحداث التاريخية يمكن القول ان سرجون قاد في فتوحاته الخارجية حملات عسكرية عديدة يمكن حصرها باتجاهين على الاقل، الأول عبر دجلة الى الشرق نحو بلاد عيلام[(٧)]، والثاني على طول الفرات نحو الغرب باتجاه بلاد الشام[(٨)]، وهي المنطقة التي تعنينا في بحثنا هذا. كان سكان هذه المنطقة بشكل عام ومؤكد من الجزريين الذين دخلوا في علاقات وصلات انسانية مع وادي الرافدين كما رأينا عند حديثنا عن الاكديين، اذ ان اجداد سرجون خرجوا من هذه المنطقة اصلاً وانهم، وبعد ان نزحوا من موطنهم الأصلي في الجزيرة

---

(١) شريف، ابراهيم، الموقع الجغرافي للعراق، ص ٦٨.

(٢) الأحمد، سامي سعيد، العراق القديم، ج٢، ص ٢٦.

(٣) حتي، فيليب، لبنان في التاريخ، ص ١٧٢.

(٤) شريف، ابراهيم، الموقع الجغرافي للعراق..، ص ٦٩.

(٥) باقر، طه، مقدمة..، ج١، ص ٣٦٠.

(٦) اوتسن، جون، بابل تاريخ مصور، ص ٥٨.

(٧) حول تفاصيل ذلك انظر:

Cameron, O.,G.,Early History of Iran, (chicago, 1968) P. 28f.

(٨) رو، جورج، العراق القديم، ص ٢١٠.

العربيـة نزلـوا فـي هـذه المنطقـة قبـل تـوجههم للأسـتقرار فـي وادي الرافـدين[١]. وقـد ادرك سـرجون ضرورة تمركزه في تلك المنطقة لما تشكله من أهمية تجارية بين ساحل البحر المتوسط والخليج العربـي[٢]، ولأن البلاد السورية تمثل قاعدة ستراتيجية للأنطـلاق الى مناطق اسيا الصـغرى التـي شكلت هي الاخرى مراكز تجارية مهمة ايضاً بالنسبة لبلاد الرافدين في هذه المرحلة التاريخية[٣].

لقد اخبرتنا النصوص الخاصة بحكم سرجون الى انه في سنة حكمه الاولى وصل الى مدينة توتول (Tutul) (تل البيعة الحالي)[٤]، اذ يرد فيها بانه ادى شعائر العبادة في هذه المدينة امام الاله داجان الذي منحه الاراضي العليا ماري ويارموتي (جنوب جبيل) وايبلا حتى غابات الارز وجبـال الفضـة[٥]، ومـن المحتمـل ان توتـول كانـت جـزءاً مـن مملكـة مـاري التــي عـرف الأكديون أهميتها الستراتيجية والسياسية، لهذا فانها مثلت خطواتهم التي تلت استيلائهم علـى توتول حيث يقول سرجون:

((بانه يدين الى الاله داجان (اله توتول) بالهبة التي قدمت له وهي جميع الاراضي العليا))[٦]

ومـن الممكـن ان نسـتنتج مـن ذلـك ان سـرجون ربمـا فكـر بـان كـل الاراضـي الممتـدة مـن توتول الى شمال سوريا كانت تؤلف وحدة دينية وربما عرقية ايضاً ولهذا فانه سجد للأله داجان لكي تكون كل تلك الاراضي تحت سيطرته[٧].

وبعد ان سيطر سرجون على المدن التي تقع على نهر الفرات والخابور والباليخ اتجه للتعامل مع المدن الواقعة غرب بلاد الشام، وكان ذلك في سنة حكمه الحادية عشر حيث كانت جبال لبنان مهمة لما توفره من اخشاب نباتاتها الجبلية والتي تدخل في عمليات البناء، كذلك فان اهمية مدن سواحل البحر المتوسط لم تغب عن بال سرجون[٨]، في حين كانت ايبلا تقع علـى

---

(١) بوتيرو، جين، الشرق الادنى الحضارات المبكرة، ص ١٣٣.

(٢) ساكز، هاري، عظمة بابل، ص ٦٩.

(٣) بيتل، كورت، "رأس تمثال المحارب من ماري"، ترجمة هشام الصفدي، الحوليات السورية، م ١٦، ١٩٦٦، ص ١٤.

(٤) تقع هذه المدينة في تلال الفرات السورية شرق الرقة الحالية (الرفيقة في العصر الاسلامي) وهي مركز عبادة الاله داجان (اله الطعام) وقد عثر فيها على قصر يتشابه في تخطيطه المعماري مع القصر (G) في ايبلا. انظر:

Gronberg, B., Rep, Geogr, Band, 3 ,P. 242.

شترومنجر، ايفا، "تل البيعة"، معرض الاثار السوري الاوربي، (دمشق ١٩٩٦)، ص ٦٥.

(5) Bottero, J. Syria at the time of the king of Agade, CAH, vol, I part 2, (Cambridge, 1971), p. 324.

(٦) بوتيرو، جين، الشرق الادنى الحضارات المبكرة، ص١٣٢.

(٧) المصدر نفسه.

(8) Delaporte, L.,Mesopotamia, (London, 1970), p. 29.

مقربة من مصادر المعادن الثمينة حيث كانت تقوم بالمتاجرة بها وتصديرها الى بلاد الرافدين وبواسطة القوافل البرية حتى ميناء ايمار (مسكنة) على الفرات ومن هناك يتم نقلها بواسطة السفن في الفرات نزولاً الى مدن بلاد الرافدين، وحققت ايبلا من ذلك ارباحاً كبيرة وتراكمت لديها ثروات هائلة وتمكنت من توسيع رقعة نفوذها(١).

ولما كان امر السيطرة على طريق الفرات يضمن استمرار تلك الثروة وذلك النفوذ فقد كان على ايبلا كسب ولاء المدن المهمة التي تقع على الفرات وعلى الباليخ والخابور. ولما كانت ماري مدينة لها اهميتها ستراتيجية على الفرات الاوسط ولا يمكن ان تكون التجارة امنه بدون كسب ولائها، اضطرت ايبلا الى احتلالها عسكريا بعد امتناعها عن دفع ضرائب الولاء لها، فيما دخلت في احلاف ومعاهدات مع مدن اخرى(٢).

وهكذا سيطرت ايبلا على مملكة ماري واقاليم واسعة من منطقة الفرات الاوسط وشمالي سورية، وكان من نتيجة ذلك ان هيمنت على طرق المواصلات النهرية الفراتية(٣)، حيث انها كانت تقوم بتجهيز حملات عسكرية ضد اي مدينة في هذه المنطقة تمتنع عن دفع ما يترتب عليها من ضرائب وكما حصل ذلك مع ماري(٤).

ومن هنا شكلت ايبلا خطراً واضحاً على امن وسلامة طرق التجارة الأكدية وهذا ما ترك اثره على اقتصاد الدولة باكمله مما دفع سرجون الى دخولها عام ٢٣٥٠ ق.م واجبارها على دفع ضرائب الولاء له وكان من نتيجة عمله هذا ان حقق امتيازات اقتصادية كبيرة للدولة الأكدية(٥). اما عن الالاخ (تل عطشانة) التي يذكر احد ملوكها المعاصرين لعصر فجر السلالات الثالث ان ثراء مملكته يعزى الى متاجرته بالاخشاب الثمينة اذ فرض اسعاراً عالية بتجارته هذه، وقد تكون تلك السياسة التي اتبعها هذا الملك ناجحة مع حكام دويلات المدن السومرية، الا انها لم تنجح مع سرجون الذي لم يكن يليق به الخضوع لمثل هذه السياسة التجارية المفروضة من قبل ملك الالاخ. وهكذا فقد ارسل جيوشه نحو جبال الامانوس ومنطقة العمق في سوريا لكي يجعل مصادر تلك الثروات تحت سيطرته المباشرة وقد تحقق له ذلك. وبهذا يمكن ان يعزى تدمير

---

(١) طوير، قاسم، "ارتحال المدن ومواطن الاستقرار في حوض الفرات عبر العصور"، اضواء جديدة على تاريخ واثار بلاد الشام، (دمشق، ١٩٨٩)، ص ٢١.

(2) Bounni, A., “The cuneiform writing and Ebla”, Ages, v0l, I. Part 2, 1986, P.36.

(٣) طوير، قاسم، اضواء جديدة على تاريخ واثار بلاد الشام، ص٢١.

(4) Astour, M. C., Eblatica, 1992, p. 26.

(٥) طوير، قاسم، اضواء جديدة على تاريخ واثار بلاد الشام، ص ٢١.

الطبقة ١٢ من الالاخ الى سرجون، كما انه اقام قصراً جديداً له هناك تميز بعقوده وهي ميزة عمارية معروفة في عمارة بلاد الرافدين(١).

ويمكن القول ان سرجون في حملته الثانية هذه جعل المنطقة وعلى حد تعبيره ذات (فم واحد)، اي انه جعل لغتها واحدة وجلب الغنائم عبر البحر الذي نصب مسلة(٢) على ضفافه(٣)، وبذلك فانه حقق من تاينك الحملتين حماية الطرق التجارية المتجهة نحو الغرب والسيطرة عليها ومن ثم تامين حصوله على المواد الأولية(٤).

ومن خلال السجلات التي تم العثور عليها في توتول وماري يمكن القول ان الفضة والحبوب تعدان ابرز سلعتين استخدمتا في عمليات التبادل التجاري في العصر الاكدي، اضافة الى النحاس والزيوت والدواجن، كذلك بيعت واشتريت الحمير والبغال والابقار والثيران والخنازير، اضافة الى مجاميع من الحلي والخرز والعاج والاخشاب، ومن هنا نستشف انه كانت هناك حركة تجارية نشطة بين المنطقتين(٥).

وازاء تلك الحركة نشأت عدة مراكز تجارية في جنوب وغرب مجرى نهر الخابور الأعلى وفي جوار جبل عبد العزيز حيث شكلت تلك المراكز محطات على الطرق الرئيسية للقوافل التي تصل بين بلاد الرافدين ومدن سوريا الشمالية والغربية، ولعل من اهم تلك المراكز تل خويره وتل بيدر(٦) الذي وجدت فيه بقايا بنائية يصل ارتفاع بعض اجزاء جدرانها الى اربعة امتار وكانت في تلك الجدران مداخل تؤدي الى عدد من الغرف التي كانت بحالة جيدة، وربما كانت هذه البناية تمثل قصراً يعود الى العصر الأكدي وهذا ما تشير اليه نتائج التنقيبات التي اجريت في هذا التل ما بين عامي ١٩٩٢-١٩٩٤(٧). كذلك فقد مثلت ترقا واحدة من اهم تلك المراكز التجارية

---

(1) Wolley, L., A forgotten Kingdom, (Baltimore, 1953), p. 58-60.

(٢) ربما ان هذا التقليد الذي بدأه سرجون في اقامة نصب تذكارية في لبنان استمر الى عصور متأخرة، اذ ان الملك يخدن لم حاكم مدينة ماري وشمشي ادد الاول ملك اشور وسرجون الثاني كانوا جميعاً قد اقاموا صروحاً عند وصولهم وساحل البحر المتوسط. انظر: عبد الله، محمد صبحي، العراق وبلاد الشام الصلات الحضارية والسياسية، ص٢٢٠.

(3) Grayson, A. K., The Empire of Sargon of Akkad, AFO, vol 25, (Toronto, 1974), p. 56-58.

(٤) كولماير، كاي، الاثار السورية، ص ٥٨.

(5) Foster, B., "Commercial Activity in Sargonic mesopotamia", IRAQ, vol. 39, part I, P. 32f.

(٦) يقع تل بيدر في وادي عويج احد فروع نهر الخابور وعلى مسافة ٣٠ كم تقريباً من مدينة الحسكة ضمن اقليم الجزيرة الفراتية. انظر: سليمان، انطوان ومارك لوبو، معرض الاثار السوري- الاوربي، ص ٧٩ وما بعدها.

(٧) المصدر نفسه.

والدينية، كما انها كانت احد مراكز عبادة الأله داجان في منطقة الفرات الاوسط وهو الأله الذي منح ايبلا الى سرجون على حد قوله[١] وكما اشرنا.

ومن ماري تورد نصوص الفأل بعض الاشارات عن المستقبل لها علاقة بشخصية سرجون ومنها نماذج طينية للكبد نقرأ فيها كتابات تتعلق بحملات سرجون في الغرب وذكرها لمدينة توتول (هيت) التي من اسمائها الأخرى ايد ID وايسIS[٢] كذلك ذكرت لنا نصوص الفأل حدوث بعض التمردات الداخلية والخارجية التي شهدتها سنوات حكمه الست وخمسون عاماً من قبل الاقوام العديدة التي خضعت لسيادة امبراطوريته، ومنها تمرد قبائل اللولوبو الجبلية الذي وقع في اواخر ايامه عندما كان سرجون متقدماً في السن حيث حاصروه في عاصمته اكد، الا انه استطاع ان يشن عليهم حرباً تمكن فيها من دحرهم وهزيمتهم، واجلى اعداداً منهم كاسرى حرب وغنم منهم غنائم قدمها الى الالهة عشتار حامية مدينة اكد[٣]. وبعد ذلك يغيب سرجون عن المسرح السياسي بعد وفاته تاركاً البلاد تعمم فيها التمردات وتفتقد الى الآمن والسلام[٤]. وهذا ما وجده ابنه وخليفته من بعده ريموش (٢٣١٥–٢٣٠٧ ق.م)، ولهذا فانه اضطلع باعباء كبيرة عند توليه حكم البلاد يأتي في مقدمتها القضاء على تلك التمردات وبث الأمن والطمأنينة في عموم ارجاء الأمبراطورية الواسعة والتي كان عليه المحافظة على حدودها وهذه هي المهمة الثانية التي كان عليه تحقيقها[٥].

ويمكن القول ان ريموش استطاع السيطرة على الفتنة التي قامت بها بعض المدن الجنوبية مثل اور واوما ولجش حيث قبض على قائد التمرد الذي ورد اسمه في احد النصوص باسم كاكو (kaku) والذي اعلن نفسه ملكاً في اور وتم اقتياد ٥٧٠٠ اسيراً وهدم مدينة اور[٦]. وقد تجدد في عهد ريموش الحلف المعادي بين مملكتي عيلام ووارخشي اضافة الى مملكة زاخار (عند نهر كابنيتوم بين آوان وسوسة)[٧].

---

(١) مجموعة من الباحثين، "بواكير خط المدن في الفرات الاوسط"، اضواء جديدة على تاريخ واثار بلاد الشام، ترجمة قاسم طوير، (دمشق، ١٩٨٩)، ص ١٠٨.

(٢) الأحمد، سامي سعيد، العراق القديم، ج٢ ،ص ٢٢–٢٣.

(3) ANET, 1969, 266.

(4) Delaporte, L.,Mesoptamia, p. 30.

(٥) بوتيرو، جين، الشرق الادنى الحضارات المبكرة، ص١١٣.

(٦) الأحمد، سامي سعيد، العراق القديم، ج٢، ص ٢٨.

(٧) اسماعيل، شعلان كامل، العلاقات الدولية في العصور العراقية القديمة، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة الموصل، ١٩٩٠) ص ١٩.

اما في بلاد الشام، وازاء تلك الظروف السياسية غير المستقرة، فقد ظهرت نوايا ابريوم ملك ايبلا باتجاه توسيع حدود مملكته الجغرافية متجاوزاً على الاراضي التي كانت تحت سيطرة الامبراطورية الأكدية في المنطقة(١). وهذا السبب كان كافيا لأن يجدد ريموش سيطرة والدة على بلاد الشام ومما يؤيد ذلك ما ورد في نص مكتوب على زهرية تحمل اسمه وجدت في تل براك في شمال شرق سوريا حيث يقول انه:

((سيطر من اجل انليل على البلاد كلها من البحر الأعلى الى البحر الأسفل فضلاً عن الجبال جميعاً))(٢)

ولكن لا يوجد دليل على ان ملك ايبلا قد واجه ريموش ويبدو انه قد تحاشى تلك المواجهة، خصوصاً بعد ان وصل ريموش مدينة ارمانم (على الاغلب حلب) واحتلها مع مدن اخرى حيث ادرك ملك ايبلا المقدرة العسكرية التي كان يتمتع بها ريموش(٣).

وبعد تسع سنوات من حكم هذا الملك ينتهي عهده بمؤامرة داخلية قتل على اثرها(٤). اعقب ريموش في الحكم اخاه الأكبر وربما توأمه مانيشتوسو (٢٣٠٦-٢٢٩٢ ق.م)(٥) ولم تكن ظروف البلاد عند اعتلائه العرش تختلف عن ظروفها زمن سلفه، حيث كان عليه ان يجابه فتن وتمردات عديدة للتخلص من الحكم الأكدي، لكنه استطاع ان يحافظ على حدود الامبراطورية كما كانت في عهد ريموش(٦) وتمكن من قمع تمرد قامت به المدن الواقعة في الجهات الشرقية وهي انشان وشريكو حيث اضطر بسبب ذلك الى ان يدخل بلاد عيلام ويحتل (٣٢) مدينة وبهذا استعاد سيطرته عليها واعاد فتح ميناء (الحجر الاسود) على ساحل الخليج العربي(٧) ووجد في العاصمة العيلامية سوسة نصباً من حجر الديورايت الاسود يصور مانشتوسو وابنه(٨). اما في بلاد الشام فلم تذكر النصوص أي تحرك له ويعني هذا ان الاحوال بقيت مستقرة على ما كانت عليه بسبب انشغاله بتمردات الجبهة الشرقية للبلاد(٩).

---

(1) Pettinato, G., The Royal Archives..., P. 47.

(٢) اوتسن، جون، بابل تأريخ مصور، ص٥٢.

(٣) اسماعيل، احمد علي، تاريخ بلاد الشام، م١، ص ٤٦.

(٤) رو، جورج، العراق القديم، ص ٢١٣.

(٥) الأحمد، سامي سعيد، العراق القديم، ج٢، ص ٣٠.

(6) Diakonoff. I. M. ,"Early despotisms in mesopotamia", Early Antiquity, (chicago, 1991), P.88.

(٧) بوتيرو، جين، الشرق الادنى الحضارات المبكرة، ص ١١٤.

(٨) الأحمد، سامي سعيد، العراق القديم، ج٢، ص ٣٠.

(9) Delaporte, L., Mesopotamia, P. 30.

ينتهي حكم مانشتوسو بحسب رواية احد النصوص المتعلقة بتنبؤات الفال انه مات مقتولاً بعد مؤامرة داخلية وخلفه على العرش ابنه نرام–سين (٢٢٩١–٢٢٥٥ ق.م)[١] الذي برهن انه كان حفيداً جديراً بالانتساب الى سرجون، وربما كانت الرقعة الجغرافية للأمبراطورية الأكدية في عهده اوسع من امبراطورية جده[٢].

يتفرد عهد هذا الملك من ناحية وفرة المصادر التاريخية سواء كان ذلك النصوص الاصلية من عهد الملك نفسه مثل الحوادث المؤرخ منها والمنحوتات والمسلات ام الكتابات التي جاءت الينا من العهود المتأخرة وبضمنها نسخ من النصوص الأصلية ونصوص الفأل[٣]. وتذكر قصيدة اكدية ترجع الى بداية الألف الثاني قبل الميلاد اسماء بعض المدن التي تمردت عليه منها كيش والوركاء وسبار ونفر، اضافة الى بلاد مجان في الجنوب وبعض مدن بلاد عيلام ومدينة ماري في الغرب، ويبدو ان هذه المدن والبلدان قد تمردت عليه في اوقات مختلفة خلال سنوات حكمه السبع والثلاثين[٤].

وبعد ان وطد نرام سين الاوضاع الداخلية للبلاد انصرف الى مجابهة الاخطار الخارجية التي تهدد الامبراطورية[٥]. ونرى ان تغيراً قد طرأ في الصلات الدولية بين الدولة الاكدية وبلاد عيلام حيث عقد نرام سين معاهدة مع ملك اوان (Awan) الذي يظن انه خيتا (Kheta) وهي نوع من معاهدات التبعية حيث يقسم فيها ملك اوان ان يكون عدواً لمن يعادي نرام سين وصديقاً لمن يصادقه، بينما لم يذكر نرام سين هذه الجملة ويمكن اعتبارها أول معاهدة بين دولتين اجنبيتين عن بعضهما البعض[٦]. ثم ان نرام–سين اخضع مجان واسر امانودانو (Amanudanu) ملك مجان[٧] كذلك فانه كان نشيطاً في اسيا الصغرى فقد وصل الى تالهاتوم (Talhatum) في جنوب تركيا (بالقرب من ديار بكر) اذ عثر فيها على مسلة تعود اليه[٨]. وبعد كل هذا توجهت انظار نرام–سين نحو الجبهة الغربية التي تكمن فيها الأهمية الاقتصادية للأمبراطورية الأكدية في بلاد الشام، ويفتخر في احد نصوصه انه وصل سوريا وحقق انتصارات فيها بقوله:

((منذ الأزل منذ خلق البشرية لم يخضع أي ملك من ملوك ارمانم (ربما حلب) وايبلا، نيرجال (اله

---

(١) باقر، طه، مقدمة...، ج١، ص ٣٦٩.

(٢) اوتس، جون، بابل تأريخ مصور، ص٥٢.

(٣) باقر، طه، مقدمة...،مقدمة...، ج١، ص ٣٦٩.

(٤) بوتيرو، جين، الشرق الادنى الحضارات المبكرة، ص ١١٤.

(5) Diakonoff. I. M. , Early Antiquity, P.88.

(٦) اسماعيل، شعلان، العلاقات الدولية...، ص ١٩–٢٠.

(7) ANET, 1969, P. 266.

(٨) اونسن، جون، بابل تأريخ مصور، ص ٥٣.

الطاعون والعالم السفلي عند السومريين) فتح الطريق لنرام-سين القوي واعطاه ارمانم وايبلا وأهداه جبال الامانوس وجبال الارز، والبحر الأعلى. وبسلاح داجان الذي جعل مملكته كبيرة اخضع (نرام-سين) القوي ارمانم وايبلا وقبل ذلك (المنطقة) من ضفة الفرات وحتى مدينة أوليشوم (في ضواحي ارمانم وايبلا)))[١]

ومن سياق هذا النص تظهر اهمية ارمانم وايبلا بالنسبة للأكديين بحيث ان نرام٠–سين ابرز انتصاره عليهما في كتاباته على الرغم من وصول سرجون الى ايبلا وريموش الى ارمانم من قبله.

وتم الكشف عن ثلاثة نصوص تتحدث عن قيام تحالف بين ممالك عدة للوقوف ضد نرام سين ومن بين تلك الممالك التي كان عددها سبعة عشر يرد اسم ملك ارمانم[٢]، ولكن نرام–سين استطاع ان ينتصر على هذا الحلف ويأخذ حاكم ارمانم المدعو ريش–ادد اسيراً[٣].

ويبدو ان ايبلا عادت ثانية لتنتهز فرصة انشغال الدولة الاكدية بالوضع الداخلي وبحروبها على الجبهة الشرقية بعد وفاة سرجون الذي كان قد فرض الضرائب عليها وعين ابريوم حاكماً لها، فحاولت فرض سيطرتها على بعض المدن التي تقع الى الشرق والشمال الشرقي منها فدخلت تحت نفوذها مدن مثل طوبا واورياك (الرقة) ولومنان الى الغرب وبورمان وكارمو الواقعتان الى الشرق من ايمار (مسكنة)[٤]، في حين قام الملك الأبلي ابي – زكير (Ibbi-Zikir)[٥] (والذي قرأ سابقاً خطأً ابي سبيش ((Ibbi-Sipish)) بطرد حاكم ماري اكوشار الذي كان قد عينه سرجون ونصب بدلاً عنه شوار–دامو ووصل بنفوذه الى منطقة الخابور في كانيش (كول تبه) في اسيا الصغرى[٦].

لقد شكل هذا النفوذ المتعاظم لمملكة ايبلا تهديداً خطيراً على النفوذ الأقتصادي للدولة الأكدية في بلاد الشام[٧]، ولهذا فقد بدأ نرام–سين تحركاته في بلاد الشام منطلقاً من مدينة ماري باتجاه نهر الفرات مروراً بايمار التي كانت تشكل مركزاً حيوياً في المنطقة فسيطر عليها[٨]

---

(1) ANET, 1969, P. 268.

(٢) اسماعيل، احمد علي، تاريخ بلاد الشام، ص ٥٠.

(٣) كينغل، هورست، تاريخ سورية السياسي، ص ٣٦.

(4) Matthiae, P., Ebla an Empire Rediscoverd, (Toronto, 1977), P. 170.

(٥) مرعي، عيد، ابلا تاريخ وحضارة، ص ٢٠.

(6) Matthiae, P., Ebla an Empire ..., P. 176.

(٧) مرعي، عيد، ابلا تاريخ وحضارة، ص ٩٣.

(8) Botterro, J., CAH, I, part 2. P. 225.

وعندئذ استنجد ملك ايبلا الذي كان معاصراً لذلك الحدث (ايركاب–دامو) بملك حمازي[١] المدعو زيزي لمساعدته في الموقف الصعب الذي يواجهه[٢]، ولكن هذا لم يجد نفعاً امام قوة نرام–سين العسكرية التي مكنته من توجيه ضربة قاسية لأيبلا جعلتها تفقد قوتها واهميتها السياسية والأقتصادية حتى اخذت بالأضمحلال في حدود عام ١٨٠٠ ق.م الى ان تلاشت واحترقت بين عامي ١٧٠٠–١٦٠٠ ق.م بدليل وجود كميات من الرماد على مستويات ارضية المدينة الآخيرة من جراء غزو الحثيين لمنطقة الشمال السوري[٣]. وبهذا اصبحت المنطقة الشمالية من سوريا تحت سيطرة نرام–سين بما فيها اوغاريت على البحر المتوسط[٤] اضافة الى مناطق الجزيرة الفراتية التي شهدت له تحركات عسكرية وتجارية واضحة دلت عليها الآثار العديدة التي تم اكتشافها في المنطقة ولعل من ابرزها حصن تل براك الذي احتوى على مخازن واسعة اتخذت مراكز لتجميع الضرائب المفروضة من قبل نرام–سين على اقوام المنطقة[٥]، كما وجد في موقع تل جدلة على العديد من البقايا البنائية ومنها سور المدينة الذي يتميز باستحكاماته الجيدة، مما يدل على ان هذا الموقع كان ذو أهمية ستراتيجية في العصر الأكدي[٦].

وفي تنقيبات الموسم العاشر لماري وفي الحارة المعروفة بالمنزل الأحمر تم العثور على اثار مصنوعة من البرونز وهي عبارة عن (منجل ومجرفة وكأس) حوت اسماء بنتين من بنات نرام–سين وهن (شومساني وميكببار)[٧]. ومن الجدير بالأشارة اليه هنا ان نرام–سين يعتبر آخر الملوك الأقوياء في السلالة الأكدية، اذ انه اطلق على نفسه على غرار جده (ملك الجهات الاربع) واله نفسه في حياته وقد عرف ذلك من خلال وضع علامة الآلوهية امام اسمه في الكتابات التي خلفها لنا، كما اتخذ لقب (اله اكد)[٨]. ولكن الاخبار المتأخرة تذكر ان حكمه انتهى باضطراب الاوضاع وبدت الاخطار تلوح في الافق بعد موته فادت الى

---

(١) يرى الدكتور سامي سعيد الأحمد ان هذه المدينة ربما تقع قرب سليمانية على الحدود الشرقية لبلاد الرافدين ويبدو انه من الصعب طلب مساعدة ايبلا من تلك المدينة البعيدة عنها ولهذا فمن الممكن القول ربما هناك مدينة اخرى بنفس الاسم تقع قريبة من ايبلا. انظر:

ألاحمد، سامي سعيد، تاريخ العراق القديم، ج٢، ص ٣١.

(٢) المصدر نفسه.

(3) Matthiae, P. Ebla an Empire ..., P.55.

(٤) شيفر، كلود، "موسم الحفائر الرابع والعشرين في رأس شمرا"، ترجمة بشير زهدي، الحوليات السورية، م١٣، ١٩٦٣، ص ٢٢٢–٢٢٣.

(٥) ألاحمد، سامي سعيد، العراق القديم، ج٢، ص ٣٨.

(٦) مالوان، ماكس، مذكرات مالوان، ص ١٧٤.

(٧) ألاحمد، سامي سعيد، العراق القديم، ج٢، ص ٤٤.

(٨) مرعي، عيد، تاريخ بلاد الرافدين ، ص ٥٠.

تحطيم الامبراطورية في عهد خلفاءه الذين لم يكونوا في قوته السياسية والعسكرية، حيث جاءت الضربة القاضية للأكديين على يد القبائل الكوتية كما سنرى(١).

خلف نرام–سين شاركالي–شاري (٢٢٥٤–٢٢٣٠ ق.م) ومعناه في الاكدية (ملك كل الملوك)، الذي يظهر في كتاباته الدينية التي تركها بانه حاول تلافي ما أهمله والده في هذا المجال، اذ وصف نفسه بانه (باني اي – كر (بيت الأله انليل))(٢)، في حين تعرفنا اسماء السنين المؤرخة (Date formula) بان بلاد عيلام قد انفصلت عن سلطة اكد وشنت هجوماً على المناطق الجنوبية من العراق حتى وصلوا مدينة اوبس(٣) حيث تم صدهم وتراجعهم(٤)، في حين ترأست الوركاء حلفاً من بعض المدن الجنوبية للأنسلاخ عن الحكم الأكدي، ولكنه قضى على هذه المحاولة(٥).

أما في الجبهة الغربية فقد ذكر شاركالي شاري انه انتصر على جموع الأموريين (Martu) في منطقة جبل بسار (جبل بشري) ويتباهى بانه حقق ما حققه اسلافه في انه وصل الى جبال الامانوس والبحر الأعلى(٦). وتعتبر هذه اقدم اشارة جاءتنا على بوادر هجرات الأموريين الى بلاد الرافدين حيث نراهم بعد اكثر من قرن قادرين من القضاء على امبراطورية اور الثالثة(٧)، لكن الخطر الكبير على البلاد تفاقم من الجهة الشمالية الشرقية متمثلاً بقبائل همجية عرفت باسم الكوتيين، ففي حادثة احد سنوات حكم هذا الملك يذكر انه جرد حملة على الكوتيين وسجل انتصاراً عليهم واسر ملكهم المدعو شارلكاب(٨).

ونتيجة لهذا الوضع المتأزم والمضطرب تخلى شاركالي–شاري عن لقب (ملك الجهات الاربع) واكتفى بلقب (ملك أكد)(٩)، الا ان الكوتيين تمكنوا في النهاية من شن هجوم كبير في

---

(1) Delaporte, L., Mesopotamia, P. 33.

(٢) من المعروف ان نرام–سين ادعى الألوهية وهناك نص يعرف لدى الباحثين باسم (لعنة اكد) يذكر فيه انه انتهك حرمة معبد انليل (اي – كر) في نفر وسمح لنفسه بنقل ممتلكات هذا المعبد الى العاصمة اكد. انظر اوتسن، جون، بابل تاريخ مصور، ص ٦٣.

(٣) تقع هذه المدينة على نهر دجلة مقابل المدائن بجوار مدينة سلوقية القديمة (تل عمر). انظر: جميل، فؤاد، "اين تقع مدينة اوبس"، سومر، م ٢٣، ١٩٦٧، ص ١٥٧ وما بعدها.

(٤) ألاحمد، سامي سعيد، تاريخ العراق القديم، ج٢، ص ٤٠–٤١.

(5) Delaporte, L., Mesopotamia, P. 32.

(٦) كلينغل، هورست، تاريخ سورية السياسي، ص ٣٦.

(٧) باقر، طه، مقدمة...،ج١، ص ٣٧٤.

(٨) المصدر نفسه.

(٩) مرعي، عيد، تاريخ بلاد الرافدين ، ص ٥١.

اواخر حكمه كان من نتيجته القضاء على حكم السلالة الأكدية في عهد خلفاؤه(١)، ونستشف من قائمة الملوك السومرية الفوضى وعدم استقرار الأحوال السياسية التي عمت البلاد بعد حكم شاركالي شاري من خلال ما جاء فيها:

((من كان ملكاً ؟ من لم يكن ملكاً ؟ هل كان ايكيكي ملكاً، هل كان نانوم ملكاً هل كان ايمي ملكاً، أم كان ايلولو ملكاً، هم حكموا ثلاث سنوات، دودو حكم خمس عشرة سنة، أحد عشر ملكاً حكموا هناك ١٨١ سنة. اكد ضربت بالسلاح وانتقلت الملكية منها الى اوروك))(٢)

ومما تقدم في هذا النص نستنتج ان الثقل السياسي الامبراطوري للأكديين قد انتهى بعد وفاة شاركالي شاري وان الملوك الذين خلفوه في الحكم كانو اسماء ليس لها دور سياسي فاعل، وربما سيطر الملك الأكدي الأخير على الاراضي الواقعة شرق منطقة نهر ديالى(٣)، وهذا يدل على ان الكوتيين لم يحكموا البلاد باكملها.

ومع نهاية الكيان السياسي الأكدي فان دلائل وجودهم وتحركهم في بلاد الشام لم تنته، اذ كشفت التنقيبات التي جرت في تل خويرة على مجموعة من اللقى الفخارية والبرونزية في داخل المعبد الذي يعود بتاريخه الى النصف الثاني من الالف الثالثة قبل الميلاد، ويستدل من شكلها وطريقة صنعها على انها تعود الى العهد الأكدي(٤).

ويعطينا موقع تل سلنكحية(٥) دلائل اخرى على الوجود الأكدي في منطقة شمال سوريا فقد عثر في الطبقة الثالثة من احد غرف الموقع على بعض سدادات الجرار الطينية وقد نقش على احدها مشهد اسطوري يمثل صراعاً بين الآلهة وهو يعود الى آخر سنوات الامبراطورية الأكدية، كذلك عثر في نفس الموقع على اواني فخارية مختلفة الاشكال والاحجام وكانت تعود الى العهد الأكدي(٦).

---

(١) باقر، طه، مقدمة...،مقدمة...، ج١، ص٣٧٤.

(2) Jacobson, T., The sumerian king list, P. 133f.

(٣) اوتس، جون، بابل تأريخ مصور، ص ٥٥.

(٤) مورتكارت، انطوان، الحوليات السورية، م ١٠، ١٩٦٠، ص ٢٧٧.

(٥) يقع هذا التل على الضفة اليمنى لنهر الفرات مجاور منعطفة نحو الشرق وفي منتصف المسافة بين موقعي حبوبة ومسكنة ضمن حدود محافظة حلب الحالية وعملت فيه بعثة من جامعة شيكاغو ما بين عام ١٩٦٥–١٩٦٧ ثم اعقبتها في العمل بعثة هولندية من جامعة امستردام خلال الاعوام ١٩٧٠، ١٩٧٢، ١٩٧٤. انظر: ابو عساف، علي، اثار الممالك القديمة في سورية، ص ٤٤.

(٦) لون، مورتيس فان، "النتائج الاولية لحفريات عام ١٩٦٧ بتل سلنكحية"، ترجمة شوقي شعث، الحوليات السورية، م ١٨، ١٩٦٨، ص ١٦١ وما بعدها.

ولعل آخر التنقيبات الحديثة المتوفرة نتائجها لنا حتى الآن تأتينا من موقع (تل السويحات)[١] والتي جرت ما بين اعوام ١٩٨٩-١٩٩٢، اذ تم العثور على جرار فخارية كبيرة من ذوات اليد الواحدة والقعر المسطح وهي ذات اغطية برونزية وكانت تلك الجرار تستخدم للخزن، اضافة الى ذلك فقد عثر على احجار تستعمل لوزن المنتجات المعدنية الخام التي كانت تستورد من الاجزاء الشرقية من آسيا الصغرى على امتداد نهر الفرات، وتبين من تلك المخلفات الآثارية ان هذا الموقع قد لعب دوراً مهماً على طريق التجارة ما بين الشرق والغرب، حيث كانت تمر البضائع بامان من مناطق الفرات العليا في اسيا الصغرى وصولاً الى مدن بلاد الرافدين خلال العصر الأكدي[٢].

ومن السابق يتضح لنا ان الفتوحات التي اقدمت عليها الدولة الأكدية كان هدفها ردع الأخطار الخارجية عن البلاد حتى اصبحت نتيجة ذلك امبراطورية واسعة الرقعة وعدت تلك الفتوحات ذات طبيعة تجارية هدفها الحصول على الثروات والسلع المختلفة وخاصة الاخشاب والمعادن والاحجار التي تفتقر اليها بيئة العراق القديم.

الصلات الحضارية بين بلاد الرافدين وبلاد الشام خلال العصر السومري الحديث (٢١١٢-٢٠٠٤ ق.م):

شهدت بلاد الرافدين بعد انتهاء العصر الأكدي تسلطاً من قبل الكوتيين الذين تخصص لهم قائمة الملوك السومرية عشرين او واحداً وعشرين ملكاً حكموا اكثر من قرن[٣]، ولا يعرف اسم اول ملوكهم، ولعله كان شارلكاب الذي ذكر الملك الاكدي شاركالي-شاري بانه أخذه اسيراً[٤]. اما اصلهم فانهم كانوا من اقوام جبال زاجروس المتاخمة لحدود العراق الشرقية مع ايران، ولكن لا يعلم على وجه التأكيد عما اذا كانوا من الأقوام (الهندية-الأوربية)[٥].

---

(١) يقع هذا التل على الجانب الشمالي الشرقي من بحيرة الأسد على الضفة اليمنى لنهر الفرات ضمن حدود محافظة الرقة قامت بالتنقيب فيه بعثة بريطانية من متحف اشمولين بين عام ١٩٧٣ و١٩٧٥، وفي نهاية الثمانينات استؤنف العمل من قبل بعثة معهد الآثار في شيكاغو. انظر:
ابو عساف، علي، اثار الممالك القديمة في سورية، ص ٤٩.

(٢) هولاند، توماس، "دليل على التجارة في تل السويحات خلال النصف الثاني من الالف الثالث قبل الميلاد"، ترجمة هالة مصطفى، الحوليات السورية، م ٤٣، ١٩٩٩، ص ٢٨٧ وما بعدها.

(٣) باقر، طه، مقدمة...، ج١، ص ٣٧٥.

(٤) مرعي، عيد، تاريخ بلاد الرافدين ، ص ٥٥.

(5) Snell, D. C., Life In The Ancient Near East, (London, 1997), P. 44.

لقد اتخذ الكوتيون من أرابخا (كركوك الحالية) مركزاً لحكمهم بعد ان دمروا المناطق الجنوبية للبلاد ولم تسلم من هذا التدمير حتى معابد الالهة مثل معبد الآلهة عشتار في مدينة اشور[١]، ولكننا لا نعرف اي شيء عن الظروف التي ادت الى دخولهم المدن الجنوبية، وكيف تمكنوا من فرض سيطرتهم عليها وهل حدثت هناك صدامات عسكرية مع الجيوش الاكدية، اذ لم تذكر لنا النصوص التاريخية ذلك، ولكن بقي ذكرهم يتردد في المصادر العراقية القديمة حتى نهاية العصور المتأخرة وجاء ذكر احفادهم في رسائل ماري وفي اخبار الحملات الاشورية باسم (توتو)[٢]، ولكنهم لم يبنوا شيئاً ولم تكن لهم مآثر خاصة بهم، ولم يُدخلو اي شيء جديد الى حضارة بلاد الرافدين. وعلى العكس من ذلك تاثر الكوتيون بحضارة البلاد حتى ان اسماء بعض ملوكهم الذين حكموا في النصف الثاني من عهدهم كانت اكدية وقد استعملوا اللغة الاكدية والكتابة المسمارية لتدوين كتاباتهم الملكية واقتبسوا بعض الآلهة الأكدية وطابقوها مع آلهتهم[٣]. ان هذا كله يدل على الغلبة الحضارية لسكان البلاد الاصليين من سومريين وأكديين مع ان زمام السلطة السياسية على البلاد كان بحوزتهم[٤]، ولكنه كان جزئياً بدليل ان الملك الأكدي (شو-دورول) استطاع ان يبسط نفوذه على منطق اشنونا اثناء حكمهم[٥].

ويمكن القول ان مدة وجودهم بالعراق التي استمرت حوالي قرن من الزمان (٢٢٣٠-٢١٢٠ ق.م) كانت من العهود المظلمة التي مر بها العراق القديم. ولهذا كانت الصلات السياسية والحضارية بين البلاد والبلدان ألأخر تمر بمدة من الركود شأنها في ذلك شأن جوانب الحياة الاخرى[٦]. في حين تذكر اثبات الملوك السومرية قيام عدة سلالات وطنية سومرية حاكمة في جنوب البلاد ومنها سلالة الوركاء الرابعة وسلالة لجش الثانية في مدينة لجش[٧].

ومن خلال استقراء التاريخ السياسي والحضاري لسلالة لجش الثانية (٢٢٠٠-٢١٠٠ ق.م) والتي شهد عهدها انتعاشاً جديداً في اللغة والثقافة السومرية نلاحظ ان النشاط التجاري قد استعاد عافيته وخصوصاً مع بلاد الشام على طول مناطق الفرات الاوسط والأعلى باتجاه شمال سورية مع باسالا (باسار في نص شاركالي شري)، ومع تيدان (اي بلاد الاموريين) وكذلك مع

---

(1) Gadd, C., “The last The kings of Agads and Gutian supremacy”, CAH, vol, I, part 2- (Cambridge, 1977), P. 454 f.

(٢) ألاحمد، سامي سعيد، العراق القديم، ج٢، ص ٨٧.

(٣) بوتيرو، جين، الشرق الادنى الحضارات المبكرة، ص ١٢٣.

(٤) ابو عساف، علي، اثار الممالك القديمة في سورية، ص ٢٩٥.

(٥) باقر، طه، مقدمة... ، ج١، ص ٣٧٤.

(٦) اسماعيل، شعلان كامل، العلاقات الدولية...، ص٢١.

(٧) كريمر، صموئيل نوح، السومريون، ص٨٨.

اورسو وايبلا في اعالي نهر الفرات[١] اذ يحدثنا جوديا في احد نصوصه ان نوعاً من الاخشاب والحجارة والكتان قد جلبها من هاتين المنطقتين القريبتين عن بعضهما وكانت ايبلا في هذه المرحلة الزمنية تابعة لمدينة حلب بعد ان فقدت منزلتها السياسية والأقتصادية على يد نرام–سين، ولكنها بقيت تمثل مصدراً من مصادر الاخشاب والحجارة والمنسوجات[٢]. كذلك فقد امتدت الصلات التجارية لهذه السلالة حتى سلسلة جبال الامانوس وربما مع منطقتي مينوا وخاخوم وجبل اورينجيراز (Uringeraz) ومن المحتمل وقوع تلك المناطق في سلسلة جبال طوروس او في اراضي كبدوكيا في اسيا الصغرى[٣]، في حين كان جوديا يأتي بالمرمر والصخور من جبل تيدال الذي اسماه جبل الأموريين وكذلك من منطقة بارسيب حيث حُملت تلك الصخور الى لجش بواسطة سفن كبيرة[٤]. فضلاً عن ذلك فقد امتد النشاط التجاري لهذه الدولة الى اقاليم بلاد عيلام وديلمون ومكان وميلوخا للحصول على المواد الاولية الأخرى[٥] ويظهر ان جوديا كان قد عقد اتفاقيات لضمان امان الطرق التجارية التي كان يسلكها التجار حتى مع الغزاة الكوتيين في شمال البلاد[٦].

ويتضح مما تقدم ان جوديا سعى الى تحقيق الهدف نفسه الذي سعى اليه ملوك الدولة الأكدية الأوائل، الا وهو تأمين سلامة الطرق التجارية وبالتالي ضمان الحصول على المواد الاولية، لكن اختلفت الوسائل، فقد ارسل الملوك الأكديون حملات عسكرية، بينما أرسل جوديا بعثات تجارية وصلت الى المناطق التي تاجروا معها وعقدوا صفقات تجارية مختلفة[٧]. ومع ان كمية البضائع التي كانت تأتي الى لجش اقل من تلك التي انهالت على اكد، غير انها كانت أرخص ثمناً حيث انها لم تتطلب حملات او ثغور عسكرية عديدة للسيطرة على الطرق التجارية، كما لم تكن بحاجة لكادر اداري كبير، ولهذا كانت لجش مدينة مرفهة وأقل تعرضاً للخطر حيث نعمت بالأمن والأستقرار والثراء وهذا ما انعكس على اقامة المشاريع العامة الجديدة في الدولة ولم نقرأ في النصوص كلمة واحدة عن الحرب[٨].

---

(١) بوتيرو، جين، الشرق الادنى الحضارات المبكرة، ص ١٢٦.

(2) Matthiae, P. Ebla an Empire ..., P 61 f.

(٣) بوتيرو، جين، الشرق الادنى الحضارات المبكرة، ص ١٢٦.

(٤) ألاحمد، سامي سعيد، العراق القديم، ج٢، ص ٩٧.

(٥) مرعي، عيد، تاريخ بلاد الرافدين ، ص ٥٧.

(٦) بوتيرو، جين، الشرق الادنى الحضارات المبكرة، ص ١٢٦.

(٧) مرعي، عيد، تاريخ بلاد الرافدين ، ص ٥٧–٥٨.

(٨) بوتيرو، جين، الشرق الادنى الحضارات المبكرة، ص ١٢٦–١٢٧.

وفي حدود عام ٢١٢٠ ق.م ظهر في مدينة الوركاء زعيم سومري هو اتوخيكال الذي خلد اسمه في التاريخ لأنه استطاع أن يخلص البلاد من حكم الكوتيين وتخلفهم الحضاري واسس سلالة في مدينة الوركاء هي (سلالة الوركاء الخامسة). وقد خلف لنا نصاً أدبياً رائعاً يحكي لنا قصة طرده للكوتيين من البلاد(١). ولكن وبعد حوالي سبع سنوات من حكم اوتوخيكال حدث خلاف بينه وبين حاكم مدينة اور (اور–نمو)، انتهى بتسلط اورنمو واعلان الانفصال عن سلطة اوتوخيكال(٢) مؤسساً بذلك سلالة جديدة هي سلالة اور الثالثة (٢١١٢–٢٠٠٤ قف.م) التعي يمثل عهدها واحداً من أروع عصور تأريخ العراق القديم فقد ضمن ملوك هذه السلالة لبلاد الرافدين قرناً كاملاً من السلم والأزدهار مقترناً بنهضة فنية وادبية، كما انها مثلت آخر سلالة سومرية حاكمة في التاريخ(٣).

لقد شكلت هذه السلالة منذ بدايتها امبراطورية واسعة، فبعد ان استطاع اورنمو (٢١١٢–٢٠٩٥ ق.م) تثبيت حكمه في داخل البلاد واعادة وحدة البلاد السياسية بعد طرده الغزاة الكوتيين، بدأ يتوسع في فتوحاته فضم اشور وبلاد عيلام والأجزاء الشرقية من سوريا ووادي الباليخ والخابور، في حين وصل في الجنوب الى دلمون(٤). وقد اتبع اورنمو وبقية ملوك هذه السلالة في علاقاتهم الدولية مع الدول والممالك التي اخضعوها تحت سيطرتهم سياسة المصاهرات السياسية مع حكام وملوك الدول والمقاطعات المجاورة حيث كانت هذه السياسة اساساً لتمتين تلك العلاقات(٥).

يتميز حكم هذه السلالة بوفرة المصادر الكتابية المتمثلة بالنصوص والعقود التجارية والقانونية، ولكن المصادر الرسمية اي الكتابات الملكية قليلة اذا ما قورنت مع الصنف الأول من المصادر(٦)، فلم يأتِ الينا سوى عدد قليل من النصوص القصيرة الخاصة بملوك هذه السلالة واسماء الحوادث التي كانت تتخذ لتأريخ السنين اي ما يسمى (Date formula)(٧)، ولكن مع قلة تلك المصادر فانها تظهر لنا جوانب مهمة من الاوضاع الداخلية للبلاد في هذا العهد(٨).

---

(١) علي، فاضل عبد الواحد، العراق في التاريخ، ص ٧٩. وحول النص الخاص بطرد الكوتيين من البلاد انظر: كريمر، صموئيل نوح، السومريون، ص ٤٦٨.

(٢) باقر، طه، مقدمة... ، ج١، ص ٣٨١.

(٣) رو، جورج، العراق القديم، ص ٢٢٤.

(٤) ألاحمد، سامي سعيد، العراق القديم، ج٢، ص ١٠٩.

(5) Gadd, C., "Babylonia 2120-1800 B. C.", CAH, vol I part 2, (Cambridge, 1971), P. 600.

(6) Diakonoff. I. M. , Early Antiquity, P.92.

(٧) باقر، طه، مقدمة... ، ج١، ص ١٨١.

(٨) بوتيرو، جين، الشرق الادنى الحضارات المبكرة، ص ١٤٣.

ويمكن القول انه في عهد هذه السلالة قامت علاقات تجارية وثيقة مع بلاد عيلام من جهة وبين شمال سوريا والتي حصلت من وادي الرافدين على جرعات حضارية ساهمت على ايقاد تطورها الحضاري خلال هذه الحقبة التأريخية[١]. حيث خلفت لنا هذه السلالة عدد كبيراً من النصوص الأقتصادية جاءتنا من مدن لجش ونفر وبوزرش داجان (دريهم) تشير الى ازدهار الاتصالات التجارية مع سوريا[٢]، وكذلك كانت هناك مصاهرات سياسية مع عدة مدن مثل ايبلا وأورشو وموكيش الواقعة عند مصب نهر العاصي[٣] ويرد في احد النصوص اسم اميرة من بلاد ايبلا اسمها (تارام–اورام) حيث يصفها النص بانها ابنة (عبيل–كين) وكنة الملك اورنمو[٤].

ومن ماري يأتينا دليل على الوجود السومري في هذا العهد فد عثر في القاعة رقم ١٣٢ من القصر على صور جدارية تشبه الى حد كبير النصب المعروفة باسم نصب اورنمو وهي بالتاكيد تعود الى سلالة اور الثالثة وهذا ما اشار اليه مورتكارت[٥]. فقد كانت ماري تتمتع بعلاقة وثيقة مع ملوك هذه السلالة ومما يؤكد ذلك ان أحد حكامها تزوج احد الأميرات من اسرة اورنمو[٦].

خلف اورنمو في الحكم ابنه شولكي (٢٠٩٤–٢٠٤٧ ق.م) وتردنا اشارة من عهده الى ان مدن ماري وايبلا كانت تقدم ما فرض عليها من عطاءات ونذور بعد ان اله هذا الملك نفسه وأخذت المدن السومرية تقدم القرابين له[٧]. ويرد في نصوص امار–سين (٢٠٤٦–٢٠٣٨ ق.م) الذي خلف شولكي في الحكم اسم شخص يدعى ابداتي (Abdati) من مدينة جبيل ويبدو انه كان شخصية قيادية في هذه المدينة الساحلية. وجاءنا نص من السنة السابعة لحكم الملك نفسه عثر عليه في موقع دريهم يذكر فيه اسم رسول بعثه امار–سين الى حاكم ايبلا ميحوم (me-Gu-um)، وكل هذه الاشارات تدلل على الصلات السياسية بين حكام أور وبعض من مدن بلاد الشام[٨].

---

(١) رو، جورج، العراق القديم، ص ٢٣٥.

(٢) كلينغل، هورست، تاريخ سورية السياسي، ص ٣٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٧.

(٤) بيغا، ماريا جوفانا، "حريم ملوك ابلا"، اضواء جديدة على تاريخ واثار بلاد الشام، ترجمة قاسم طوير، (دمشق، ١٩٨٩)، ص ٧٥.

(٥) الصفدي، هشام، "تاريخ رأس لمحارب من ماري"، الحوليات السورية، م ١٦، ج١، ١٩٦٦، ص ١٣.

(٦) ألاحمد، سامي سعيد، العراق القديم، ج٢، ص ١٠٩.

(٧) المصدر نفسه، ص ١١٦.

(٨) كلينغل، هورست، تاريخ سورية السياسي، ص ٣٧.

ويؤشر لنا عهد شو–سين (٢٠٣٧–٢٠٢٩ ق،م) انعطافاً في صلات بلاد الرافدين مع بلاد الشام حيث تبدأ القبائل الأمورية بمحاولة التوغل والدخول الى البلاد في السنة الرابعة من حكم هذا الملك، ويخبرنا عن قيامه ببناء سور دفاعي ضخم لصد تلك المحاولات ويظهر انه نجح في ايقافها(١)، ولكننا نقرأ في احد نصوصه انه ارسل مجموعة من الاشخاص الى سوريا الغربية التي وصفها بانها ((البلد الذي يقطع منه الأرز)) يقصد به لبنان الحالي. ويعدد النص بعض المواقع التي مرت بها تلك المجموعة ومنها توتول، ماري، ايبلا، اوركيش، موكيش، وابارنوم، ولكن لا يوجد لدينا دليل قاطع حتى الان على قيام هذا الملك بحملة عسكرية على سوريا(٢).

وبوفاة شو–سين تولى العرش من بعده ابي–سين (٢٠٢٨–٢٠٠٤ ق.م) الذي مثل حكمه آخر سنوات حكم سلالة أور الثالثة. ويمكن القول انه في عهد هذا الملك ازداد تدفق الآموريين من بلاد الشام بحيث ان سلطة أور الثالثة اخذت تضعف ولم تعد تحكم اكثر من العاصمة(٣). وتمكن الاموريون أخيراً من اختراق السور الذي كان قد شيده شو–سين ثم بدأوا بالنزول على مدن السهل الرسوبي فاستغل العيلاميون ذلك الوضع الذي كانت تمر به حكومة اور وقاموا بغزو البلاد التي كانت تعاني من ضعف جبهتها الداخلية. وهكذا كانت نهاية هذه السلالة لتتسيد القبائل الامورية البلاد في عصر جديد يعرف بالعصر البابلي القديم (٢٠٠٤–١٥٩٥ ق.م)(٤).

ومع ان نهاية هذه السلالة مثلت نهاية السومريين سياسياً الى الابد، إلا ان شواهدهم الحضارية في بلاد الشام لا تنتهي حيث جاءتنا من مواقع عديدة لعل من ابرزها ما وجد في تل براك فوق مقر نرام–سين من أثار بناية من عهد أور الثالثة، وربما كان بسعة القصر نفسها. وجدت في هذا الموقع ايضاً كسرة رقيم طيني تحمل اسم اور–نمو(٥). وعثر في تل براك ايضاً على دكة قرابين تعكس تأثيرات سومرية وهي ذات واجهة مزخرفة وسطحها ذو نتوءات مدورة تشبه شبهاً كبيراً تلك المكتشفة في المعابد السومرية التي تعود الى حكم اور الثالثة في بلاد الرافدين، كما تم الكشف عن عدد من البيوت السكنية توضحت فيها التاثيرات السومرية(٦).

---

(١) ألاحمد، سامي سعيد، العراق القديم، ج٢، ص ١٢٢.

(٢) كلينغل، هورست، تاريخ سورية السياسي، ص ٣٨.

(٣) بوستغيت، نيكولاس، حضارة العراق وآثاره، ص ٨٠.

(4) Diakonoff, I. M., Early Antiqity, P. 95f.

(٥) ادزارد، اوتو، "سلالة اور الثالثة والدول الوارثة". الشرق الادنى الحضارات المبكرة، ص ١٤٦.

(٦) مالوان، ماكس، مذكرات مالوان، ص١٤٨.

ويعطينا المعبد الذي تم استظهاره في تل خويرة الذي يعود الى النصف الثاني من الالف الثالث ق.م، دلالة اخرى على الامتدادات السومرية في المنطقة. فهنا نشاهد تشابهاً كبيراً في البناء الخارجي للمائدة الخاصة بصب شراب القرابين وبين البناء العلوي لمقبرة شولكي المعروفة في اور والتي اشار لها وولي بانها كانت تستعمل بالتأكيد لتقديم الشراب الى الاموات[١]، ونشاهد تأثيرات العمارة السومرية من عهد هذه السلالة في عمارة معبد (نن-كال) الذي تم اكتشافه في قطنا (المشرفة قرب حمص)[٢].

ولعل آخر ما نستشهد به على الحضور السومري في هذا العهد في مدن بلاد الشام هو الرقيم الطيني الذي تم اكتشافه حديثاً في جبيل ويمثل معجماً بالمفردات اللغوية السومرية[٣]. ان كل ذلك يؤكد عمق تأثيرات دور حضارة العراق القديمة هناك في هذه المرحلة الزمنية التي مثلت واحدة من مراحل ازدهار الصلات الحضارية بين بلاد الرافدين وبلاد الشام.

---

(١) مورت كارت، انطوان، الحوليات السورية، م ١٠، ١٩٦٠، ص ٢٨٣.

(٢) كينغل، هورست، تاريخ سورية السياسي، ص ٣٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٧.

المبحث الاول
العصران البابلي والاشوري القديمان

تعد نهاية سلالة اور الثالثة عام ٢٠٠٤ ق. م احد نقاط التحول التاريخية الكبيرة في العراق القديم، فبالأضافة الى ان هذه النهاية كانت تمثل آخر كيان سياسي للسومريين، فانها ادت كذلك الى تغيير في الخارطة السياسية للبلاد التي اصبحت في وضعية جديدة[١]. فقد قامت عدة دويلات متعاصرة ومتحاربة فيما بينها، اي ان البلاد عادت الى نظام مشابه في بعض جوانبه لما كان قائماً خلال عصر فجر السلالات وهناك سمة اخرى تميزت بها هذه المرحلة التاريخية وهي المعروفة في تاريخ العراق القديم باسم العصر البابلي القديم (٢٠٠٤–١٥٩٥ ق.م)[٢] الا وهي ان كل السلالات والدويلات الحاكمة هي آمورية الاصل، ومعنى ذلك ان تلك القبائل قد تسيدت هذا العصر [٣].

ان اهم الممالك التي ظهرت في هذه المرحلة التاريخية هي ايسن ولارسا وبابل في الجنوب، آشور في الشمال، اشنونا في الشرق، وماري في الغرب[٤]، ولهذا فان هذا العصر يسمى احيانا بعصر (ايسن–لارسا) نسبة الى اهم واقوى سلالتين قامتا فيه[٥]. ويمكن القول ان السمة العامة التي غلبت على علاقات تلك الممالك مع بعضها البعض، لم تكن تخرج عن نطاق الانضواء تحت هذا الحلف او ذاك، وانضمام كل مملكة الى حلف مضاد للآخر، وان سياسة الأحلاف هذه كانت تدفع الممالك الصغيرة مرغمة للتحالف مع الممالك الاقوى المجاورة لها، أما كحلفاء أو كمناطق تابعة طلباً للحماية[٦].

اما الوضع السياسي الداخلي في سوريا فانه كان مشابهاً تماماً لما كان عليه في بلاد الرافدين قبل ان يفلح حمورابي بتوحيد البلاد فقد كانت سوريا تتكون من مجموعة من الممالك والدويلات المستقلة، وقد مثلت يمخد (حلب) اقوى تلك الممالك وكانت عاصمتها في حلب، وكان أمير ألالاخ تابعاً لها، وهناك ايضاً كركميش (جرابلس) شمال شرق يمخد على الفرات وهي مركز تجاري نشط على طريق القوافل القادمة من وادي الرافدين الى اسيا الصغرى، وكانت قطنا (تل

---

(١) رو، جورج، العراق القديم، ص ٢٤٥.

(٢) باقر، طه، مقدمة...، ج١، ص ٤٠٦.

(3) Snell,D., Life In The Ancient Near East, P.50-51.

(٤) رو، جورج، العراق القديم، ص ٢٤٥–٢٤٦.

(٥) باقر، طه، مقدمة...، ج١، ص ٤٠٦–٤٠٧.

(٦) اسماعيل، شعلان كامل، العلاقات الدولية في العصور القديمة، ص ١٠٣.

المشرفة) قرب حمص واوغاريت (رأس شمرا) وبيبلوس (جبيل) على الساحل دويلات أمورية[١]. حالها حال ممالك بلاد الرافدين.

ويمكننا رسم صورة واضحة للصلات التي كانت بين تلك الدويلات في هذه المرحلة الزمنية وذلك من خلال الوثائق المكتشفة في مدينة ماري، فقد بلغت هذه المدينة مكانة مهمة مع بداية الالف الثاني ق.م وهذا ما اوضحه الارشيف المكتشف فيها، والذي يزيد عدد رقمه الطينية على العشرين الف رقيم[٢]. وحوت تلك المجاميع من النصوص على عداد كبير من الرسائل التي اشارت الى الاحلاف العسكرية والسياسية التي كانت تقام بين الدويلات المختلفة، كما ضمت اشارات الى ارسال السفراء والمبعوثين والمراسيم الخاصة بابرام المعاهدات والطقوس الدينية التي كانت ترافق ذلك، فاعطتنا صورة واضحة عن الوضع السياسي العام وعن العلاقات السياسية في كل من بلاد الرافدين وسوريا نظراً لعلاقة مملكة ماري الوثيقة بهذه المنطقة ولوقوعها على الطريق الموصلة بين وادي الرافدين والساحل السوري[٣].

ويمكن ان نكمل معرفتنا للاوضاع السياسية التي سادت في المنطقة في هذا العصر من خلال استقراء النصوص التي تم اكتشافها في الالاخ (تل عطشانة) بالقرب من انطاكيا الحالية[٤]، حيث اوضحت تلك النصوص الأحوال التي كانت سائدة ما بين القرنين الثامن عشر والخامس عشر قبل الميلاد، لأن معظمها كانت تتحدث عن صلات الممالك السورية مع بعضها[٥]. في حين زودتنا بعض النصوص التي تم العثور عليها في بلاد الرافدين عن معلومات مهمة تصف لنا خلفية الصلات السياسية مع سوريا خصوصاً في العصر البابلي القديم[٦]. كما وضحت تلك النصوص نجاح القبائل الآمورية في الهيمنة على مدن الوسط والجنوب بواسطة ممالكهم التي اسسوها مع بداية الالف الثاني ق. م، الا ان سيطرتهم على بلاد اشور تأخرت الى

---

(١) ادزارد، اوتو، الشرق الادنى الحضارات المبكرة، ص ٢٠٠.

(٢) ساكز، هاري، عظمة بابل، ص ٨٣.

(٣) سليمان، عامر، "العلاقات السياسية الخارجية"، حضارة العراق، ج٢، (بغداد، ١٩٨٥)، ص ١٢٢.

(٤) من الجدير بالاشارة هنا الى ان تلك النصوص قام بترجمتها وايزمن (Wiseman) وتم نشرها في الكتاب الموسوم: The Alalah Tabalets, (London, 1953).

وقد احتفظ بتلك النصوص المكتشفة من قبل ولي في متحف انطاكيا وبعد وقوع مدينة الاسكندرونه تحت السيطرة التركية بتواطؤ مع الاستعمار الفرنسي عام ١٩٣٩ بقيت تلك النصوص بعيدة عن وطنها الام. انظر:

أحمد، محمود عبد الحميد، وآخرون، آثار الوطن العربي القديم، ص ٣٥٧.

(٥) مرعي، عيد، "دريمي ملك الالاخ"، مجلة دراسات تأريخية، العدد ٢٩-٣٠، (دمشق، ١٩٨٨)، ص ١٠٣.

(٦) كلينغل، هورست، تاريخ سورية السياسي، ص ٥٤.

عهد شمشي–ادد الاول (١٨١٣–١٧٨١ ق.م) الذي قام بتأسيس السلالة الامورية فيها والتي استمرت في الحكم الى حوالي عام ١٧٤٠ ق.م[١].

اولا: اهم الممالك الأمورية في بلاد الرافدين وصلاتها ببلاد الشام:

تأسست في هذا العصر العديد من السلالات الامورية في بلاد الرافدين ويبلغ عددها حوالي احد عشر سلالة[٢] وما يهمنا هنا السلالات التي كانت لها صلات مع بلاد الشام في هذه المرحلة الزمنية هي:

أ- **مملكة اشنونا:**

تشير النصوص التاريخية الى ان منطقة اشنونا هي اول المناطق التي خرجت عن سلطة سلالة اور الثالثة في السنة الثانية من عهد اخر ملوك تلك السلالة ابي–سن (٢٠٢٨–٢٠٠٤ ق.م) ولهذا فانها اتجهت منذ ذلك الحين نحو تأسيس كيان سياسي خاص بها الى ان اصبحت مملكة[٣].

ويمكن القول ان المنطقة الجغرافية التي كانت تشغلها هذه المملكة تتمتع بقدر كبير من الأهمية الستراتيجية لأراضي تقع اليوم ضمن محافظتي بغداد وديالى (ما بين نهري دجلة ورافده ديالى وسفوح المرتفعات الشرقية) بعاصمتها المتمثلة اطلالها في موقع تل اسمر[٤]، وبهذا فانها كانت تجاور بلاد عيلام من الشرق وبلاد اشور من جهة الشمال والشمال الغربي، اضافة الى مجاورتها بلاد اكد في الوسط، مما جعلها ذات أهمية خاصة في تاريخ بلاد الرافدين حيث التقت فيها تأثيرات حضارة وادي الرافدين بالتاثيرات الثقافية الآتية من الجهات الاخرى، لذلك تميزت حضارة هذه المملكة بخصائص محلية بالاضافة الى طابع حضارة القطر العامة[٥]، ولكن صلاتها مع بلاد عيلام كانت تتميز بالتعاون السياسي والاقتصادي ولذلك كانتا اول المناطق التي اعلنت الانفصال عن سلطة اور الثالثة[٦].

---

(١) الشمري، طالب منعم، الوضع السياسي في الشرق الادنى القديم بين القرنين الساس عشر والحادي عشر ق.م، ص٢٢.

(٢) باقر، طه، مقدمة...، ج١، ص ٤١١.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٩٣.

(٤) الأحمد، سامي سعيد، العراق القديم، ج٢، ص ١٧٣.

(٥) باقر، طه، مقدمة...، ج١، ص ٤١٨.

(٦) رو، جورج، العراق القديم، ص ٢٥٣.

لقد مرت هذه المملكة بمستوى ملحوظ من الازدهار السياسي والاقتصادي وخصوصاً في عهد ملكها بلالاما (حكم بحدود ١٩٨٤ ق.م) الذي شيد المدينة الجديدة التي اطلق عليها اسم توتب (جفاجي الآن) وهو الذي قوى تحصينات مدينة اشنونا القديمة[١].

حلت بالمملكة فترة من الضعف والنكسات المستمرة بعد وفاة بلالاما. بحيث صارت هذه المملكة تابعة لدولة ايسن فترة من الزمن ولدير[٢] مرة اخرى وحتى لكيش[٣]، غير ان (موسع اشنونا) وهو اللقب الذي اطلقه على نفسه ملكها ابيق–ادد الثاني (حكم بحدود ١٨٥٠ ق.م) استطاع ان يستعيد مجد المملكة في حدود عام ١٨٥٠ ق.م[٤]، حيث اندفع غرباً ليحتل رابيقوم على الفرات (قرب الرمادي الحالية)[٥] ثم تقدم الى اشور على دجلة وقبره في سهل اربيل واشناكوم على نهر الخابور[٦]، وبذلك فانه قطع أي توسع لبابل نحو الشمال[٧].

وتعطينا مواقع هذه المدن انطباعاً واضحا بان ملوك اشنونا استهدفوا الهيمنة على كامل وادي دجلة والجزيرة العليا وسفوح الجبال الشمالية والسيطرة على نهر الفرات كطريق تجاري مهم[٨]، في حين تردنا اشارات على تحرك عسكري من اشنونا الى مملكة قطنة السورية[٩]. ونرى تأثيرات هذه المملكة قد وصلت الى ما وراء بلاد اشور والى حدود منطقة الخابور الأعلى في عهد ابن ابيق–ادد نرام–سين (وهو نرام–سين نفسه) الذي جاء ذكره في جداول الملوك الاشورية[١٠]. وهناك رسالة وجدت في تل حرمل تعود الى عهد هذا الملك تشير الى نفوذ سياسي مؤقت لأشونا في منطقة اورشوم (اذا ما صح مطابقة اورشتوم (Orshitum) المذكورة في هذه الرسالة مع اورشوم الواقعة في شمالي سوريا[١١].

من الملوك المهمين لهذه المملكة هو ايبالبئيل الثاني (Ibalpiel II) (١٧٩٠– ١٧٦١ ق.م) المعاصر للملك حمورابي الذي قام بحملتين عسكريتين الأولى على بلاد اشور والثانية على

---

(١) باقر، طه، مقدمة...، ج١، ص ٤١٩.

(٢) ورد اسم هذه المدينة ايضاً (دور – ايلو) وهي تلول العقر بالقرب من بدرة. انظر:–
باقر، طه، مقدمة...، ج١، ص ٣٣.

(٣) الأحمد، سامي سعيد، العراق القديم، ج٢، ص ١٧٦.

(٤) رو، جورج، العراق القديم، ص٢٥٤.

(٥) كلينغل، هورست، حمورابي ملك بابل وعصره، ترجمة غازي شريف، (بغداد، ١٩٨٧)، ص ٣٨.

(٦) رو، جورج، العراق القديم، ص ٢٥٥.

(٧) ادزارد، اوتو، الشرق الادنى الحضارات المبكرة، ص ١٩٣.

(٨) رو، جورج، العراق القديم، ص ٢٥٥.

(٩) كلينغل، هورست، تأريخ سورية السياسي، ص ٧٩.

(10) Kupper, J. R. Northern Mesopotamia and Assyria, (Cambridge, 1963), P. 16.

(١١) كلينغل، هورست، تأريخ سورية السياسي، ص ٨١.

مملكة ماري[١] والتي كان يحكم فيها ملكها الشهير زمري-ليم الذي نقرأ في احد الرسائل طلبه المساعدة من بعض المناطق المجاورة ضد خطر اشنونا[٢] وحليفتها بلاد عيلام[٣]، في حين كان حمورابي حليفاً لزمري-لم في حربه هذه[٤] لمصالحها المشتركة للوقوف ضد تحالف اشنونا والعيلامين وهذا التحالف الذي كان يهدد الطرق التجارية التي تأتي من الشرق باتجاه بابل وماري[٥]، ولكن تلك الحرب التي خاضتها مملكة اشنونا قوضت دعائم حكمها بحيث انها لم تستطع الوقوف امام حمورابي الذي ضمها الى مملكته الموحدة في عهد ملكها الاخير ضلي-سين عام ١٧٦١ ق.م[٦].

ب- **<u>مملكة بابل ألأولى:</u>**

تعتبر هذه السلالة من اطول السلالات الحاكمة عمراً (١٨٩٤-١٥٩٥ ق.م) في العصر البابلي القديم وأشدها بأساً بحيث انها ورثت زعامة البلاد في النهاية بعد تصفية السلالات الحاكمة بعضها لبعض[٧] ومكنتها من ذلك الظروف السياسية المرتبكة والنزاعات العسكرية القائمة ما بين المملكتين القويتين ايسن ولارسا والممالك الآمورية الاخرى المنتشرة في البلاد. كذلك فان بعد بابل عن ساحة تلك الصراعات كان من العوامل التي مكنت احد شيوخ القبائل الأمورية والمدعو سومو-ابم من تاسيس هذه السلالة واستمر يحكم فيها لمدة اربعة عشر عاماً[٨] واستطاع الملوك الذين خلفوه في الحكم من تقوية اركان حكم السلالة ليمتد الى مناطق اوسع من العاصمة[٩].

ان ابرز هؤلاء الملوك هو الملك السادس حمورابي الذي اشتهر بشريعته القانونية[١٠] وتوحيده البلاد بعد ان صهر الممالك العديدة المنتشرة في انحاء البلاد في مملكة واحدة[١١]

---

(1) Kupper, J. R. <u>Northern Mesopotamia ...,</u> P.20.

(2) Dalley, S., <u>Mari and Karana</u>, P. 38.

(٣) ادزارد، اوتو، <u>الشرق الادنى الحضارات المبكرة</u>، ص ١٩٤.

(٤) الأحمد، سامي سعيد، <u>العراق القديم</u>، ج٢، ص ١٧٧.

(٥) باقر، طه وآخرون، <u>العراق القديم</u>، ج١، (اربيل، ١٩٨٧)، ص ١٧٧.

(٦) الأحمد، سامي سعيد، <u>العراق القديم</u>، ج٢، ص ١٧٧.

(7) Kozyreva, N. V., "The old Babylonian period", <u>Early Artiquity</u>, (chicago, 1991), P. 105.

(8) Driver, G. R. And Miles, J. C. <u>The Babylonian laws</u>, vol. I, (Oxford, 1952), P.3.

(٩) كلينغل، هورست، <u>حمورابي ملك بابل وعصره</u>، ص ٣٤-٣٥.

(١٠) حول نص تلك الشريعة انظر:

Driver, G. R. and Miles, J. C. <u>The Babylonian laws</u>,

(11) Snell. D., <u>Life In The Ancient Near East,</u> P. 50.

واستعمل لغة واحدة في المراسلات الرسمية هي اللغة الأكدية[١].

لقد تميزت هذه السلالة في عهد حمورابي بصلاتها الواسعة مع مملكة ماري ولا سيما وان كلاً من بابل وماري كانتا تشتركان انذاك في السيادة على حوض الفرات، لهذا فقد كان بوسع أي من حاكميها ان يجني الكثير اذا ما اختار السير يداً بيد مع قرينه[٢].

فضلاً عن ذلك فان النصوص تشير الى ان حمورابي كان يتمتع بعلاقة طيبة مع حمورابي الأول ملك يمخد حيث قام الآخير بارسال قوات عسكرية الى بابل لمناصرة ملك بابل في الحروب التي خاضها ضد الممالك الأخر[٣]، في حين كانت مملكة يمخد تستورد القصدير[٤] من بابل حيث يجلب الى ايمار التابعة لها عن طريق الفرات بواسطة تجار من ايمار وحلب كان لهم مركز تجاري في بابل يرعى مصالحهم ويؤمن احتياجاتهم من المواد الاولية[٥]. واستمرت هذه العلاقة الطيبة بين بابل ويمخذ في عهد ابن حمورابي سمسو–ايلونا (١٧٤٩–١٧١٢ ق.م) [٦].

ومن الممالك السورية الاخر التي تمتعت بصلات طيبة مع بابل هي مملكة قطنا والتي تشير النصوص الكتابية الى مرافقة بعض من سكانها لتجار بابليين عادوا الى بابل عبر ماري كحراس مرافقين لهم[٧]. ويظهر ان حمورابي ورغم طول مدة حكمه (١٧٩٢–١٧٥٠ ق.م) فانه لم يعمل على تدريب خلف له على العرش اذ ان خلفاءه لم يكونوا على ما هو عليه من الحنكة والدهاء وكان عددهم خمسة ملوك[٨] آخرهم الملك سمسو–ديتانا (١٦٢٥–١٥٩٥ق.م) الذي شهد النهاية الاخيرة لهذه السلالة على يد الحثيين ومن بعدهم الكاشيين اذ لقيت بابل المصير نفسه الذي لقيته من قبلها حلب ومن ثم ماري وكأنها ارتبطت بمصير واحد مع تلك المدن السورية، حين قام الملك الحثي مورسيلس الاول بهجوم كاسح من اسيا الصغرى صوب حلب، ومن ثم

---

(١) ساكز، هاري، عظمة بابل، ص ٨٨.

(٢) رو، جورج، العراق القديم، ص ٢٧٠.

(٣) كلينغل، هورست، تأريخ سورية السياسي، ص ٦٥.

(٤) تأكد ان القصدير كان يجلبه العراقيون القدماء من مجان (عمان) اذ اشتهرت عمان بنوع من النحاس الخام فيه كمية من القصدير (وهو احد الاجزاء المألوفة في تركيب النحاس الذي استعمله السومريون) وقد حلل النحاس الموجود في الاناضول وايران وقبرص وطور سيناء فوجد لا يحتوي على القصدير ولا يزال يشاهد في جبل (المعدن) في عمان الان آثار الحفائر القديمة لاستخراج النحاس. انظر:–
باقر، طه، مقدمة...، ج٢، ص ٢٠٢. وكذلك :
Hauptmann, A. ,and others , Early Copper Metallurgy in Oman, "The Begining of the use of Metals and Alloys", (Cambridge, London, 1986), P. 34f.

(٥) مرعي، عيد، مجلة دراسات تأريخية، ١٩٩٩، ص ١٢–١٣.

(٦) كلينغل، هورست، تأريخ سورية السياسي، ص ٦٦.

(٧) المصدر نفسه، ص٧٦.

(٨) الأحمد، سامي سعيد، العراق القديم، ج٢، ص ٢١١.

احتل المدن التي تقع على حوض الفرات وصولاً الى بابل التي دخلها عام ١٥٩٥ ق.م[١] ولكنه لم يبقى فيها مدة طويلة اذ سرعان ما انسحب منها في السنة نفسها اثر وصول انباء مؤامرة ضده في بلاد والتي ادت الى مقتله[٢]. وقد كان هذا الانسحاب فرصة سانحة للكاشيين الذين كانوا في منطقة الفرات الأوسط بالدخول الى بابل مؤسسين سلالة حاكمة فيها عرفت باسم سلالة بابل الثالثة (١٥٩٥-١١٦٢ ق.م)[٣].

ج- **مملكة ماري[٤]:**

اسس الاموريين بقيادة اشطب ايل (Ishtup -Eal) عاصمة لهم في مدينة ماري في الالف الثاني ق.م[٥] على انقاض المدينة ذات الطابع السومري اذ كان لهذه المدينة حضورها المتميز في العصور السابقة[٦] ولهذا فقد تمتعت ماري باهمية خاصة لكونها قاعدة مهمة من قواعد الحضارة السومرية لتصبح في اوائل الالف الثاني ق.م عاصمة مملكة تمتد اكثر من ٢٠٠ ميل على نهر الفرات[٧].

لقد اخبرتنا نصوص ماري بان هذه المدينة قد تميزت بعلاقاتها التجارية الدولية اذ كانت تربط جزيرة دلمون في الخليج العربي عبر نهر الفرات وحلب حتى البحر المتوسط، كذلك فانها كانت محطة مهمة من محطات طريق تجارة القصدير بين سبار والبحر المتوسط[٨] فكانت تستورده ثم تعيد تصديره الى حلب وقطنا وخاصور (تل القداح في فلسطين)، كما عملت بتجارة الذهب والاحجار الكريمة والخشب ونقرأ ايضاً عن تجارة الحيوانات والخمر والاعشاب الطبية والنبيذ الذي كان يصلها من حلب وكركميش[٩]. ويمكن القول ان هذه المدينة كانت مركزاً لعبور البضائع التي كانت تأتي اليها من المناطق المجاورة ومنها حصلت على اموال طائلة[١٠]، في

---

(1) Snell. D., Life In The Ancient Near East, P. 65.

(٢) باقر، طه وآخرون، العراق القديم، ج١، ص ١٨٩.

(3) Kozyreva, N. V., Early Artiquity, P.123.

(٤) اسم المدينة مشتق من لفظة (A-mur-ru) و(Mar-tu) السومرية معناه البلاد الواقعة الى الغرب بالنسبة للسومرين. انظر:

حتي، فيليب، لبنان في التاريخ، ص ٨١.

(٥) ساكز، هاري، عظمة بابل، ص ٨٤.

(٦) باقر، طه، مقدمة...، ج٢، ص ٢٣٤.

(٧) ساكز، هاري، الحياة اليومية في العراق القديم (بلاد بابل واشور)، ترجمة كاظم سعد االدين، (بغداد، ٢٠٠٠)، ص ١٨.

(٨) اوبنهايم، ليو، بلاد بين النهرين، ص ١١٣.

(٩) الأحمد، سامي سعيد، "التجارة"، موسوعة الموصل الحضارية، ج٢، (الموصل، ١٩٩١)، ص ١٩٣.

(١٠) ساكز، هاري، عظمة بابل، ص ٨٣.

حين تمتعت القوافل التجارية بالحماية الملكية حيث كان التجار يتنقلون من بلاط ملكي الى آخر متمتعين بالحصانة والآمان(١).

ويتضح من بعض المراسلات التي تم العثور عليها في قصر ماري ان هذه المدينة كانت مركزاً من المراكز المهمة لبناء القوارب والسفن، حيث نقرأ في احد الرسائل عن اوامر تسلمها يسمح–ادد حاكم ماري من والده شمشي–ادد الأول ملك اشور لبناء سفن مختلفة الاحجام(٢)، بينما يتضح من رسالة اخرى من ملك كركميش الى حاكم ماري بان الملاحين كانوا يؤخذون زوجاتهم معهم، وفي رسالة اخرى نقرأ عن تاخر وصول سفن الى مدينة توتول (هيت) نتيجة مطر شديد(٣).

لقد اوضح لنا ارشيف ماري أهمية هذه المملكة بالنسبة الى الكثير من ممالك الشرق القديم التي ورد ذكرها في نصوص ذلك الأرشيف، ولكن الغريب هو غياب اية اشارة الى مصر، ومن هنا يمكن الاستنتاج ان النفوذ المصري في عصر ارشيف ماري (١٨١٠–١٧٦٠ ق.م) لم يحتك بنفوذ وادي الرافدين(٤).

ان هذه الآهمية الحضارية لماري اقترنت باهميتها السياسية التي تبلورت في السلالة التي قامت فيها في العصر البابلي القديم والتي بسطت سيطرتها على الجزيرة الفراتية بما في ذلك خانة (عنه) واطلق ملوك ماري على انفسهم لقب (ملك ماري، توتول وبلاد خانه)(٥)، اذ بدأ يجد يم (Iggid-lim) وهو ثاني ملوك ماري بتوسيع نفوذ المملكة على طول نهر الفرات من عنه جنوباً الى الخابور شمالاً وكان يعاصره ايلا–كبكبو ملكاً على بلاد اشور الذي تحالف معه في باديء الأمر، بيد أن العداء انفجر بينهما وامتد ليشمل ولديهما يخدن–لم ملك ماري وشمشي ادد الاول ملك آشور(٦).

ويمكن القول ان ماري استطاعت في عهد ملكها يخدن–لم الذي خلف والده يجد–لم على العرش ان يقوم بعدة حملات عسكرية ادت الى توسيع نفوذه حتى وصل الى شواطئ البحر المتوسط حيث اقام هناك نصباً تذكارياً في لبنان ويقول بصدد ذلك:

---

(١) اوبنهايم، ليو، بلاد بين النهرين، ص ١١٤.

(٢) الأحمد، سامي سعيد، العراق القديم، ج٢، ص ٣٥٠.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) ادزارد، اوتو، الشرق الادنى الحضارات المبكرة، ص ١٩٨–١٩٩.

(5) Kupper, J. R. Northern Mesopotamia and Assyria, , P31.

(6) Muun-Rankin, J. M., "Diplomacy In Westeren Asia in the Early Second Millennium B. C.", IRAQ, vol. 18, part I (London, 1956) P.68.

((قهرت البلاد على ساحل البحر الكبير وجعلتها تطيع اوامري واجبرتها على الخضوع لسلطتي، وفرضت عليها الجزية التي كنت استلمها بانتظام))[١]

كما انه سيطر على بعض مدن الفرات بضمنها ابرز مركزين لعبادة الآله داجان وهما ترقة وتوتول وقام فيهما بعدة اعمال عمرانية[٢]. ولكن يخدن–لم اغتيل اخيراً في قصره في ماري بتحريض على الارجح من شمشي–ادد الذي استولى على مدينة ماري[٣]، ونصب ابنه يسمح–ادد ملكاً عليها حيث بقي على عرش المملكة لسنوات عديدة (١٧٩٩–١٧٨٠ ق.م)[٤] تزوج خلالها من ابنة ايشخي–ادد ملك قطنا[٥]. والى جانب ماري فقد كانت هناك مدينة كرانا التي قامت في المنطقة وارتبطت مع بلاد اشور بصلات تجارية منذ عهد شمشي ادد، حيث اثر موقع هذه المدينة على خطوط التجارة التي تصل ما بين وادي الرافدين وسوريا، لهذا فانها من المدن التي استفادت ايضاً من تجارة عبور البضائع (الترانسيت) شأنها في ذلك شأن ماري بحيث ادى تحول خطوط التجارة عنها في نهاية الالف الثاني ق.م الى فقدان اهميتها التجارية والتأريخية[٦]، ولكن بقيت هذه المدينة واحدة من محطات تجارة الاشوريين المتوجهة نحو اسيا الصغرى حيث توجد مراكزهم التجارية المهمة المعروفة باسم كاروم (karrum) (ميناء) في عهد شمشي–ادد[٧]، كذلك كانت القوافل التجارية الاشورية نشطة باتجاه بابل وسوريا في هذا العهد[٨].

لقد اشارت لنا الوثائق التاريخية الى ان زمري–لم ابن الملك يخدن–لم الذي اغتيل في قصره قد التجأ مع عائلته الى مملكة يمخد، وتزوج اثناء اقامته فيها من الأميرة (شبتو) (sibtu) ابنه ملك يمخد ياريم–لم الأول الذي قدم له المساعدة لأستعادة عرش ماري[٩]، وربما كان لعدم اتباع الشدة والحزم من قبل يسمح_ادد في الحكم عاملاً ساعده على هذه الخطوة، اذ نستشف ذلك من احد النصوص الموجهة الى يسمح–ادد من قبل والده حيث يقول:

---

(1) Dossin, G. “Inscription de foundation de lahdun-Lim”, Syria, vol. 32, (Paris, 1955), P. 3f.

(2) Yuhong. W., Apolitical History of Eshnunna, Mari and Assyria During the Early old Babylonian Period, (China, 1994) P. 93.

(٣) الأحمد، سامي سعيد، العراق القديم، ج٢، ص ١٨٥.

(4) Muun-Rankin, J. M., , IRAQ, 18, 1956 P.69.

(٥) الأحمد، سامي سعيد، العراق القديم، ج٢، ص ١٨٥.

(6) Dalley, S., Mari and Karana, P.23.

(٧) حول تلك المراكز التجارية انظر:
ساكز، هاري، قوة آشور، ص ٥١ وما بعدها.

(٨) كلينغل، هورست، حمورابي ملك بابل وعصره، ص٦٤.

(9) Artzi, P. And Malamat, .A., “The correspondance of Shibtu Queen of Mari”, Orientalia , vol 40, face, I, 1971, P. 75f.

((ما زلت طفلاً، لم تنبت اللحية على ذقنك، ولم تفلح حتى الآن، وانت في اوج شبابك، في بناء منزل بك))(١)

في حين كان زمري–لم يتمتع بحنكة دبلوماسية، اذ ارتبط بعلاقات سياسية مع معاصريه من الملوك والحكام الآخرين، فقد ارتبط كما اسلفنا بعلاقة مصاهرة مع ياريم–لم الاول ملك– يمخد، ومن ثم اصبح صديقاً لحمورابي ابنه وخليفته على عرش يمخد، وتمتع بعلاقات صداقة مع حمورابي ملك بابل ودخل معه في حلف ضد عيلام واشنونا(٢) بعد ان استعاد عرش ماري عقب وفاة الملك شمشي ادد(٣)، وكذلك فانه استطاع ان يوطد اركان حكمه باقامة علاقات طيبة مع كل الممالك السورية المعاصرة له الواقعة الى الغرب من مملكته ومنها اوغاريت وجبيل وحران اضافة الى خاصور في منطقة الجليل في فلسطين والتي كانت كلها ممالك أمورية(٤).

اما عن علاقة زمري–لم مع بلاد الرافدين فتشير الوثائق التأريخية الى انه كان يتمتع بعلاقة طيبة مع حاكم مدينة كرانا المدعو (اشكور–ادو) (Ashkur-Addu) حيث اصدر اوامره الى احد الحكام التابعين له والذي قام بغزو كرانا ونهب بعض ممتلكاتها باعادة تلك المسروقات اليها(٥). ويكمن القول انه يبغي بعمله هذا ضمان الطرق التجارية بين مملكته واقاليم اعالي النهرين حيث كانت التجارة تشكل عصب الأقتصاد في هذه المملكة، ومن هنا فان زمري–لم يدخل في حلف مع بابل ويمخد من اجل حماية طرقه التجارية التي هددت بحلف اشنونا وبلاد عيلام ومملكة اندارق (Andariq)(٦) في شمال بلاد الرافدين لأعتماده على علاقته الوثيقة مع كرانا(٧).

لقد ادت السياسة التي اتبعتها ماري الى جعلها تمثل تهديداً لمصالح بلاد آشور في المنطقة، لذلك كانت هناك مصلحة مشتركة بين اشنونا وآشور لضرب ماري، وازداد الوضع السياسي تعقيداً بتنامي قوة حمورابي تدريجياً وتهديده لكل ممالك بلاد الرافدين(٨) خصوصاً بعد

---

(1) ARM, I, No. 61.

(٢) مرعي، عيد، تاريخ بلاد الرافدين، ص ٧٨.

(3) Dalley, S., Mari and Karana, P. 35.

(٤) عبد الله، محمد صبحي، العراق وبلاد الشام الصلات الحضارية والسياسية، ص ٣٥٦–٣٥٧.

(5) Dalley, S., Mari and Karona, P. 38.

(٦) من المحتمل ان مملكة اندارق تقع في منطقة الى الشمال من اشنونا وربما بين مدينة ايكالاتوم (شرق دجلة) وارابخا (كركوك). انظر:

Kupper, J. R. "Nourelles Letters de Mari Relatives A Hammurbi de Babylone", RA, 42, 1948, pp. 35-39.

(7) Muun-Rankin, J. M., , IRAQ,18, 1956 PP.64-76.

(8) King, L. W., The Letters and Inscriptions of Hammurabi, vol. 3 (Londen, 1900) P.14.

الانتصار الذي حققه على اقوى خصومه انذاك هو ريم –سن ملك لارسا وكان ذلك بمساعدة حليفه زمري–لم ايضاً[١] ويتضح دور تلك المساعدة في تحقيق الانتصار على ريم–سين من رسائل ماري التي تفصح عن قيام تلك المملكة بتجهيز الجنود واستدعائهم من مملكة يمخد لمساعدة بابل[٢]. من خلال ذلك يمكن استنتاج وجود حلف ثلاثي بين يمخد وماري وبابل وكان المستفيد الاول من هذا الحلف بالدرجة الأولى هو حمورابي الذي استطاع ان يهيمن عسكريا على المنطقة ويقف بوجه لارسا القوية[٣].

لقد تطورت الصلات الدبلوماسية بين بابل وماري، اذ تذكر النصوص بان هناك ممثلين بينهما بما يشبه السفراء في يومنا هذا وكانت مهمتهم اخبار ملوكهم عن الاوضاع السياسية والعسكرية في كل من المملكتين[٤]، وبهذا الصدد يتفاخر ممثل ماري المدعو (اباليبيل) بعلاقته الوثيقة بحمورابي بقوله:

((اذا شَغِلَ حمورابي امرما فانه يكتب لي فاذهب اليه اين ما كان هو، ومهما يكن الأمر الذي يدور في باله فانه يخبرني به))[٥].

وبالمثل كان لحمورابي عدد من الممثلين في بلاد ماري، ومن ابرزهم بوفاقوم (Buvaqum) وياخدي–ليم اللذان كان يخبرانه عن ما يجري من احداث سياسية في منطقة اعالي الرافدين، وقد تمتع هذان الممثلان بمنزلة رفيعة في البلاط الملكي لخطورة المهمة التي اضطلعا بها، الا وهي الاخبار عن حالة الجيش والتحركات العسكرية لجيوش عيلام واشنونا اللتين كانتا تحاصران مدينة رازاما في اعالي بلاد الرافدين[٦]. وهناك رسالة مهمة موجهة من اشنونا تكشف عن نواياها مع بلاد عيلام تجاه ماري اثناء انشغالها برفع الحصار عن مدينة رازاما حيث جاء فيها:

((عندما يقترب زمري لم لينقذ رازاما شن انت (ملك عيلام) حملة ضد بلاده))[٧]

وقد احاط حمورابي وزير زمري–لم المدعو يخدن–لم بالنوايا العيلامية ليتخذ الاجراءات اللازمة لحماية مملكته وافساد تلك النوايا حيث كان زمري–لم منشغلاً بتدابير رفع الحصار عن

---

(١) كلينغل، هورست، حمورابي ملك بابل وعصره، ص ٤٥.

(2) ARM, 2, No. 68-71.

(٣) كلينغل، هورست، حمورابي ملك بابل وعصره، ص ٤٤.

(٤) الاعظمي، محمد طه، حمورابي، ص ٧٥.

(5) Muun-Rankin, J. M., , IRAQ, 18, 1956 P.104.

(٦) كلينغل، هورست، حمورابي ملك بابل وعصره، ص ٤٣.

(7) Kupper, J. R., RA, 42, 1948, P. 35f.

لم يحدد بالضبط لحد الان موقع رازاما وقد طرحت عدة أراء حول ذلك انظر:

Beitzel, B. J., "Isme-dagan`s military actions in the Jezirah", IRAQ, vol, 36, part I, 1984, P.34.

رازاما[١]. وتدل النصوص التأريخية الى ان العلاقة بين ماري وبابل كان لها تأثير كبير في المنطقة، ويبرز هذا التأثير على وجه الخصوص في الخلافات التي كانت تحصل بين الممالك الامورية في بلاد الشام، ومن قبيل تلك الخلافات التي كانت تحصل بين مملكتي يمخد وقطنة اذ تدخل حمورابي وزمري–لم لفضه وفرضا على ملك قطنا المثول امام ملك يمخد ليوقعا معاهدة صداقة وسلام بينهما[٢].

لقد اتسمت العلاقة ما بين ماري وبابل بالمودة وتبادل الهدايا الشخصية فقد اهدى زمري–لم حمورابي قطعة قماش كان قد استلمها هدية من ملك كريت، فضلاً على التحالف والتعاون العسكري ضد اعدائهما والمشاركة في التدخل لفض النزاعات التي تحدث بين الممالك الامورية[٣]، وبالامكان تقصي تفاصيل العلاقة الطيبة بين بابل وماري من خلال العدد الكبير من الرسائل التي تم تبادلها بين المدينتين الفراتيتين والتي جاءتنا من التنقيبات التي جرت في ماري، وبالتاكيد كانت هناك رسائل مرسلة من زمري–لم الى حمورابي لكنها لا تزال تحت انقاض بابل[٤].

وعلى الرغم من هذه العلاقة الوثيقة بين ماري وبابل ظهرت بعض الخلافات بين الطرفين، لعل من ابرزها الخلاف حول نصوص معاهدة كان من المزمع توقيعها بينهما وكان سبب خلافهما هو أحد البنود التي تتعلق بمدينة توتول (هيت)، حيث طلب حمورابي من الطرف الثاني استشارة كهنة الآله (سين) حول ابرام تلك المعاهدة[٥].

ان هذا الموقف من قبل حمورابي جعل مندوبي زمري–لم في بابل يشكان في نيته بتوقيع تلك المعاهدة فاعتبروا طلبه طريقه دبلوماسية للتخلص من توقيع تلك الاتفاقية[٦]، وربما كان الدافع وراء احجام حمورابي عن توقيع الاتفاقية يعود الى مخططاته بشأن مستقبل المنطقة باسرها، فقد كان هدفه البعيد ضم توتول الى سلطته، وكانت تلك المدينة تحت نفوذ حليفه زمري–لم بدليل ان الاخير اتخذ لقب (ملك ماري وتوتول) وهو أمر انطوى على تهديد واضح لسلامة الطريق التجاري الرئيسي الذي يربط بابل بسواحل البحر المتوسط[٧].

---

(1) Kupper, J. R., RA, 42, 1948, P. 37f.

(٢) الصواف، صبحي، "ملوك حلب من السلالة العمورية في ابتداء الالف الثاني ق.م"، الحوليات السورية، م٧، ١٩٥٧، ص ١٤٦.

(3) Dossin, G., “Les Archives economiques dupalais de Mari”, Syria, vol. 20, 1939, P. 111.

(٤) كلينغل، هورست، حمورابي ملك بابل وعصره، ص ٤٣.

(5) ARM, 2, No. 77.

(٦) الأحمد، سامي سعيد، العراق القديم، ج٢، ص ٢٤١.

(٧) عبد الله، محمد صبحي، العراق وبلاد الشام الصلات الحضارية والسياسية، ص ٣٦١.

وتؤكد لنا النصوص التاريخية حدوث تصدع آخر في العلاقة بين ماري وبابل من خلال المعاملة الجافة التي عُومل بها وفد قَدِم من ماري الى بابل للمشاركة في احدى الاحتفالات الرسمية ولم يتم اعطاء اعضاء الوفد الملابس الخاصة بالحفل لأرتدائها شأنهم في ذلك شأن بقية المدعوين، مما اغضبهم وجعلهم يتركون البلاط متذمرين، ولكن حمورابي تلافى الموقف بدبلوماسيته المعهودة وارجعهم الى الحفل واشار الى ان قرار اعطاء ملابس الاحتفال هو من صلاحياته حصراً، ولن يسمح مستقبلاً اعطاء الضيوف الاجانب والمبعوثين عند استقبالهم في القصر الملابس الخاصة بالاحتفالات[١].

ومن هنا نستشف ان تلك العلاقة الوثيقة بدأ ينفرط عقدها شيئاً فشيئاً، الا ان ذلك لم يكن سبباً مباشراً ودافعاً لحمورابي للهجوم على ماري، حيث لا تتوفر لدينا الادلة التي توضح تلك الاسباب، الا انها من المحتمل انها كانت كامنه في قيام زمري-لم بالتحالف مع اعداء حمورابي وخاصة مملكة مالكيئوم في الشرق وبلاد اشور في الشمال، وذلك كاجراء احترازي فيما لو حاول حمورابي ضم ماري الى نفوذه اسوة بالممالك التي ضمها من قبل[٢]. مقابل ذلك فان حمورابي كان يتخوف من علاقة زمري-لم بمملكة يمخد ومن امكان حصول الاخير على مساعدات عسكرية منها عند طلبه، الى جانب ذلك فان ثراء ماري واهميتها الستراتيجية كان عاملاً مشجعاً لضمها[٣]. فيما يعتقد بعض الباحثين بان أسباب الهجوم على ماري هو لتدمير نظام الري المتطور فيها والذي أخذ يؤثر على كمية المياة الآتية الى بلاد بابل اثناء شحة المياه في فصل الصيف[٤]، ومع كل ذلك يمكن القول ان اهداف حمورابي الستراتيجية لتحقيق وحدة البلاد حتمت عليه التحرك نحو ماري لضمها بعد ضم كل الممالك والسلالات الحاكمة في بلاد الرافدين الواحدة تلو الاخرى، وكان لابد من تلك الخطوة لأن ماري تمثل أهم مناطق الفرات الاوسط لما تتمتع به من موقع سوقي يكمل تحقيق الهدف الذي كان يصبو اليه حمورابي[٥].

ومع دخول ماري تحت سلطة حمورابي عام ١٧٥٩ ق.م، الا ان زمري-لم بقي حاكماً فيها تابعاً للسلطة البابلية لمدة سنتين استطاع خلالها من الحصول على المساعدة من المناطق الغربية ليقوي من نفوذه ويعلن تمرده على حمورابي في السنة الخامسة والثلاثين من حكم حمورابي (١٧٥٧ ق.م) مما اضطر الأخير الى توجيه حملة عسكرية دحر فيها جيش زمري-لم

---

(١) كلينغل، هورست، حمورابي ملك بابل وعصره، ص ٤٦.

(٢) الاعظمي، محمد طه، حمورابي، ص ٧٩.

(٣) الأحمد، سامي سعيد، العراق القديم، ج٢، ص ٢٠٠.

(٤) الاعظمي، محمد طه، حمورابي، ص ٧٩.

(٥) كلينغل، هورست، حمورابي ملك بابل وعصره، ص ٤٧.

وسقطت ماري بايدي البابليين فدمرت اسوارها واحرق قصرها الفخم، وربما قتل زمري–لم في تلك المعركة ولم نسمع عن اية مقاومة لماري ضد حمورابي فيما بعد(١).

ثانياً: بلاد آشور في العصر الاشوري القديم وصلاتها ببلاد الشام:

العصر الاشوري القديم مصطلح يقابل العصر البابلي القديم في بلاد بابل حيث يطلق على المدة الواقعة بين نهاية سلالة اور الثالثة وينتهي بالنسبة للتاريخ الاشوري في حدود منتصف الألف الثاني ق.م(٢)، ولكن تأريخ منطقة آشور الجغرافية (وليس الكيان السياسي) التي كانت تعرف في مراحلها الاولى ببلاد سوبارتو يعود الى دور حضارة حلف على أقل تقدير حيث كانت أحد مراكزها(٣).

تشير الأدلة التأريخية الى ان هذه البلاد كانت خاضعة للأمبراطورية الأكدية، وكذلك الى سلالة اور الثالثة حالها حال بقية مناطق بلاد الرافدين(٤)، وقد فسح انهيار تلك السلالة المجال لبلاد اشور لنيل استقلالها وتكوين كيان سياسي لها(٥).

حصلت هذه البلاد على نصيبها من هجرات الاقوام الجزرية المتمثلة بالاموريين الذين استطاعوا ان يخطوا الخطوات السياسية المتميزة الأولى في التاريخ الاشوري(٦)، وكان أول ملك مهم في بلاد آشور أموري الاصل وهو شمشي–أدد ألأول (١٨٣١–١٧٨١ ق.م) الذي عاصر في حكمه حمورابي في بابل(٧).

وترد في قوائم الملوك الاشوريين اسماء عدد من الملوك الذين حكموا قبل شمشي ادد الأول حيث ذكروا بمجموعات، فالملوك السبعة عشر الاوائل وصفوا بانهم (ملوك عاشوا في الخيم)، وذكر العشرة الآخرون بانهم (الملوك الذين كانوا هم الاجداد)، يتبع ذلك مجموعتان لكل منهما ستة ملوك، ومن ثم شمشي–ادد(٨) الذي انهى فترة الاضمحلال التي كانت تمر بها بلاد اشور واصبحت في عهده تعي تماماً قوتها الحقيقة ومستقبلها الأمبراطوري المنتظر(٩).

---

(١) الاعظمي، محمد طه، حمورابي، ص ٧٩.

(٢) باقر، طه، مقدمة...، ج١، ص ٤٨٠.

(٣) ساكز، هاري، عظمة بابل، ص ٨٥.

(٤) باقر، طه، مقدمة...، ج١، ص ٤٧٧.

(٥) ساكز، هاري، عظمة بابل، ص ٨٥.

(6) Jankowska, N. B., “Asshur, Mittanni and Arraphe”, Eaely Antiquity, (Chicago, 1991), P. 236.

(٧) باقر، طه، مقدمة...، ج١، ص ٤٨٢.

(٨) ساكز، هاري، قوة آشور، ص ٤٥.

(٩) بارو، اندريه، بلاد آشور، ترجمة عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، (بغداد، ١٩٨٠)، ص ١٨.

تذكر لنا النصوص التأريخية ان هذا العاهل هو ابن احد الامراء المحليين الذين كانوا يحكمون في ترقا الواقعة في ضواحي ماري على الفرات ويدعى ايلا–كبكبو (Ila-kabkabu) وكان يتمتع بعلاقة طيبة مع يجد–لم حاكم ماري ودخل بمعاهدة معه[١]، ولكن فيما بعد اصبحت العلاقة بينهما عدائية بعد ان نقض يجد–لم المعاهدة، وكان ذلك ايذاناً باندلاع الحرب بين الطرفين والتي كان من نتائجها انتصار يجد– لم وضمه ترقا وبعض المناطق المجاورة لها الى مملكته[٢]، في حين اضطر ايلا–كبكبو للجوء الى بلاد بابل[٣].

بدأ شمشي ادد الأول حياته السياسية ونشاطاته العسكرية منطلقاً من بلاد بابل حيث سيطر أولاً على قلعة ايكالاتي (Ekallate)[٤] التي تسيطر على الاقليم الواقع شرقي نهر دجلة، ومن ثم سيطر وبعد ثلاث سنوات على مدينة آشور نفسها وذلك عام ١٨١٣ ق.م[٥]، وما ان تم تتويجه على عرش الدولة الاشورية حتى قاد جيوشه غرباً ووصل الى سواحل البحر المتوسط اذ يذكر في نصوصه:

((اقمت اسمي العظيم ومسلاتي في لبنان على ساحل البحر العظيم))[٦]

وتعتبر هذه هي الاشارة الوحيدة الى جهة الغرب في كتابات شمشي–ادد ومن المحتمل ان العاهل الاشوري كان قد استلم هدايا الولاء التي قدمت اليه من الممالك الامورية التي كانت تحكم في سورية وهو في عاصمته، في حين قام بارسال مسلة لنصبها على ساحل البحر المتوسط، ومما يدعم هذا الرأي ان هناك العديد من الممالك التي ادعى شمشي–ادد سيطرته عليها، ولكنها كانت تمارس الحكم في المنطقة، ولهذا فان الفتح العسكري للبلاد السورية من قبل شمشي–ادد في هذا الوقت امر مشكوك فيه[٧]، ولكن كانت هناك بوادر عن بداية تنامي نفوذه في المنطقة وعلى الاقل باتجاه ماري التي تشير النصوص الخاصة بها الى حدوث تمرد في بلاطها الملكي انتهى بمقتل يخدن–لم ابن يجد–لم من قبل حرسه الخاص[٨]، ومن المحتمل ان شمشي–ادد كان وراء ذلك، ومهما كانت الحقيقة فان شمشي–ادد استفاد من حادثة الاغتيال فضم ماري وعين ابنه

---

(1) ARM, 1, No.3.

(2) Yuhong. W., Apolitical History of ..., P.66f.

(٣) فرحان، وليد محمد صالح، العلاقات السياسية للدولة الاشورية، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة بغداد، ١٩٧٦)، ص ٢٤.

(٤) تقع ايكالاتي شمال شرق اشور على الضفة الشرقية لنهر دجلة وتطابق حاليا تلول الهيكل. انظر:
Nashef, K., Rep, Geogr, V, (wiesbaden, 1982), P. 101.

(٥) ساكز، هاري، قوة آشور، ص ٦٠.

(6) Grayson. A. K., ARI, 1, No. 128.

(7) Grayson. A. K ARI, 1, No. 21.

(٨) ساكز، هاري، قوة آشور، ص ٨٧.

يسمح–ادد نائباً له في حكمها، في حين هرب زمري–لم الخليفة الشرعي الى مملكة يمخد (حلب) كما بينا ذلك عند حديثنا عن مملكة ماري.

بضم شمشي–ادد لماري فانه اصبح يسيطر على محطة مهمة من محطات الاتصال للبضائع القادمة من شمالي فلسطين ومن مناطق سوريا الاخرى التي كانت تنقل عن طريق ماري عبر الفرات الى مناطق شمال وجنوب بلاد الرافدين[١]. ومن اجل أن يكون شمشي–ادد قريبا من الأحداث السياسية في بلاد الشام فانه اتخذ من شوبات–انليل (من المحتمل انها شغاربازار) مقراً رئيسياً له، ولكن بقيت مدينة اشور هي العاصمة الرسمية للدولة[٢]، وللسيطرة على منطقة اواسط دجلة واواسط الفرات نصب ابنه الأكبر أشمي–داجان (١٧٨٠–١٧٤١ ق.م) نائباً له في ايكالاتوم، في حين كان يسمح ادد يجلس على عرش ماري كما اسلفنا[٣].

ونلمس من قراءة بعض المراسلات الخاصة بهذه المرحلة الزمنية ان هناك فروقاً واضحة في القابلية الأدارية لكلا الاخوين الذين ساعدا والدهما في ادارة مقاطعات الدولة، فنجد ان الأخ الأكبر وهو اشمي–داجان يتميز عن أخيه بمواصفات من المهم توفرها في الحاكم ومنها الحزم وتصريف الامور بحكمة، في حين كان يسمح–ادد مطيعاً لأبيه وأخيه، ولكنه يفتقر الى الحزم في الادارة والتصرف بدبلوماسية ازاء المشكلات التي تواجهه في الحكم،كذلك اهتمامه باللهو والعبث[٤]، ولهذا فكثيراً ما كان والده شمشي–ادد يوجه له الارشاد والنصيحة مرة، والتوبيخ مرة اخرى حيث نقرأ في احد الرسائل التي كتبها اليه:

((انك كتبت لي تقول: سأقوم باداء الدفعات المنتظمة من الفضة لشراء العبيد وفتح جرار البيرة لمن تريد البيرة ؟ ان حكمك في ماري لم يستقر بعد ولا يوجد حراس يقومون بحماية ماري، وبدلاً من استمرارك بفتح جرار البيرة ودفع الفضة ثمناً لها عليك ان تعمل على الاحتفاظ بالجنود واصحاب الارض الذين سيخدموك بصفة حراس على ماري.. ان اصحاب الارض لا يملكون ثيرانا للحراثة.. وليس لديهم ثياب ولا صوف.. فضلاً عن ذلك اوصيك بتوطيد حكمك في ماري واعرف ما اريد منك وتوصل الى قرار))[٥]

وكان يسمح–ادد يرد على تانيب والده له برسائل يظهر من اسلوب كتابتها عدم ارتياحه من معاملة والده له وهذا ما نستشفه من رسالته الاتية:

---

(١) كلينغل، هورست، تأريخ سورية السياسي، ص ٧٣.

(٢) ساكز، هاري، قوة آشور، ص ٦٠–٦١.

(3) Jankowska, N. B., Early Antiqutity, P. 238.

(٤) ساكز، هاري، عظمة بابل، ص ٨٧.

(5) ARM, 1, No. 52.

((اتحدث الى ابي هكذا يقول ابنه يسمح-ادو لقد قرأت رسالتك التي تقول فيها، الى متى استبقيك تحت اللجام والعنان في فمك ؟ انت طفل، انت شخص لايكبر، فليس هناك شعر في ذقنك. الى متى ستفشل في ادارة اسرتك ادارة صحيحة ؟ الا ترى ان شقيقك يقود الجيوش العظيمة ؟ لا نطلب منك الا ان تدير مقرك أو اسرتك ادارة صحيحة. هذا كل ما يكتبه ابي لي، والآن كيف يمكن ان اكون طفلاً عاجزاً عن ادارة شؤوني عندما يقوم ابي بترقيتي ؟ كيف يمكن بعد ان كبرت مع ابي منذ كنت رضيعاً ان يأتي خادم ليأخذ مكاني ؟ لهذا سأذهب لأبي الآن واناقشه عن تعاستي))(١)

ويظهر لنا يسمح–ادد ثقة بنفسه عندما نراه يتجرأ ويطلب من ابيه ضم مدينة (شوبات–شمش) الى حدود لسطته، مما اثار غضب والده ويذكر اشمي–داجان في رسالة موجهة من قبله الى أخيه:

((ان يسمح-ادد لم يستطع بعد من تقوية اركان حكمه في ماري وتوتول ويطلب الآن (شوبات انليل)))(٢)

ان الوقائع التاريخية تؤكد ان يسمح–ادد استطاع ان يبسط نفوذه على توتول بعد ان انتصر على حاكمها (سمو–ابوخ)(٣)، كما انه كان يتمتع بعلاقات طيبة مع عدد من الدويلات الآمورية في سوريا وخصوصاً مع حاكم قطنا (ريش–ادد) اذ تزوج من ابنته وارسل له بعض المساعدات العسكرية عندما طلبت منه قطنا ذلك(٤)، بل ان علاقتهما وصلت حداً بأن طلب يسمح–ادد من ريش–ادد أن يسمح لقطعانه بالرعي في مراعي مملكته وتم له ما أراد(٥)، وبالمقابل فان ماري كانت على أهبة الاستعداد للوقوف مع كل من قطنا ويمخد ضد الغزوات التي تقوم بها بعض القبائل التي كانت تسكن المنطقة على طريق القوافل التجارية المار بتدمر ونشالا (القريتين حالياً) القريبة منها(٦)، اما عن علاقة يسمح–ادد بملك كركميش (ابلاخندا) فقد كانت علاقة ودية وطيبة للغاية، وهناك دليل على ارسالية من ابلاخندا الى حاكم ماري كانت تتضمن الحبوب والخمر حيث كان هذا المنتوج ينقل عن طريق الفرات عبر ماري وصولاً الى سبار وبابل، وكانت كركميش تلعب دور الوسيط في تجارة الخيول، بينما تستورد من ماري القصدير(٧)، وتشير الرسائل المتبادلة بين الطرفين الى روح الود والصداقة التي كانت تطبع علاقتهما حيث كان ملك كركميش يخاطب ملك ماري بكلمة (اخي)(٨).

---

(1) Dalley, S., Mari and Karana, P. 34.

(٢) ساكز، هاري، عظمة بابل، ص ٨٨.

(3) ARM, I. No. 91.

(4) ARM, I, No. 24.

(٥) ساكز، هاري، عظمة بابل، ص ٨٤.

(٦) مرعي، عيد، "تدمر محطة هامة على طريق القوافل خلال الالف الثاني قبل الميلاد"، الحوليات السورية، م ٤٢، ١٩٩٦، ص ١٠٩.

(٧) كلينغل، هورست، تأريخ سورية السياسي، ص ٧٨.

(٨) المصدر نفسه.

اما مع مملكة يمخد (حلب) فتشير النصوص الى ان يسمح–ادد قد أهدى لبعض رعاة الأغنام من البدو في يمخد قوارب لعبور نهر الفرات[١]. وتتحدث نصوص ماري عن علاقة طيبة ليسمح–ادد مع مملكة اورشوم (شمال شرق سوريا ولم يعرف موقعها بالضبط الآن) حيث كانت الهدايا ترسل من قبله الى ملكها، في حين كانت اورشوم تقف معه ضد اي اعتداء تتعرض له ماري[٢].

<u>أهم الدويلات الآمورية في سوريا وعلاقتها بشمشي–ادد الاول[٣]:</u>

نستشف من رسالة موجهة الى زمري–لم من احد اتباعه المدعو (ايتور–اسدو) والذي بعثه الملك على ما يبدو الى القبائل القاطنه في حوض الفرات السوري والتي كانت تحت سطة ماري، بان الممالك الامورية في سوريا لم تكن تختلف في قوتها السياسية عن الممالك الموجودة في بلاد الرافدين في هذه المرحلة الزمنية حيث جاء في تلك الرسالة:

((لا يوجد ملك هو الأقوى لوحده، عشرة ملوك يتبعون حمورابي ملك بابل، نفس العدد يتبعون ريم-سن حاكم لارسا، نفس العدد يتبعون ابالييبل الثاني حاكم اشنونا، نفس العدد يتبعون يموت-بعل حاكم قطنا، عشرون ملكاً يتبعون ياريم-لم حاكم يمخد))[٤]

ان أهم تلك الممالك الامورية في بلاد الشام هي:

أ. **<u>مملكة يمخد (حلب):</u>**

تأتينيا اول اشارة الى كيان سياسي يدعى يمخد او يمخاض في تقرير لملك ماري يخدن–لم[٥]. وهي باستثناء ماري اكبر مملكة أمورية في بلاد الشام فقد امتدت رقعتها الجغرافية من سواحل البحر المتوسط في الغرب حتى الفرات في الشرق ومن جبال طوروس في الشمال حتى حماه وحمص في الجنوب[٦].

---

(١) رو، جورج، <u>العراق القديم</u>، ص ٢٦١.

(٢) كلينغل، هورست، <u>تأريخ سورية السياسي</u>، ص ٨٢.

(٣) بالنظر لذكر علاقة تلك الدويلات مع بلاد بابل في الصفحات السابقة من هذا المبحث، لذا سيتم في هذه الفقرة ذكر علاقاتها ببلاد آشور فقط.

(4) Muun-Rankin, J. M., , <u>IRAQ,</u> 18, 1956 P 74.

(٥) كلينغل، هورست، <u>تأريخ سورية السياسي</u>، ص ٥٥.

(٦) مرعي، عيد، <u>مجلة دراسات تأريخية</u>، العددان ٦٧–٦٨، ١٩٩٩، ص ٥.

لقد تميزت هذه المملكة بالقوة العسكرية وبالاهمية التجارية على حد سواء اذ وردتنا منها مئات النصوص الأقتصادية التي ذكرت فيها كميات كبيرة من المواد الاولية التي كان ملوك حلب يخزنونها في مستودعاتهم، ومن ثم يعاد تصديرها باتجاه بحر ايجة واسيا الصغرى(١).

تمكن مؤسس هذه المملكةالمدعو (سومو–ابوخ) من مد نفوذ مملكته حتى المناطق التي كانت تابعة لنفوذ شمشي–ادد الاول في الشرق حيث استولى على قلعة تدعى (دور شمشي–ادد) وسماها باسمه اي (دور سومو–ابوخ)(٢)، اما باتجاه الشمال فقد وقعت كل من مملكتي اورشو وكركميش تحت نفوذ هذه المملكة في بعض الاحيان(٣).

لقد أدرك شمشي–ادد الاول خطر هذه المملكة فقام بعقد حلف ضدها مع مملكة قطنا وقد دعم هذا الحلف بالمصاهرة عندما زوج ابنه يسمح–ادد من ابنة ملك قطنا، ثم قام شمشي–ادد ببعض الفاعليات العسكرية في المنطقة الحدودية بين يمخد والاراضي التي كانت تحت سيطرته في اعالي الفرات(٤)، في حين كا يسمح–ادد يتواجد في توتول(٥) (تل البيعة بالقرب من الرقة)(٦)، وهذا التحرك المدروس من قبل شمشي–ادد كان يهدف الى القاء القبض على سومو–ابوخ وتسليمه الى اشخي–ادد ملك قطنا، ولكن النص لا يوضح مصير سومو–ابوخ في أسره او موته مقتولاً في أحد المعارك، حيث يسجل تاريخ احد السنوات نصراً لشمشي–ادد عليه(٧).

ان عداء شمشي–ادد لهذه المملكة اسبق من هذا الزمن وكان منشأه عندما قبلت يمخد لجوء زمري–لم اليها بعد هروبه من ماري واستيلاء شمشي ادد عليها(٨)، كذلك فان الملك الآشوري حاول أن يستميل هذه المملكة اليه لأنها كانت تسيطر على الطريق التجاري بين الفرات الأوسط والبحر المتوسط الذي ينبغي على القوافل التجارية المرور فيه ان أرادت تجنب الطريق الصحراوي المار بتدمر والمؤدي الى قطنة ثم البحر المتوسط، او في حالة عدم سلوكها الطريق الشمالي الذي يمر بكركميش(٩).

---

(١) عبد الله، فيصل، "دور السلالة الحلبية الاولى في تجارة الشرق وشمال سورية في القرنين الثامن عشر والسابع عشر ق.م"، الحوليات السورية، م ٤٣، ١٩٩٩، ص ١١٣.

(٢) كلينغل، هورست، تأريخ سورية السياسي، ص ٥٧.

(3) Yuhong, W., Apolitical History……P. 131.

(٤) كلينغل، هورست، تأريخ سورية السياسي، ص ٥٩.

(5) Yuhong, W., Apolitical History……P. 134.

(6) Edzard, O., and others, Rep, Geogr, I,(Wiesbadon, 1977), P. 161-162.

(٧) كلينغل، هورست، تأريخ سورية السياسي، ص ٦٠.

(٨) فرحان، وليد محمد صالح، العلاقات السياسية للدولة الاشورية، ص ٢٦.

(٩) المصدر نفسه.

من الملوك المهمين في هذه المملكة ياريم–ليم الاول الذي قدم العون لأبن أخته زمري–لم ومكنه من استعادة عرش ماري[1] واقام علاقة طيبة معه. كان ياريم–لم يبغي تحقيق مصلحة اقتصادية مع زمري–لم من خلال موقع ماري الستراتيجي[2]، كما كان له نفوذ في مناطق شرق دجلة، ونستشف ذلك من الرسالة الموجهه من قبله الى ياشوب–يخد حاكم دير[3]، وقد حرص ياريم–ليم على اقامة علاقات سياسية واقتصادية طيبة مع قطنا على عكس ما كان عليه في عهد ابيه سومو–ابوخ[4].

ويبدو وان الوضع السياسي العام الذي كان سائداً في المنطقة بدأ يتغير بعد وفاة شمشي–ادد، والتي ربما حدثت خلال أحد معاركه مع مملكة يمخد، حيث عاد زمري–لم الى ماري وعقد حلفاً مع ياريم–لم وارسل له هدايا بوساطة وزيره (طاب بلاطي)[5].

من الملوك المهمين الذين حكموا يمخد حمورابي الأول الذي كان على عرش المملكة عندما اخضع البابليون ماري ودمروها[6] والذي لم يحاول مساعدة صهره وزوج شقيقته زمري–لم، وربما كان ذلك مقصوداً لأنه لا يريد أن يخوض حرباً خاسرة ضد حمورابي البابلي[7].

وفي عهد ابي بعل خليفة حمورابي الاول وياريم–لم الثاني ونقمي–ايبوخ وصلت هذه المملكة الى قمة مجدها واصبحت الالاخ عاصمة ثانية لها ومقراً لنائب الملك[8]، فاستقر فرع من السلالة الحلبية الحاكمة في منطقة موكيش (عند مصب نهر العاصي)[9] وقد تميزت هذه المنطقة باهميتها التجارية ذلك انها كانت مركزاً لتجميع اخشاب جبال الامانوس المهمة بالنسبة لبلاد الرافدين[10]. وكانت النهاية السياسية لهذه المملكة على يد الحثيين الذين غزوا حلب عام ١٣٥٠ ق. م وانهوا وجودها[11].

ب. **مملكة كركميش:**

---

(١) ابو عساف، علي، اثار الممالك القديمة في سورية، ص ٣٢٣.

(٢) عبد الله، فيصل، الحوليات السورية، م ٤٣، ١٩٩٩، ص ١١٥.

(٣) كلينغل، هورست، تأريخ سورية السياسي، ص ٦٣.

(٤) عبد الله، فيصل، الحوليات السورية، م ٤٣، ١٩٩٩، ص ١١٦.

(٥) كلينغل، هورست، تأريخ سورية السياسي، ص ٦١–٦٢.

(٦) المصدر نفسه، ص ٦٤.

(٧) عبد الله، فيصل، الحوليات السورية، م ٤٣، ١٩٩٩، ص ١١٦.

(٨) ابو عساف، علي، اثار الممالك القديمة في سورية، ص ٣٢٣.

(٩) كلينغل هورست وايفلين، "اله الطقس السوري والعلاقات التجارية"، الحوليات السورية، م ٤٣، ١٩٩٩، ص ٣١٢–٣١٣.

(١٠) أحمد، محمود عبد الحميد وآخرون، اثار الوطن العربي القديم، ص ٣٦٠.

(١١) عبد الله، فيصل، الحوليات السورية، م ٤٣، ١٩٩٩، ص ١١٩.

تمثل هذه المملكة الجار الشمالي الأكثر أهمية بالنسبة لمملكة يمخد[١]. وقد سيطرت على حوض الفرات والسهول المجاورة من موقع يوسف باشا جنوباً حتى شمالي جرابلس[٢]، وترددت اخبار هذه المملكة في نصوص ايبلا في الالف الثالث ق.م، وفي نصوص ماري من القرنين التاسع عشر والثامن عشر ق.م[٣].

ان اول ملك حكم كركميش هو ابلا خندا الذي يرد ذكره مراراً في نصوص ماري وعاصر كلاً من ياريم–لم الاول ملك يمخد وشمشي–ادد الاول ملك اشور ويسمح–ادد حاكم ماري ثم زمري–لم من بعده وتوفي في عهده بعد ان تمتعت المملكتان بعلاقة طيبة مع بعضهما[٤].

لعبت هذه المملكة دوراً هاماً ورئيساً في العلاقات السياسية والاقتصادية بين ممالك آشور وماري ويمخد بحكم موقعها الجغرافي وسيطرتها على طريق المواصلات التجارية النهرية والبرية ووجودها في تقاطع الطرق بين بلاد الرافدين والشام وأسيا الصغرى، وهذا ما جعلها منطقة مأهولة خلال عصور طويلة في التاريخ القديم[٥].

تشير الوثائق التاريخية الى ان هذه المملكة كانت تابعة الى نفوذ شمشي–ادد، او ربما كانت حليفة له ويمكننا ان نستنتج ذلك من رسالة بعث بها شمشي–ادد الى ملك قطنة اشخي–ادد يعلمه فيها ان بعض الامراء في منطقة الفرات الاوسط وملك كركميش

((سيقطعون بحضوري العلاقة مع سومو ٠ ابوخ ملك يمخد))[٦]

وتشير هذه الرسالة الى ان شمشي–ادد كان قائداً لحلف مكون من عدة دويلات بضمنها كركميش اذ قام اعضاء هذا الحلف بقطع علاقتهم مع ملك يمخد التزاما بهذا الحلف[٧] ، ولكن العلاقة بين كركميش ويمخد أخذت فيما بعد بالتحسن وهذا ما نقرأه في النصوص التي جاءتنا من أرشيف الالاخ حيث كانت هناك صلات اقتصادية بين المملكتين[٨].

---

(١) كلينغل، هورست، تأريخ سورية السياسي، ص ٧٧.

(٢) ابو عساف، علي، اثار الممالك القديمة في سورية، ص ٣٢٢.

(٣) طوير، قاسم، اضواء جديدة على تأريخ واثار بلاد الشام، ص ٤٠.

(٤) كلينغل، هورست، تأريخ سورية السياسي، ص ٧٧–٧٨.

(٥) طوير، قاسم، اضواء جديدة على تأريخ واثار بلاد الشام، ص ٤٠.

(6) Muun-Rankin, J. M., , IRAQ, 18, 1956 P. 81.

(7) Muun-Rankin, J. M., , IRAQ, 18, 1956 P. 81.

(٨) كلينغل، هورست، تأريخ سورية السياسي، ص ٨١.

ومن ناحية اخرى دعا ابلاخندا شمشي–ادد في احد رسائله بـ (والدي) وربما كان هذا دلالة على خضوعه لبلاد أشور[١]. ولهذا فانه لم يذكر في الرسالة الموجهة الى زمري–لم من احد اتباعه من ضمن الملوك الاقوياء في المنطقة والتي اوردناها فيما تقدم.

لقد بقيت هذه المملكة تشكل احد المحطات التجارية المهمة بالنسبة لبلاد وادي الرافدين باتجاه اسيا الصغرى حتى سقوطها على يد الحثيين عام ١٣٥٠ ق.م حيث اصبحت مركزاً لنائب ملكهم الذي اتخذها مقراً لتنظيم علاقات مملكته مع المناطق الشمالية لبلاد الشام[٢].

ج. **مملكة قطنه[٣]:**

تأكد وجود مدينة قطنه القديمة في تل المشرفة الواقع على بعد ١٨ كم شمالي شرقي حمص اعتماداً على نتائج التنقيبات الفرنسية التي ابتدأت عام ١٩٢٤ وحتى عام ١٩٢٩م في المنطقة[٤].

لقد كانت هذه المدينة احد الممالك الكبرى خلال القرنين الثامن والسابع عشر ق.م واغلب معلوماتنا عنها نستقيها من رسائل ماري[٥]. حيث تذكر تلك الرسائل ان اول ملك حكم هذه المملكة هو اشخي–ادد الذي عاصر كل من سومو–ابوخ ملك يمخد وشمشي–ادد الاول ملك آشور ويسمح–ادد حاكم ماري واشمي داجان حاكم ايكالاتوم، وقد حكم في الوقت نفسه مع كل من ياريم–لم الاول ملك يمخد، وابلاخندا ملك كركميش، وحمورابي ملك بابل وريم–سين ملك لارسا[٦].

استغل حكام قطنه موقع مدينتهم المتميز جغرافياً وجعلوه منطقة تتحكم في الخطوط التجارية المتجهة من الشرق الى الغرب، اي من بلاد الرافدين حتى سواحل البحر المتوسط. ومن الشمال الى الجنوب، أي من يمخد الى حازور في فلسطين[٧]، فضلاً عن ارتباطها بصلات مع العديد من ممالك بلاد الرافدين مثل لارسا واشنونا وكذلك مع أرابخا (كركوك الحالية)، في حين سعى شمشي–ادد الى اقامة علاقات طيبة معها لأدراكه باهميتها التجارية حيث انها كانت تمثل احد المراكز التجارية الآشورية (كاروم)، فضلاً عن اهميتها السياسية بالنسبة له لأنها كانت تقع

---

(1) Muun-Rankin, J. M., , IRAQ, 18, 1956 P. 76.

(٢) ابو عساف، علي، اثار الممالك القديمة في سورية، ص ٣٢٢.

(٣) (Qutna) ومعنى اسمها رفيعة، ضيقة، نحيفة، رقيقة. انظر: AHw.P. 908. وحول موقعها انظر: Edzard, O. and others, Rep. Geogr., I, P. 138.

(٤) ابو عساف، علي، اثار الممالك القديمة في سورية، ص ٣٢٥.

(٥) كلينغل، هورست، تأريخ سورية السياسي، ص ٧١.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) اسماعيل، فاروق، "قطنا والمشرفه في وثائق العهد البابلي القديم"، الحوليات السورية، م ٤٢، ١٩٩٦، ص ٩٩.

جنوب مملكة يمخد التي حاول الحد من نفوذها السياسي القوي في الشمال السوري(١)، كذلك فانه سعى من خلال تلك العلاقة الى تقوية نفوذ ابنه يسمح-ادد في ماري(٢) وتوج تلك العلاقة الطيبة بزواج ابنه من ابنة اشخي-ادد(٣)، ذلك الزواج الباذخ في مهره مع التاكيد من قبل العاهل الآشوري بضرورة الاهتمام باميرة قطنه وتحذير ابنه من أي تصرف غير مرضٍ لها، حيث كان يبغي من ذلك تجنب أي مشاكل سياسية مع قطنه(٤).

ومقابل ذلك كانت قوة شمشي-ادد المتعاضمة واتساع امبراطوريته تغري حكام قطنا بالاحتماء به والتحالف معه لضمان حدود مملكتهم من الخطر الشمالي عليهم والمتمثل بمملكة يمخد(٥). ولذلك لم يكن ملك قطنة يتردد في طلب العون والمساعدة من الملك الآشوري كما يتضح ذلك من رسالة موجهة من اشخي-ادد الى شمشي-ادد يطلب منه الاسراع بالتقدم نحو قطنا ليقودا معاً حملة مشتركة ضد بعض المدن التي اخذت تثير المشاكل في المنطقة حيث يقول:

((انها مدن غير قوية، وسنتمكن من احتلالها في اول يوم، اسرع لكي نحتلها، دع جندك يفوزون بالغنائم، اذا كنت اخي فتعال بسرعة))(٦)

ومن وجود كلمة (اخي) في هذه الرسالة فاننا نستشف ان مملكة قطنة لم تكن تابعة لبلاد آشور لأن هذه الكلمة تشير الى المساواة في المنزلة وليس التبعية، على الرغم من وجود قوات آشورية في قطنة الا ان اشخي-ادد هو الذي طلبها من الملك الاشوري الذي اوعز لأبنه يسمح-ادد في ماري لتلبية طلب ملك قطنه(٧)، ومن ثم انسحبت تلك القوات وعسكرت في منطقة توتول عند مصب نهر البليخ حيث بقيت تراقب أي تحرك عسكري من جانب يمخد(٨).

ان هذا التعاون الوثيق بين اشور وقطنه حد من تطلعات سومو-ابوخ ملك يمخد وحجّم توسعاته، في حين حقق لملك قطنه شأناً ومكانة سياسية وعسكرية لم تكن له الا بفضل دعم شمشي-ادد وحلفاءه له عندما اعلن هؤلاء الحلفاء (وهم حكام ممالك خاسوم واورشوم وكركميش)

---

(١) ادزارد، اوتو، الشرق الادنى الحضارات المبكرة، ص ٢٠٠.

(٢) كلينغل، هورست، تأريخ سورية السياسي، ص ٧١.

(3) Yuhong, W., Apolitical History……P. 114.

(٤) كلينغل، هورست، تأريخ سورية السياسي، ص ٧٢.

(٥) اسماعيل، فاروق، الحوليات السورية، م ٤٢، ١٩٩٦، ص ٩٨.

(6) ARM, V, No. 16.

(7) ARM, I, No. 11.

(٨) كلينغل، هورست، تأريخ سورية السياسي، ص ٧٢.

أمام الملك الاشوري انهاء علاقتهم مع سومو –ابوخ ويخبره شمشي –ادد بذلك في احد الرسائل بقوله:

((نفضوا ايديهم امامي من سومو-ابوخ))[١]

وفي زمن لاحق وبعد عودة زمري–لم الى عرش ماري وانتقال الحكم في قطنة الى اموت–بي–ايل (Amut-pi-el) بقيت صلات قطنا وبلاد اشور طيبة حتى انتهاء عهد زمري–لم ودمار ماري، في حين لا تشير النصوص التأريخية الى حل نهائي لخلاف قطنه مع يمخد[٢].

ومع نهاية القرن الثامن عشر ق.م اخذت أهمية هذه المملكة تتضاءل، وبحلول القرن الخامس عشر اصبحت دويلة صغيرة خاضعة لنفوذ المصريين، ومن ثم الحثيين حيث دمرت على ايديهم[٣].

د. **مملكة اورشوم:**

تقع الى الشمال الغربي من كركميش في السهل الممتد بين نهر الفرات ورافده الساجور، ولكن لم يعرف موقعها بالضبط لحد الآن[٤].

لم يكن لهذه المملكة ثقل سياسي في المنطقة[٥]، ولكنها لعبت دوراً بارزاً في التجارة بين الهلال الخصيب واسيا الصغرى[٦]، اذ زودتنا النصوص الآشورية التي تم العثور عليها في كانيش (كول تبه) على معلومات تثبت ان هذه المدينة كانت محطة مهمة على الطريق التجاري ما بين بلاد آشور وكانيش وكان فيها مركز تجاري اشوري (كاروم) ومعبداً للاله آشور، كذلك فانها لعبت دور الوسيط بين اسيا الصغرى وبقية المدن السورية[٧].

جاء ذكر هذه المملكة ضمن حلف اقامه شمشي–ادد ضد سومو –ابوخ ملك يمخد[٨]، فقد وضع شمشي ادد تحت تصرف حاكم اورشوم الفي مقاتل ربما كاجراء احترازي عن اية محاولة عدائية تقوم بها مملكة يمخد، ولكن لا توجد ولحد الآن أي دلائل عن حدوث معركة بين

---

(1) ARM. I, No. 24.

(٢) اسماعيل، فاروق، الحوليات السورية، م ٤٢، ١٩٩٦، ص ٩٨–٩٩.

(٣) ابو عساف، علي، اثار الممالك القديمة في سورية، ص ٣٢٥.

(٤) المصدر نفسه، ص٤١٠.

(٥) كلينغل، هورست، تأريخ سورية السياسي، ص ٨١.

(٦) ابو عساف، علي، اثار الممالك القديمة في سورية، ص ٤١٠.

(٧) كلينغل، هورست، تأريخ سورية السياسي، ص ٨١.

(8) ARM. I. No. 24.

الطرفين[١]. لقد كانت نهاية هذه المملكة كنهاية اخواتها الممالك الأمورية الأخرى في بلاد الشام حيث ضمت الى الاراضي التي سيطر عليها الحثيون في الشمال السوري[٢].

الحالة السياسية في المنطقة بعد وفاة شمشي–ادد الاول:

توفي شمشي–ادد وهو في عنفوان قوته العسكرية وسعة سلطانه، واعتبرت حادثة وفاته علم ١٧٨١ ق.م من الاحداث المهمة التي أرخت فيها السنون حتى في مملكة اشنونا[٣]. وقد تقلصت امبراطورية شمشي–ادد الواسعة بعد وفاته بالسرعة نفسها تقريباً التي ظهرت فيها الى الوجود، وكان خليفته على العرش الاشوري ابنه الأكبر اشمي–داجان حاكم ايكالاتي في حياة ابيه[٤].

حكم هذا الملك مدة طويلة من الزمن امتدت حوالي اربعين عاماً (١٧٨٠–١٧٤١ ق.م)، في حين بقي اخيه يسمح–ادد حاكماً على ماري وقدم له اشمي–داجان عهداً بانه سيقدم له الحماية والعون وان مركزه في الحكم لن يتغير[٥]، وفعلاً لعب اشمي–داجان دوراً بارزاً عند تعرض ماري لهجوم عليها من قبل ايبا لبيل ملك اشنونا الذي استغل فرصة اضطراب الاوضاع بعد وفاة شمشي–ادد طامعاً في توسيع رقعة نفوذه ودخل مدينة كرانا في عهد حاكمها سامو–ادو[٦]، ولكن اشمي–داجان استطاع ان ينقذ ماري من اعتداء اشنونا حيث كانت قوة الاشوريين كافية للجم طموحاتها[٧]، وتشير النصوص الى ان دفاع اشمي–داجان عن ماري ضد اشنونا لم يكن لأول مرة فقد كان قائد للجيش الاشوري في عهد والده الذي ارسل جيشاً لردع اشنونا التي هددت ماري وبعض المناطق التي تحت سيطرتها في ارض الجزيرة حيث استطاع ان يسجل انتصاراً على جيش اشنونا[٨].

لقد ساعدت الاوضاع الجديدة التي كانت تمر بها بلاد آشور عقب وفاة شمشي–ادد في تهيئة الفرصة لزمري–لم ابن يخدن–لم الوريث الشرعي لعرش ماري لأستعادة عرشه الذي كان شمشي–ادد قد استولى عليه[٩] حيث انتهى حكم يسمح–ادد في ماري، بينما تقلص نفوذ اشمي–

---

(١) كلينغل، هورست، تأريخ سورية السياسي، ص ٨٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٨٥.

(٣) باقر، طه وآخرون، تارريخ العراق القديم، ج١، ص ٢١٥.

(٤) ساكز، هاري، قوة آشور، ص ٦٢.

(٥) رو، جورج، العراق القديم، ص ٢٦٩.

(6) Dalley, S., S.,Mari and Karana, P. 36.

(7) Kupper, J. R., Northern Mesopotamia…..,P. 17.

(8) Beitzel, B. J., IRAQ, vol 36, 1984, p.37.

(9) Baqir, T., "Date fomulae and Date List from Harmal". Sumer, vol 5, 1949, P. 43-44.

داجان واقتصر على اراضي بلاد اشور الأصلية فقط(١). وكان امراً طبيعياً بعد هذا ان تكون العلاقات سيئة بين زمري–لم واشمي–داجان فتشير النصوص الى ان الطرفين قد التقيا في معركة جرت في اعالي بين النهرين وكان يقود الجيش الاشوري (موت–اشكر) (Mut-Asqur) ابن اشمي–داجان، ولكن قوات زمري–لم اجبرت القوات الاشورية على الانسحاب(٢). ومن ثم دخلت ماري بحلف جمع كل من يمخد وبابل واشنونا، وكان لهذه الاطراف هدف واحد هو الحد من القوة الاشورية، الا ان اشنونا سرعان ما انسحبت من هذا الحلف لتنضم مع بلاد عيلام في حلف كانت غايته السيطرة على الطرق التجارية(٣).

وتخبرنا النصوص التأريخية بان اشمي–داجان بقي يتمتع بعلاقات طيبة مع بعض المدن السورية ومنها ترقا حيث عقد معها معاهدة توجت بزواج ابنه (موت–اشكر) من ابنة حاكم ترقا (زازية)، تلك المعاهدة التي هدفها حماية القوافل التجارية من قطاع الطرق(٤).

ومع تعاظم قوة حمورابي واصراره على تحقيق طموحاته في اقامة حكم مركزي يشمل عموم ارجاء بلاد الرافدين فقد اضطرته تلك الطموحات الى مهاجمة بلاد اشور (٥) التي كانت تعقد احلاف ومعاهدات مع مدن مجاورة ضده فقام بدخولها وضم اشهر مدنها وهي نينوى واشور في سنة حكمه التاسعة والثلاثين(٦).

وبهذا فقد انتهى عهد شمشي–ادد الاول وابنيه لتدخل بلاد اشور في عهد مظلم(٧) لا تتجاوز تتجاوز معلوماتنا عن الوضع السياسي فيه سوى اسماء بعض الملوك والحكام الذين تتابعوا على العرش الاشوري كما ذكرت ذلك جداول الملوك الاشوريين، وظل الوضع مرتبكاً وغامضاً حتى بداية حكم بوزور–اشور الثالث (١٥٢١–١٤٩٨ ق.م) الذي عُدَّ عهده بداية للعصر الاشوري الوسيط(٨). الوسيط(٨).

---

(٥) ادزارد، اوتو، الشرق الادنى الحضارات المبكرة، ص ١٩٥.

(2) Beitzel, B. J., IRAQ, vol 36, 1984, P. 36.

(3) Muun-Rankin, J. M., , IRAQ, 18, 1956 P. 74-76.

(٤) الأحمد، سامي سعيد، العراق القديم، ج٢، ص ٢٤٢.

(٥) اسماعيل، شعلان كامل، العلاقات الدولية في العصور القديمة، ص ٣٠.

(٦) الأعظمي، محمد طه، حمورابي، ص ٨٠.

(٧) ساكز، هاري، قوة آشور، ص ٦٢.

(٨) باقر، طه، وآخرون، العراق القديم، ج١، ص ٢١٦.

المبحث الثاني
العصران البابلي والاشوري الوسيطان

شهدت منطقة الشرق القديم في المدة الزمنية الواقعة بين أواسط الالف الثاني ق. م ونهاية القرن العاشر ق.م العديد من التقلبات السياسية والتحركات العرقية والتغييرات الأقتصادية والاجتماعية(١)، ومن بين البلدان التي شملتها تلك التغيرات هي سوريا التي شهدت تقلبات سياسية مهمة(٢)، ولابد لنا من التعريف بالدول التي أدت دوراً مهماً على المسرح للمنطقة في هذه المرحلة الزمنية.

بعد ان كون الحثيون دولتهم القومية في اسيا الصغرى في حدود القرن السابع عشر ق.م استولوا على مناطق الشمال السوري، ثم زحفوا باتجاه نهر الفرات صوب العاصمة بابل وقضوا على سلالتها الأولى في حدود عام ١٥٩٥ ق.م بقيادة ملكهم مورسيلس الأول(٣)، ولكن بعد وفاة هذا الملك ضعف الحثيون وكانت هذه فرصة مواتية لظهور قوة جديدة في المنطقة متمثلة بالميتانيين الذين اسسوا مملكة خانيكلبات (Hanigalbat)(٤) في شمال مابين النهرين وفي منطقة الخابور وكان سكانها من الحوريون(٥).

اصطدمت مصالح هذه المملكة بالمصالح الحثية للسيطرة على الشمال السوري وبالمحاولات المصرية لأقامة الامبراطورية الأسيوية(٦) بعد نجاح المصريين في طرد الهكسوس

---

(١) سليمان، عامر، "الجيش والسلاح في العصر الاشوري"، الجيش والسلاح، ج ١، (بغداد، ١٩٨٧)، ص ٢٣٧.

(٢) الجندي، عدنان، "تمثال من مقتنيات المتحف الوطني في دمشق"، الحوليات السورية، م ٨،٩، ١٩٥٩، ص ١٠٧.

(3) Giorgadze, G. G., “The Hittite kingdom”, Early Antiquity, (Chicago, 1991), P. 273.

(٤) عرفت هذه الملكة بثلاث اسماء مترادفة منذ قيامها (الدولة الميتانية، الدولة الحورية او الخورية، خانيكلبات) بينما سماها المصريون والكنعانيون باسم (نهاريما / نهارينا). انظر:

Astour, M. C., Hattusilis Halab and Hanigalbat, JNES, vol, 31, No. 2, P. 103 ff.

(5) Jonkowska, N. B., Early Antiquity, P. 238 f.

الحوريون أو الخوريون من الشعوب التي يعتقد انها قدمت من ارمينيا قرب بحيرة (وان) ولغتهم من اللغات التي من الصعوبة ارجاعها الى عائلة لغوية معينة، ولكن يبدو انها من نفس عائلة اللغة الاورارتية التي عرفت في حدود القرن ٩-٧ ق. م. أنظر:

Gibson, J. “Observations on some important ethnic terms in the pentateuch”, GNES, vol 20, No. 4, 1961, P. 228.

(٦) فرحان، وليد محمد صالح، "الصراع الدولي في الشرق الادنى بين القرنين الخامس عشر والثالث عشر قبل الميلاد"، مجلة اداب الرافدين، العدد ١١، (الموصل، ١٩٧٩)، ص ٢١٥.

من أراضيهم في معركة مجدو الشهيرة عام ١٤٧٨ ق.م[١]. اذ تطورت مطامحهم الى محاولة اقامة منطقة نفوذ مصرية في بلاد الشام، وبذلك دخلت مصر كقوة دولية مهمة في الصراع الدولي في المنطقة[٢]، ولكن تلك المصالح كانت تصطدم بالاطماع الحثية في بلاد الشام[٣]، بينما نجد ان بلاد اشور اصبحت تابعة للنفوذ الميتاني[٤]. أما بلاد بابل فقد شهدت بروز قوة سياسية جديدة في المنطقة، حيث لم يبق الحثيون فيها وسرعان ما انسحبوا منها لظروف داخلية حدثت في بلادهم[٥] وقد تمثلت تلك القوة بالكيشيين الذي اقاموا سلالة حاكمة في بابل عرفت باسم سلالة بابل الثالثة (١٥٩٥-١١٦٢ ق. م)[٦].

ومما يمكن قوله عن السياسة الخارجية للكشيين انها سياسة اتسمت بكونها سلمية وتحتم عليهم اتباع تلك السياسة بسبب الظروف الدولية المحيطة بهم حيث غالباً ما كانوا يلتزمون جانب الحياد عن الصراعات الدولية التي عصفت بالمنطقة خلال هذه المرحلة الزمنية[٧]، لكونهم ادركوا انهم دون القوة العسكرية للأطراف المتناحرة وخصوصاً المصريين والحثيين[٨]، ولهذا فانهم انصرفوا الى المشاريع العمرانية بعد ان وطدوا الجبهة الداخلة لبلاد بابل[٩] باتباعهم مبدأ الموازنة بينهم وبين الاشوريين[١٠] وقد وصلتنا من عهد الملك الاشوري بوزور-اشور الثالث (١٥٢١-١٤٩٨ ق.م) أول معاهدة اشورية-بابلية حول تثبيت الحدود بينه وبين الملك بورنا بورياش الأول[١١].

أما بلاد الشام فقد اقتسم الحكم فيها العديد من الدويلات الأمورية الصغيرة التي اختلف موقفها في علاقاتها مع دول المنطقة بين التحالف مع احدها ضد الاخرى، وهو تحالف اقرب الى الخضوع او هو خضوع كامل، أو الحياد المؤقت وانتهاز الفرص لتقوية مركزها الذاتي

---

(١) باقر، طه، مقدمة..، ج٢، ص ٦٦.

(٢) فرحان، وليد محمد صالح، مجلة اداب الرافدين، العدد ١١، ١٩٧٩، ص ٢١٦.

(٣) الشمري، طالب منعم، الوضع السياسي في الشرق الادنى القديم، ص ١٦٧.

(٤) ساكز، هاري، قوة اشور، ص ٦٧.

(٥) رو، جورج، العراق القديم، ص٣٣٢.

(6) Jakobson, V. A., "Mesopotamia in the sixteenth to Eleventh centuries B. C.", Eearly Antiquity, (Chicago, 1991), P. 261.

(٧) الشمري، طالب منعم، الوضع السياسي في الشرق الادنى القديم، ص ١٦٧.

(٨) باقر، طه، مقدمة..، ج١، ص ٤٦٠.

(٩) ساكز، هاري، عظمة بابل، ص ٩٥.

(١٠) باقر، طه، مقدمة..، ج١، ص ٤٦٠.

(١١) اسماعيل، شعلان كامل، العلاقات الدولية في العصور العراقية القديمة، ص ٣٤.

وتحقيق الاستقلال الكامل، وكانت هذه الدويلات في كثير من الاحيان تقوم بالدور نيابة عن الدولة المساندة لها، فضلاً عن ان اراضيها كانت مسرحاً للنزاع بين الدول الكبيرة القوية[١].

لقد شهد القرن الرابع عشر قبل الميلاد أزهى العهود التاريخية التي مرت بها شعوب اقطار الشرق القديم من ناحية العلاقات الدبلوماسية مع بعضها وتقوية اواصر الصلات التجارية والثقافية والعسكرية فيما بينهما[٢]، ولعل من اهم الاحداث التي حصلت في هذا القرن هي تخلص الدولة الاشورية من النفوذ الميتاني اذ تمكن اشور-اوبالط الأول (١٣٦٥-١٣٣٠ ق.م) من تحقيق ذلك، وتمتع بعلاقات مستقرة مع الحثيين والمصريين وكان له تأثير كبير على الكشيين، في بلاد بابل[٣] واصبحت الدولة الاشورية في عهد ملكها الجديد ذات قوة يحسب لها حساب بين ممالك الشرق القديم وهذا ما نستشفه من رسالة بعث بها اشور-بالط الى الفرعون المصري اخناتون بمخاطبته بكلمة (اخي) وهذا يعني مساواته في المنزلة مع الفرعون المصري[٤]، في حين اعترف الملك الميتاني ارتاتاما الثاني بالدولة الاشورية كدولة مستقلة، بل انه كان على استعداد للتحالف مع الاشوريين على الرغم من عدائهما السابق، وذلك من اجل التصدي للحثيين الذين باتوا يشكلون قوة كبيرة في المنطقة[٥].

وعموماً فقد اتسمت الصلات بين كل تلك الممالك التي كانت تحكم في المنطقة بطابع الود في هذه المرحلة الزمنية كما يتضح ذلك من المراسلات الودية التي تبادلها الحكام والملوك فيما بينهم[٦]

---

(١) فرحان، وليد محمد صالح، اداب الرافدين، ١١، ١٩٧٩، ص ٢١٦.

(٢) الزيباري، اكرم سليم، "العلاقات بين اقطار الشرق الادنى في القرن الرابع عشر قبل الميلاد"، مجلة كلية الاداب، (جامعة بغداد، العدد ٢٨، ١٩٨٠)، ص ١٢٦.

من الجدير بالاشارة هنا الى ان المراسلات الخاصة بهذه لمرحلة الزمنية والتي كشفت لنا عن العلاقات الدبلوماسية التي كانت سائدة بين ممالك الشرق القديم قد جاءنا اغلبها من تل العمارنة نسبة الى الاسم الحديث لموقع عاصمة الفرعون المصري اخناتون حيث تم اكتشافها عام ١٨٨٧ م وكانت مكتوبة باللغة الأكدية لأنها كانت لغة المراسلات الدبلوماسية. انظر:

Knudtzon, A. J. Die El-Amarna Taflen, (Leipzig, 1964).

(٣) فييرا، موريس، الاشوريون، ترجمة عبد الكاظم راضي، بحث غير منشور مقدم الى كلية اللغات-جامعة بغداد لنيل شهادة الدبلوم العالي، ١٩٩٧، ص ٤٩.

(٤) فرحان، وليد محمد صالح، اداب الرافدين، ١١، ١٩٧٩، ص ٢٢٧.

(5) Gadd, C. J., "Assyria and Babylon 1370-1300 B. C." CAH, vol. 11, (London, 1965), P. 8-9.

(٦) باقر، طه، سومر، م ٤، ١٩٤٨، ص ٩٢.

الصلات الكشية مع بلاد الشام في العصر البابلي الوسيط:

يدعي الكشيون من خلال رسائلهم الى فرعون مصر (اخناتون) بانهم اصحاب السيادة والزعامة في بلاد الرافدين واعتبروا الاشوريين اتباعاً لهم(١)، ومن المعروف ان مصر كانت تطمح في القرن الرابع عشر قبل الميلاد الى بسط نفوذها على سورية وفلسطين ودخلت في تنافس على ذلك مع الحثيين، ذلك التنافس الذي اثر تاثيراً هاماً في تطور الاحداث السياسية في المنطقة، وفي تحديد ولاءات الممالك السورية لطرفي هذا التنافس(٢).

يعد العصر البابلي الوسيط، وهي المدة التي حكم فيها الكشيين في بابل من المراحل الفقيرة في مصادرها التأريخية وتكاد مصادرنا الرئيسية عن هذا العصر تقتصر على رسائل تل العمارنه وبضعة نصوص ملكية جاءتنا من بلاد الرافدين(٣).

لقد اخبرنا بعض الملوك الكشيين عن تحركات قاموا بها في مناطق غرب الفرات حيث نقرأ في اخبار الملك كاد شمان–خربي الأول (١٤١٠–١٣٨٦ ق.م) عن تصديه لجماعة من قبائل السوتو الأرامية لأنهم كانوا يشكلون مصدر قلق له وتمكن من ايقاف زحفهم(٤).

وبالنظر لتنامي القوة المصرية في هذه المرحلة الزمنية فقد اتصل بعض امراء الممالك الكنعانية في فلسطين بالملك الكاشي بورنابورياش الثاني (١٣٧٥–١٣٤٧ ق.م) من اجل الاتفاق معه للوقف ضد مصر ولكن ذلك الطلب جوبه بالرفض من قبل الملك الكاشي(٥).

ونقرأ في رسالة اخرى من عهد هذا الملك موجهة الى فرعون مصر اخناتون عن تعرض احد القوافل التجارية الى السرقة والقتل في فلسطين عند مدينة خنّاتوني (Kginnatuni) ببلاد كنعان على يد عصابه يتزعمها شخص يدعى شوتاتنا (Shutatna) من آهالي عكا(٦) حيث قام هذا الشخص بقطع اقدام احد التجار واحتفظ بها(٧)، ويطلب الملك الكاشي من الفرعون المصري انزال العقوبة بتلك العصابة خاصة وان ارض كنعان كانت تحت السيادة المصرية(٨).

وفي احد الرسائل الموجهة من (رب–عدي) حاكم جبيل الى اخناتون يذكر له فيها ان الكشيين اخذوا يتدخلون في الشؤون الداخلية لأماراته وكذلك يذكر (عبدو–خيبا) حاكم مدينة

---

(1) Knudtzon, A. J. <u>Die El-Amarna,</u> I, P. 89, No. 9.

(٢) كلينغل، هورست، تاريخ سورية السياسي، ص ١٣٥.

(٣) باقر، طه، مقدمة..، ج١، ص ٤٥٠.

(٤) الأحمد، سامي سعيد، "فترة العصر الكاشي"، سومر، م ٣٩، ١٩٨٣، ص ١٣٧.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) الأحمد، سامي سعيد، تأريخ فلسطين القديم ص ١٣٥.

(٧) الأحمد، سامي سعيد، سومر، م ٣٩، ١٩٨٣، ص ١٣٨.

(٨) الأحمد، سامي سعيد، تأريخ فلسطين القديم ص ١٣٥.

القدس والمعين من قبل الفرعون المصري بأن الكشيين باتوا يهددون حياته[١]. ويبدو ان الكشيين قد ردوا على سوء معاملة تلك الدويلات الشامية وتعرضهم لتجارتهم بان قاموا باثارة بعض الاضطرابات والفتن الداخلية وليس بالمواجهة العسكرية، اذ ليس لدينا دليل على ذلك، حيث انهم تجنبوا مثل تلك المواجهات[٢]. وهناك رسالة اكتشفت في ارشيف العاصمة الحثية حاتوشاش تشير الى ان الملك الكشي كدشمان انليل الثاني (١٢٧٩-١٢٦٥ ق. م) قد عاتب الملك الحثي حاتوشيلش الثالث بسبب اغتيال تجار تابعين له في أراضي أمورو واوغاريت ووجه الملك الكشي لومه الى الحاكم المعين من قبل الحثيين في شمال سورية والمدعو (بينتيشينا) حيث كان ذلك الجزء من سورية تحت السيطرة الحثية[٣]. وقد اجابه الملك الحثي بانه سيحل هذا الامر وفق القانون الحثي لكون (بينتيشينا) كان تابعاً له لهذا فهو يخضع لسلطة القضاء الحثية[٤]. وتردنا رسالة اخرى من عهد هذين الملكين ايضاً حيث يعث بها حاتوشيلش الى كدشمان انليل الثاني يذكر له فيها ان قبائل الاخلامو الآرامية تمكنوا من التسلل على شكل عصابات في منطقة ما بين النهرين مهددين الطرق التجارية التي تربط بلاد بابل واسيا الصغرى[٥].

ومما تقدم يمكن القول ان الملوك الكشيين ركزوا اهتمامهم على التجارة مع البلدان المجاورة مثل سوريا وفلسطين ومصر واسيا الصغرى وقد عمل هذا الاتصال التجاري الواسع على انتشار بعض المآثر العراقية القديمة مثل الاساطير والقصص السومرية والأكدية الى تلك المناطق[٦] اذ وجدت تأثيرات ملحمة جلجامش في مجدو (تل المتسلم) بفلسطين والتي تعود الى هذه المرحلة الزمنية[٧].

الصلات الاشورية مع بلاد الشام في العصر الاشوري الوسيط:

---

(١) الأحمد، سامي سعيد، سومر، م ٣٩، ١٩٨٣، ص ١٣٩.

(٢) باقر، طه، مقدمة...، ج١، ص ٤٥٣.

(٣) بعد الحروب الطويلة التي قامت بين المصريين والحثيين والتي دامت زهاء القرن (١٣٨٠-١٢٧٨ ق.م) وانتهت بمعركة قاديش الشهيرة عام ١٢٧٨ ق.م، ولكن تلك المعركة لم تحسم ذلك النزاع الطويل، بل اوقفته بابرام معاهدة بين الطرفين كان من نتيجتها ان اصبحت سورية وشمالي الساحل الفينيقي تحت السيطرة الحثية فيما كانت فلسطين وفينيقية الجنوبية تحت السيادة المصرية. انظر:
باقر، طه، مقدمة...، ج٢، ص ٧٣.

(٤) كلينغل، هورست، تأريخ سورية السياسي، ص ١٨٦.

(٥) سومر، دوبونت، سومر، ١٩، ١٩٦٣، ص ٩٨.

(٦) الأحمد، سامي سعيد، سومر، ٣٩، ١٩٨٣، ص ١٥٠.

(٧) باقر، طه، ملحمة كلكامش، ط٥، ص ٦٠.

مرت بلاد اشور في هذا العصر بالعديد من الاخطار المحيطة بها، ولعل من ابرزها تعاظم نفوذ الأقوام الحورية في المنطقة وظهور دولتهم التي عرفت بالدولة الميتانية(١) وامتدت بنفوذها في اوسع حدودها من بحيرة وان الى اواسط نهر الفرات، ومن جبال زاجروس الى الساحل السوري وذلك في اواسط الألف الثاني ق. م(٢)، وكانت بلاد اشور ضمن أراضيها الواسعة(٣)، كما شهدت هذه المرحلة الزمنية بداية هجرات القبائل الآرامية التي تميزت بصراعها الطويل مع الاشوريين(٤).

ان بداية القوة الاشورية في هذا العصر تمثلت بعهد الملك اشور–اوبالط الاول (١٣٦٥–١٣٣٠ ق.م) كما اسلفنا ولم تردنا أي اشارة من عهد هذا الملك وخليفته انليل–نيراري (١٣٢٩–١٣٢٠ ق.م) عن خطر القبائل الارامية، ويبدو ان تحركاتهم في هذه المرحلة الزمنية قد انحسرت في حدود منطقة بلاد بابل(٥).

لقد اشارت المصادر التأريخية عن تحركات واسعة قام بها اشور–اوبالط الأول باتجاه الفرات الأعلى حيث وصل الى كركميش ووضع يده على كافة انحاء بلاد ما بين النهرين العليا التي كانت تمثل قلب المملكة الميتانية وقد اعترفت مصر بهذه السيادة الاشورية على تلك المناطق(٦) وتطلب هذا الوضع الخطير تدخلاً شخصياً من قبل الملك الحثي مورسيلس الثاني الذي نصب حاكماً جديداً على كركميش خلفاً لحاكمها السابق (شاري–كوشوخ)(٧).

ظهرت خطورة الآراميين مع بداية عهد الملك اريك–دين–ايلي (١٣١٩–١٣٠٨ ق.م) الذي تمكن من دحر قبائل الاخلامو وأخذ غنائم كثيرة منهم(٨)، وواصل خليفته على العرش ادد–نيراري الاول (١٣٠٧–١٢٧٥ ق.م) محاربتهم واستولى على الاراضي القاطنة فيها(٩). ولعل من

---

(١) من المعروف عن الميتانيين انهم ابتدعوا صناعة الحلي الكاذبة الرخيصة الثمن التي لاقت رواجاً تجارياً كبيراً حيث اصبحت هذه الحلي شعبية الاستعمال اذ استبدلت الحلي الذهبية والفضية والاحجار الكريمة بالاصداف والخرز الزجاجية والاحجار الرخيصة. انظر:

الشواف، قاسم، اخبار اوغاريت، ص ٦٥.

(٢) سليمان، عامر، الجيش والسلاح، ج١، ص ٢٣٩.

(٣) ساكز، هاري، قوة آشور، ص ٦٦.

(٤) باقر، طه، مقدمة...، ج١، ص ٤٩٤.

(٥) منصور، ماجدة حسو، الصلات الاشورية الآرامية، ص ٨٠.

(٦) مونتكارت، انطوان، تاريخ الشرق الادنى القديم، ترجمة توفيق سليمان وآخرون، (دمشق، ١٩٦٧)، ص ٢٥٧.

(٧) كليتغل، هورست، تاريخ سورية السياسي، ص ١٣٩.

(٨) ساكز، هاري، عظمة بابل، ص ١٠٠.

(9) Grayson, A. K., ARI, I, No. 382.

أهم ما قام به هذا الملك هو استيلاءه على عدة مدن ميتانية ومنها العاصمة واشوكاني (Washokkanni) التي اصبحت تدعى في النصوص الاشورية منذ هذا التاريخ باسم (خانيكلبات)[١] ومدينة كحت (Keht) التابعة لها[٢]. وتأتينا من عهد هذا الملك رسالة موجهة اليه من الملك الحثي حاتوشيلش الثالث يذكر له فيها نهب منطقة كركميش من قبل سكان توريرا (Turira) التي ربما كانت تقع شمال شرقي كركميش والتي كانت جزءاً من خانيكلبات[٣]. ونستشف من هذه الرسالة ان كركميش ما زالت خارج السيادة الحثية في عهد ادد–نيراري الأول بدليل انه قام بحملة ناجحة عليها[٤] وهذا الأمر يتأكد لنا لأن السيادة الحثية في الشمال السوري لم تستقر الا بعد معركة قاديش عام ١٢٧٨ ق. م.

وباعتلاء شلمنصر الأول (١٢٧٤–١٢٤٥ ق.م) العرش الآشوري تمردت خانيكلبات بمساندة حثية لم تقتصر على تقديم المساعدات العسكرية، بل انها فرضت الحصار الاقتصادي على بلاد اشور، ففي معاهدة يشترط الملك الحثي على حكم دويلة امورو في البلاد السورية:

((أن لا يذهب تاجر من عندك الى بلاد أشور، ولن تسمح لتاجر منهم أن يدخل بلادك))[٥]

وقد دخلت قبائل الاخلامو الآرامية في هذا التحالف بالدعم العسكري للميتانيين[٦]، ويبدو واضحاً ان الهدف من دخول تلك القبائل في هذا النزاع هو اضعاف القوة الاشورية المتعاظمة التي اصبحت تضيق الخناق على تحركاتهم في المنطقة، ولكن شلمنصر استطاع ان يحقق نصراً على خانيكلبات[٧]، واستولى على كركميش[٨].

استمر زخم التوسع الاشوري في عهد توكلتي–نينورتا الاول (١٢٤٤–١٢٠٨ ق.م)[٩] ويردنا من عهده انه جلب الى بلاد اشور في بداية حكمه ٢٨٨٠٠ شخصاً من سكان بلاد حتي

---

(١) ساكز، هاري، قوة آشور، ص ٧٥.

(٢) دوسان، جورج، موقع مدينة كحت، ترجمة ابو الفرج العش، الحوليات السورية، م١١–١٢، ١٩٦١–١٩٦٢، ص ٢١٣. ويعرف موقع مدينة كحت اليوم باسم (تل بري) ويقع على الضفة اليسرى لنهر جغجغ الى الشمال من تل براك بحوالي ٨ كم ونقبت من قبل البعثة الايطالية. انظر:–
ابو عساف، علي، اثار الممالك القديمة في سورية، ص ٥٦.

(٣) كلينغل، هورست، تأريخ سورية السياسي، ص ١٤١.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) ساكز، هاري، قوة آشور، ص ٧٩.

(٦) منصور، ماجدة حسو، الصلات الاشورية–الارامية، ص ٨١.

(٧) ساكز، هاري، قوة آشور، ص ٧٩.

(8) Grayson, A.K., ARI, I, No. 531.

(٩) حول المنجزات العسكرية لهذا الملك انظر:

من منطقة ما وراء الفرات (اي من شمال سوريا)، وهذا الامتداد الاشوري جعل حاكم كركميش يطلب العون بالحاح من (ابيرانو) حاكم اوغاريت، لكن تلك الحملة الاشورية لم تنافس النفوذ الحثي في البلاد السورية بشكل جدي[١]، ويبدو ان ذلك كان ضربا من ضروب اظهار القوة العسكرية الاشورية، لأن أي هجوم كبير من قبل توكلتي–نينورتا سيسيء الى العلاقات بينه وبين الحثيين[٢]. ولكن توكلتي ننورتا يخبرنا بانه فتح (ماري، خانة، رابيقوم) على الفرات وجبال الأخلامو (التي ربما قصد بها جبل بشري)[٣].

وفي آواخر عهد هذا الملك اندلعت ثورة داخلية في بلاد اشور اغتيل خلالها الملك، مما ادى الى اضطراب الاوضاع حيث دخلت البلاد بعدها بفترة من الفوضى والضعف انكمشت في ثنائها وتقلصت حدودها وقد دامت تلك الفترة قرناً واحداً (من حدود ١٢٠٨ الى ١١١٥ ق.م) وحكم فيها عدد من الملوك الضعفاء[٤] لم يتركوا لنا الا بعض النصوص حيث لم يكن لديهم ما يستحق التخليد[٥]. وحصل بعض التحسن والانتعاش في الاحوال في عهد آخر ملوك تلك الفترة وهو الملك اشور–ريش–ايشي والد تجلا ثبليزر الاول (١١١٥–١٠٧٧ ق.م) حيث ذكر لنا في احد نصوصه بانه

((دحر جموع الاخلامو الواسعة الأنتشار))[٦]

أحمد، كوزاد محمد، توكلتي ننورتا–منجزاته في ضوء الكتابات المسمارية المنشورة وغير المنشورة، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة بغداد، ١٩٩٣).

(١) كلينغل، هورست، تأريخ سورية السياسي، ص ١٤٢.

(٢) ساكز، هاري، قوة آشور، ص ٨٥.

(3) Luckenbill,D. D., ARAB, I, No. 166.

(٤) حكم بعد اغتيال توكلتي تنورتا الاول وحتى اعتلاء تجلاثبليزر الاول العرش الاشوري كل من:

اشور–نادن–ايلي (١٢٠٧–١٢٠٤ ق.م)

اشور–نيراري الثالث (١٢٠٣–١١٩٨ ق.م)

انليل–كودوري–اوصر (١١٩٧–١١٩٣ ق.م)

ننورتا–آبل–ايكور (١١٩٢–١١٨٠ ق.م)

اشور–دان–الأول (١١٧٩–١١٣٤ ق.م)

ننورتا–توكلتي–اشور

متكل–نسكو

اشور–ريش–ايشي (١١٣٣–١١١٦ ق.م).

(٥) سليمان، عامر، الجيش والسلاح، ج١، ص ٢٤٨.

(6) Luckenbill,D. D., ARAB, I, No 209.

ومع اعتلاء تجلا ثبليزر الاول العرش الاشوري جددت الدولة الاشورية قوتها[١] وانتقلت من موقف الدفاع الى الهجوم على كافة الجهات وخصوصاً في الغرب[٢] وقد سجل له التاريخ بانه كان اول ملك اشوري يصل الى اعالي الفرات بعد سقوط العاصمة الحثية (حاتوشاش) حيث تلقى عهد الولاء من آخر الحكام الحثيين في مدينة كركمبش واقام زعامة اشورية في الشمال السوري[٣]. تميز هذا العاهل بحملاته العسكرية المتلاحقة على القبائل الارامية لما كانت تشكله تلك القبائل من تهديد مباشر على الدولة الاشورية وممتلكاتها اذ انها ارادت فرض سيطرتها على دويلات الشمال السوري بعد انهيار الدولة الحثية مهددة بذلك النفوذ الاشوري في تلك المنطقة[٤]. يقول تجلا ثبليزر الاول بصدد حملاته على تلك المناطق:

((بمعونة اشور سيدي اخذت العربات والمقاتلين وتوجهت الى الصحراء، زحفت ضد الاخلامو الاراميين اعداء الاله اشور سيدي، زحفت من بلاد سوتو، الى مدينة كركميش في بلاد خاتي، في يوم واحد ذبحتهم واخذت غنائمهم، بقية جيوشهم خافت من اسلحة اشور وعبرت نهر الفرات، عبرت نهر الفرت ورائهم على الأكلاك وبواسطة القرب المنفوخة واستوليت على ستة من مدنهم عند سفوح جبل بشري، احرقت، هدمت، دمرت مدنهم وجلبت غنائمهم))[٥].

كما انه حارب الاراميين في مناطق تمركزهم في بعض مدن سفوح جبل بشري، ومن مدينة عنه في بلاد سوخي الى مدينة كركميش في بلاد خاتي (سوريا)[٦].

لقد تكررت تلك الحملات العسكرية على المدن الآرامية حيث يشير تجلاثبليزر الى ذلك في نصوصه فيقول:

((لقد عبرت الفرات ثماني وعشرين مرة... في تعقب الاراميين))[٧].

ونستشف من تكرار تلك الحملات بهذا العدد الذي ذكره هذا الملك في نصوصه بان الاراميين كانوا من اكثر اعداء الدولة الاشورية شراسة وقوة عسكرية وذلك لسرعة تحركهم وانسحابهم الى البادية ولم تكن السيطرة عليهم بالامر السهل، ومن هنا تتجلى المقدرة العسكرية لهذا الملك.

لم تقتصر حملات تجلاثبليزر الأول على ذلك بل انه قام بالدخول الى بلاد خانيكلبات لتمرد بعض المدن فيها، حيث اعلنت طاعتها وولائها واستلم الجزية السنوية منها[١]، ويمكن

---

(١) ساكز، هاري، قوة آشور، ص ٩١.

(٢) باقر، طه، مقدمة...، ج١، ص ٤٩٢.

(3) Gurney, O. R., The Hittites, second edition, (Great Britain, 1964), P. 42.

(٤) فيرا، موريس، الاشوريون، ص ٥٣.

(5) Grayson, A.K., ARI, II, No. 34.

(6) Luckenbill ARAB, I, No. 239.

(٧) ساكز، هاري، قوة آشور، ص ٩٥.

القول ان هذا العاهل قد فرض الهيمنة الاشورية الى ابعد من أي مكان كانت قد وصلته من أي وقت مضى ووصل الى لبنان حيث أرسل له فرعون مصر تمساحاً هدية[٢]. ومع كل المدن التي حدثنا تجلا ثبليزر الاول عن وصوله اليها، الا انه لم يرد ذكر مدينة اوغاريت حيث كان سقوطها مروعاً على يد القبائل المنحدرة من الشواطئ الشمالية للبحر المتوسط والبحر الاسود والتي قضت على الامبراطورية الحثية[٣].

لقد شكلت البلاد السورية أهمية اقتصادية كبيرة للدولة الاشورية في ذلك العهد حيث ان تجلاثبليزر حصل منها على الاخشاب التي اشتهرت بها واستفاد من تجارة المدن الفينيقية، كذلك فانه كان يصطاد في رحلاته بعض الحيوانات البحرية التي وردت في نصوصه باسم (ناخيرو) وهو نوع من الحيتان[٤]، اضافة لجلبه بعض الحيوانات البرية ومنها الثيران والفيلة التي كانت في مناطق نهر الخابور[٥]، وشملت جولاته بعض مدن الساحل الفينيقي مثل أرواد وسيميرا[٦] وجبيل وأرواد وصيدا حيث استلم الجزية منها[٧]، كما انه حدثنا في نصوصه عن قيامه باصطياد الاسود التي كانت تصادفه في جولاته الواسعة في المنطقة[٨]. ويمكن القول ان النفوذ الاشوري في البلاد السورية قد ادى الى السيطرة على الطرق التجارية الرئيسية في مناطق الفرات والخابور التي جلبت الرفاهية الاقتصادية للبلاد باعتبارها الدولة التي تربط ما بين الساحل البحري الفينيقي وموانيء شمالي سورية الى بلاد بابل، حيث ساعدت تلك الرفاهية تجلاثبليزر الأول على القيام باعمال عمرانية كثيرة في البلاد[٩].

---

(1) Grayson, A.K., ARI, II, No.32.

(٢) اوتس، جون، بابل تأريخ مصور، ص ١٦٢.

(٣) الجندي، عدنان، "رأس شمرا اوغاريت/المدينة السورية الخالدة"، الحوليات السورية، م ١١٠، ١٩٦٠، ص ٢١٠.

(٤) ساكز، هاري، عظمة بابل، ص ١٠٥.

(٥) روليج، ووهارتموت، كونه، "المسح الآثري لتلال الخابور الادنى لعام ١٩٧٥"، الحوليات السورية، م٢٧-٢٨، ١٩٧٧-١٩٧٨، ص ٣٢١.

(٦) دونان، موريس ونسيب، صليبي، "البحث عن سيميرا"، الحوليات السورية، م ٧، ١٩٥٧، ص ١٩٥. ويعتقد ان تل الكزل الواقع على الضفة اليمنى لنهر الأبرش وعلى بعد ٣.٥ كم من مصبه ضمن حدود محافظة طرطوس هو الموقع الحالي لأنقاض هذه المدينة. قد ورد اسم هذه المدينة في حوليات الامبراطورية المصرية ايضاً. انظر:-

Dounand, M., and others, "Fouilles de tell kazel", AAAS, 14, 1964, P. 1f.

(7) Luckenbill D.D., ARAB, I, No. 302.

(8) Grayson, A. K., ARI, II, No. 45.

(٩) ساكز، هاري، عظمة بابل، ص ١٠٦-١٠٧.

ان نجاح تجلاثبليزر الاول في ايقاف المد الارامي على الفرات قد حقق للأشوريين الأمن في المناطق الغربية والشمالية–الغربية من حدودها طيلة مدة حكمه(١)، ولكن هناك نص يعود الى السنوات الاخيرة من عهده او بعد ذلك بفترة قصيرة يشير الى حدوث مجاعة في بلاد اشور كان للآراميين دور فيها(٢)، ويرى بركمان ان هذا النص يعود الى عام ١٠٨١ ق. م وهي السنة الأخيرة من حكم الملك البابلي مردوخ–نادن–آخي (١٠٩٨–١٠٨١ ق.م) حيث يذكر النص:

((أكلت الناس لحم بعضها البعض))

وقد تزامن مع هذه الحالة السيئة لبلاد اشور اشتداد خطر الآراميين الذين سيطوا على بعض الطرق التجارية واخضعوا بعض المدن الاشورية وقاموا بسلبها ونهبها لغرض الحصول على الطعام مما اضطر الكثير من سكان تلك المدن الى تركها والهرب الى جبال كيروري(٣) لينقذوا حياتهم فنهب الآراميين ثروات الاشوريين المتكونة من ((ذهب وفضة))(٤).

لقد تفاقم خطر الاراميين من جديد بعد وفاة تجلاثبليزر الاول واعتلاء العرش ابنه اشارد–ابل–ايكور (١٠٧٦–١٠٧٥ق.م) من بعده، ولدينا نص عثر عليه في نينوى يعود الى عصر الملك آشور–بيل–كالا (١٠٧٤–١٠٥٧ ق.م) والذي يذكر فيه قيامه بعدة حملات ضدهم في منطقة عنه في ارض سوخي وحقق انتصاراً عليهم(٥).

ومن خلال استقراء النصوص التي جاء تنا من عهد هذا الملك يمكن القول ان الآراميين لم يعودا من الأقوام التي يمكن صد حشودها الرئيسة عبر نهر الفرات حيث بدأت قوتهم العسكرية تتصاعد واصبحت المشكلة الارامية مشكلة دائمية للدولة الاشورية(٦) بعد ان امتد نفوذهم الى بلاد بابل(٧). وهذا ما دفع الملك الاشوري الى عقد اتفاقية صداقة مع الملك البابلي مردوخ–شابك–زيري (١٠٨٠–١٠٦٨ ق.م)، غير ان هذه الاتفاقية لم يكتب لها تلاستمرار، فقد تم اغتصاب العرش البابلي من ملكه الشرعي من قبل المدعو (ادد–ابلا–ايدينا) (١٠٦٧–١٠٤٦

---

(١) ساكز، هاري،الحياة اليومية في العراق القديم (بلاد بابل وآشور)، ص ٤٤.

(2) Weidner, E., "The Second dynasty of Isin acording to a new king-list tablet", AFO, 17,1954,-56, P. 384.

(٣) يرى الاستاذ ساكز ان هذه الجبال تقع الى الشمال من مدينة اربيل الحالية باتجاه شقلاوة في المنطقة التي تسمى اليوم ((سهل حرير)). انظر:
Saggs, H. W. F.," The land of kirruri". IRAQ. 42, 1980,P. 79f.

(4) Brinkman, J. A., Apalitical History of post kassite, P. 387 ff.

(5) Millard, A. R., "Fragment of historical texts from Nineveh Middle Assyrian and later kings", IRAQ, 32, part 2 1970, P. 119.

(٦) ساكز، هاري، قوة اشور، ص ١٠١.

(٧) سومر، دوبونت، سومر، ١٩، ١٩٦٣، ص ١٠١.

ق.م) الذي تطلق عليه كتب الأخبار البابلية لقب (المغتصب الآرامي)، فاصبحت بلاد بابل تحت سيطرة القبائل الآرامية[١].

ان هذه الوضعية السياسية الجديدة حتمت على الملك الاشوري اشور-بيل-كالا ان يتعامل معها بواقعية وبطريقة دبلوماسية، فاعتراف بالملك الآرامي ملكاً على بلاد بابل واعتبره حليفاً جديداً له، وعزز تلك الدبلوماسية بزواجه من ابنته وبذلك فانه آمن وبشكل مؤقت الخطر الارامي على بلاده[٢].

ويخبرنا اشور-بيل-كالا في احد كتاباته عن وصوله الى بعض المدن الواقعة في الجهة الغربية لعل من أهمها دور كاتليمو[٣]، كذلك قام بجولات في بعض المدن الفينيقية مثل ارواد، وسجل وصوله الى جبال لبنان فيصف الثلوج التي كانت تغطي تلك الجبال، كما اخبرنا عن اصطياده لأنواع من الحيوانات البرية مثل الغزلان والايائل والعجول الوحشية اضافة الى الفيلة[٤].

وتحدثنا النصوص عن أزدياد خطر الاراميين واستيلائهم على الطرق التجارية مما ادى الى ضائقة اقتصادية وتدهور بالأوضاع الداخلية لبلاد اشور وكان من نتيجة ذلك حدوث بعض التمردات الداخلية[٥]. بعد وفاة اشور-بيل-كالا خلفه على العرش ابنه أريبا-ادد-الثاني الذي لم يحكم سوى سنة واحدة (١٠٥٦-١٠٥٥ ق.م) وأزيح من قبل عمه شمشي-ادد الرابع (١٠٥٤-١٠٥١ ق.م) الذي استولى على العرش الاشوري بمساندة من بلاد بابل[٦]. تعتبر هذه الفترة من التأريخ الاشوري من العهود المظلمة، سواء كان ذلك من ناحية قلة مصادرنا عنها، ام ناحية تعرض الاشوريين الى ضغط واندفاع كبيرين من قبل القبائل الآراميين[٧] وشهد القرن التالي حكم عدد من الملوك الذين اتسمت عهودهم بضعف الأرادة المركزية للبلاد[٨]، وتردنا اشارة من عهد شلمنصر الثاني (١٠٣١-١٠٢٠ ق.م) تخبرنا عن سيطرته على سهل مرج بن عامر في فلسطين وكان هذا السهل مفتاح وصوله الى ساحل البحر المتوسط والطرق المباشر للخطوط

(١) ساكز، هاري، قوة آشور، ص ١٠٣.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) كونه، هارتموت، "تقرير اولي عن حفريات تل الشيخ حمد (دور كاتليمو) موسم ١٩٨٦"، ترجمة خالد الأسعد، الحوليات السورية، م ٣٦-٣٧، ١٩٨٦-١٩٨٧، ص ٣٢١.

(4) Grayson, A. K. ARI,II,No. 248.

(٥) ساكز، هاري، عظمة بابل، ص ١٠٧.

(٦) ساكز، هاري، قوة آشور، ص ١٠٤.

(٧) باقر، طه، مقدمة..، ج١، ص ٤٩٢.

(٨) ساكز، هاري، قوة آشور، ص ١٠٤.

التجارية التي تربط دمشق وحوران بساحل ذلك البحر[1]. وتذكر الحوليات الاشورية التي جاءتنا من بعد هذه المرحلة التأريخية والتي تعود الى الملك اشورناصربال الثاني (٨٨٣–٨٥٩ ق.م) ان الاراميين تمكنوا من السيطرة على سينابو (Sinabu) وتيدو (Tidu) اللتين كانتا تحت سيطرة شلمنصر الثاني[2]، كذلك فقد تمكن الاراميين خلال حكم اشور–رابي الثاني (١٠١٠–٩٧٠ ق.م) من الاستيلاء على المستوطنات الاشورية في اواسط الفرات[3]، وربما يكون الملك الآرامي (حدد–عزر) ملك مملكة آرام–صوبا والذي يعاصر حكمه عهد الملك اشور–رابي الثاني هو الذي قام بهذا التحرك العسكري حيث يخبرنا العهد القديم عن توجهه الى نهر الفرات وبسط نفوذه هناك[4].

تستمر حالة بلاد اشور على ما هو عليه ولم يسجل ملوك هذه المرحلة أي اشارة تذكر حول تصديهم للآراميين حتى اعتلاء اشور–دان الثاني (٩٣٤–٩١٢ ق.م) العرش الاشوري حيث تصبح النصوص الملكية غنية وتؤشر لنا بداية عودة القوة الاشورية ثانية[5].

ويخبرنا هذا الملك انه قام بهجوم على الآراميين في المنطقة الشمالية الغربية من بلاد اشور[6]. ومن خلال الأعمال الأدارية والعسكرية[7] التي قام بها هذا العاهل يمكننا القول ان عهده يعتبر فاتحة لعصر جديد في تأريخ الدولة الآشورية وهو العصر الاشوري الحديث (٩١١–٦١٢ق. م) والذي يعتبر عصر السيطرة العسكرية وتكوين الامبراطورية.

واذا ما ذهبنا الى الدلائل الاثارية لتقصي الوجود الاشوري في هذا العصر في سوريا، فان ابرز ما يشير الى ذلك هو تل الشيخ حمد (درو كاتليمو) الواقع ٧٠ كم شمال شرق مركز مدينة دير الزور، حيث كشف في المنحدر الغربي لهذ التل عن بناء واسع مستطيل الشكل يحتوي على عدة غرف استخدمت للتخزين، وقد عثر في احد تلك الغرف على ٥٥٠ لوح طيني كتابي تعود الى عهد الملكين شلمنصر الاول وتوكلتي نينورتا الأول.

لقد ابانت تلك الالواح الطينية ان هذا الموقع كان مقراً لحاكم اشوري وكان يقيم معه من حين لآخر أحد موظفي البلاط الملكي الاشوري والذي كانت مهمته مراقبة ورعاية المصالح

---

(١) ألأحمد، سامي سعيد، موسوعة الموصل الحضارية، ص ١٩٦.

(2) Luckenbill, D. D. ARAB, I, No. 501.

(٣) ساكز، هاري، عظمة بابل، ص ١٠٨.

(٤) صموئيل الثاني، ٣:٨.

(٥) ساكز، هاري، قوة آشور، ص ١٠٥.

(٦) سومر، دوبونت، سومر، ١٩، ١٩٦٣، ص ١٠٦.

(٧) حول تلك الاعمال العسكرية انظر:

Weidner, E. F., “Die Annalen des konigs Assurdan II von Assyrien”, AFO, 3, 1926, P. 151f.

الاشورية التجارية في المنطقة[١]. وتوضح لنا تنقيبات البعثة الهولندية العاملة في موقع صبي ابيض منذ عام ١٩٨٦م الواقع في الجزء الشمالي من وادي البليخ في الجزيرة واستناداً الى نصين كتابيين تم العثور عليها الى ان هذا الموقع كان تحت الآدارة الاشورية في عهد الملكين شلمنصر الأول وتوكلتي نينورتا الأول[٢].

ومن عهد تجلاثبليزر الأول تم العثور في تل البديري (١٥ كم جنوب الحسكة) على انقاض لقصر ملكي مع مجموعة من الاسطوانات الفخارية المكتوبة وهي تمثل احجار اسس كانت توضع في اساسات البناء ويشير الحاكم التابع للحكم الاشوري الذي كتبها بانه وجد المدينة مهجورة ومهدمة واسوارها متصدعة، حيث قام ببنائها وجدد اسوارها وشيد قصراً فيها واعطى المدينة اسماً، وقد سماها باسم (كار اشور–نفس–ليشير)[٣] (Kar-Ashur-Naphs-Lishir)، وربما كان هذا هو اسم الحاكم الاشوري في تلك المدينة والمنصب من قبل تجلاثبليزر الاول، ثم يذكر في نهاية هذا النص تأريخ قيامه باكمال العمل باليوم والشهر والسنة[٤].

وأخيراً فقد تم العثور في موقعي شخم وجزر في فلسطين على عقدي بيع أرض مدونيين باللغة الأكدية ويعودان الى هذه المرحلة الزمنية التي شهدت وصول الاشوريين الى تاينك المنطقتين[٥].

---

(1) Kuhne, H., "Short account of the 13th excavation at tell sheikh Hamad 1992", Chronique Archeologique En Syrie, vol I,(Syria, 1992), P. 125f.

كونه، هارتموت، تل الشيخ حمد–دور كاتليمو، معرض الآثار السوري الاوربي، (دمشق، ١٩٩٦)، ص ٩٧–٩٨.

(2) Akkermans,P. "Excavations at tell sabi Abyad, northern Syria, Assyriologique, Internatiionale Recontre, 36, vol. 2. (Chent, 1989), P. 40f.

(٣) هناك تسمية اخرى لهذه المدينة وهي (دور أشور–كتي–ليشير). انظر:–

بوناتز، دومينيك وأخرون، الأنهار والبوادي، ص ١١٣.

(٤) بفيلستر، بيتر، اضواء جديدة على تأريخ وآثار بلاد الشام، ص ١٠٠.

(٥) الأحمد، سامي سعيد وجمال، رشيد احمد، تاريخ الشرق القديم، ص ٣١٦.

المبحث الاول
العصر الاشوري الحديث
(٩١١-٦١٢ ق.م)

اصبحت الدولة الاشورية في هذا العصر في مركز الصدارة بين دول وممالك الشرق القديم، سواء من حيث الازدهار الحضاري والاقتصادي او القوة العسكرية التي برز تأثيرها على الدور السياسي الذي لعبته في المنطقة باسرها[١]. وبسبب تغاير طبيعة الاحداث التأريخية وتطور الدولة الاشورية في هذا العصر فقد دأب الباحثون على تقسيمه الى دورين متميزين، قامت في كل منهما امبراطورية كبرى، هما الامبراطورية الاولى التي وضع اسسها ادد-نيراري الثاني (٩١١-٨٩١ ق.م) وحكم فيها تسعة ملوك، فيما شغلت الامبراطورية الثانية البقية من التاريخ الاشوري اي من عام ٧٤٥ ق.م الى ٦١٢ ق.م واشهر من حكم فيها ملوك السلالة السرجونية[٢].

نشأت المشاكل والصعوبات القاسية التي تعرض لها الاشوريون في هذا العصر عن وجود حشد كبير من الدويلات الارامية في بلاد الشام واعالي ما بين النهرين يضاف الى ذلك ما احدثته القبائل الكلدية الآرامية في بلاد بابل من وضع سياسي غير مستقر في داخل البلاد طوال عصر الامبراطورية الاشورية الثانية، ويبدو ان الاراميين قد أخذو على عاتقهم مسؤولية مقاومة الدولة الاشورية في داخل البلاد وخارجها وهي المسؤولية التي اضطلع بها الحثيون والكاشيون في العصر الاشوري الوسيط[٣].

ويمكن القول ان النزاع ما بين الاشوريين والآراميين قد انتقل في هذا العصر الى بلاد الشام اذ اسس الاراميون دويلات مهمة قاست من حملات الاشوريين اشد الضغط مما كان من الاسباب المهمة في عدم تمكن الآراميين من انشاء دولة كبرى معظمة في بلاد الشام[٤]. لقد تكررت الحملات الاشورية على تلك البلاد وخصوصاً على مناطق الجبال اللبنانية منها حيث كان يتوفر الخشب وهو المادة الرئيسية لأغراض البناء وبخاصة بناء القصور والمعابد التي اكثر الاشوريين من تشييدها مثلما اكثروا من تعمير المدن، كذلك كانوا يطلبون بعض الصناعات المشهورة في بلاد الشام ومنها صناعة السفن والقوارب وصناعة الأثاث الخشبي ومنه ما جاء مطعماً بالعاج فقد كان الصناع الفينيقيون من اشهر الفنانين في الحفر على العاج وتؤكد لنا كثرة

---

(١) سليمان، عامر، الجيش والسلاح ، ج١، ص ٢٥٣.

(٢) باقر، طه، مقدمة...، ج١، ص٤٩٩.

(٣) فرحان، وليد محمد صالح، العلاقات السياسية للدولة الآشورية، ص ١٢٠.

(٤) باقر، طه، مقدمة...، ج ٢، ص ٢٧٠.

القطع العاجية المكتشفة في كالخ (نمرود) والتي نجد قسماً منها في القاعات الاشورية من المتحف العراقي على مدى استفادة الاشوريين من تجارتهم الخارجية مع سوريا سواء في جلب هذه الصناعات او جلب العمال والمادة الاولية منها ثم صناعتها في المدن الاشورية[١].

لهذا فقد كان جل اهتمام الملوك الاشوريين في هذه المرحلة كسر الطوق الارامي وابعاد خطرهم من بلاد آشور ومطاردتهم ودفعهم باتجاه الاراضي السورية للسيطرة على معاقلهم[٢] وكان من نتيجة هذا الامتداد الاشوري الى تلك المناطق ان احتكوا بمصالح مصر التي اصبحت احد اعداء الدولة الاشورية[٣] فقد نشأ صراع وتنافس بينهما تطور في المراحل اللاحقة من هذا العصر باتجاه فتح مصر نفسها في عصر السلالة السرجونية.

ان تألق الاشوريين في هذا العصر يرجع لعدة اسباب منها ان الدول الاخرى في الشرق القديم انذاك كانت دولاً ضعيفة لا تضارع قوتهم المتعاظمة[٤]. فقد زالت الدولة الحثية من الوجود وزال تأثيرها السياسي والعسكري منذ القرن الثاني عشر ق.م، أما الأمبراطورية المصرية فقد انهكتها الخلافات الداخلية والحروب الخارجية مع الدولة الحثية فانكمشت الى داخل حدودها، غير انها ظلت تلعب دور المحرض للدويلات السورية والمملكتين العبرانيتين الشمالية والجنوبية ضد النفوذ الاشوري الذي كان يهدد مصالحها التجارية. أما بلاد بابل فبعد انتهاء النفوذ الكاشي فيها تعاقب على حكمها عدد من السلالات المحلية الضعيفة التي لم تقوَ على مجابهة الدولة الاشورية حتى وقعت أخيراً تحت سيطرتها[٥]. يضاف الى ذلك انتشار استعمال معدن الحديد في الشرق القديم واستغلاله من قبل الاشوريين في تكوين اضخم جهاز حربي عرفه العالم القديم وتسليح جيشهم الكبير[٦] به. وسنأتي لاحقاً على ذكر ملوك هذا العصر حسب سنوات حكمهم مع ذكر حملاتهم العسكرية صوب البلاد السورية والتركيز على ابرز مخلفاتهم الحضارية فيها.

ادد-نيراري الثاني (٩١١-٨٩١ ق. م):-

---

(١) الهاشمي، رضا جواد، "التجارة"، حضارة العراق، ج١، (بغداد، ١٩٨٥)، ص ٢٠٥.

(٢) عبد الله، محمد صبحي، العلاقات العراقية المصرية في العصور القديمة، ص ١٢٥.

(٣) اوبنهايم، ليو، بلاد ما بين النهرين، ص ٢١١.

(٤) باقر، طه، مقدمة...، ج ١، ص ٥٠٠.

(٥) باقر، طه وآخرون، تاريخ العراق القديم، ج ١، ص ٢٢٩.

(٦) باقر، طه، مقدمة...، ج ١، ٥٠٠.

ابتدأت الدولة الاشورية في توسع مستمر في عهد هذا الملك حتى زوال الامبراطورية من الوجود[١] ويحدثنا هذا العاهل في حولياته انه قام في السنة الاولى من حكمه بتجهيز حملة ضد خانيكلبات ونازل ملكها المدعو (نور–ادد) وسجل انتصاراً عليه بعد ان غنم منه عدداً كبيراً من العربات وقد توالت حملات هذا العاهل على خانيكلبات حتى بلغت ست حملات كما اشار الى ذلك في نصوصه حيث استلم هدايا الطاعة والولاء من المدن التي مر بها واصبح سيداً عليها ومن بينها كوزانا التي كانت تحت سلطة (ابي–سلامو) حاكم بيت بحياتي ومدينة سيكانو التي تقع عند منابع نهر الخابور التي استلم منها العربات والخيول والذهب والفضة[٢].

كذلك استطاع ادد–نير اري الثاني ان يفرض على حكام المدن المحليين الاخرين على طول نهر الخابور الاعتراف بالسيادة الاشورية وتقديم هدايا الولاء له[٣]. ولعل من اهم تلك المدن مدينة (شاديكانو) وقطنه ودور كاتليمو وسرقو (ترقا) التي تقع على الضفة اليمنى لنهر الفرات ومدينة خندانو حيث جلب من تلك المدن غنائم كثيرة[٤]. ويبدو ان اكتساح ادد–نيراري الثاني لكل تلك المناطق جاء بعد نقض الاراميين في السنة الرابعة من حكمه العهد الذي قطعوه معه في حملاته السابقة بعدم خروجهم عن الولاء والطاعة للدولة الاشورية. وكان على رأس المتمردين المدعو موكورو (Mukuru) الذي كان هدفاً لتحرك الجيش الاشوري، اذ يرد في نص ادر_نيراري الثاني ما يأتي:

((وجهت عرباتي وجيشي ضد (قيدارا) التي يدعوها الاراميون (راتا مماتو) والتي في ايام تجلاثبليزر ابن اشور-ريش-ايشي ملك اشور الذي سبقني كان قد اخضع الاراميين فيها، وبشجاعة قلبي التي لم تكن عند ابائي الملوك هزمت المدن المحيطة بها فخاف الاراميون من اسلحتي الفتاكه وهجماتي القاسية فدخلت مدينة (راتاممـاتو) وبكل شجاعة طردت المدعو (موكورو) من قصره بعد ان جمع ممتلكاته واحجاره الكريمة الغالية وعرباته وخيوله وزوجاته وابناءه وبناته ووضعها امامي وقمت بتكبيله واخوته بقيود من نحاس وجلبتهم الى مدينة اشور))[٥]

ولتأكيد سطوته على المنطقة فقد نصب ادد–نيراري الثاني حاكماً عسكريا اشوريا في نصيبين وهو (اشور–دين–امور) ليكون حاكماً على المنطقة[٦]. ولعل من الانجازات العسكرية المهمة لهذا العاهل انه اعاد بناء مدينة ابقو (تل ابو ماريا) (الى الغرب من نينوى بحوالي ٢٥ كم) والتي كان الاراميون قد سيطروا عليها في فترة الضعف التي مرت بها الدولة الاشورية في

---

(١) فيبرا، موريس، الاشوريون، ص ٥٥.

(2) Grayson, A. K. ARI, I, No. 428, 429, 433.

(٣) ساكز، هاري، عظمة بابل، ص ١٠٩.

(4) Grayson, A. K. ARI, I, No. 434.

(5) Luckenbill, D.D. ARAB, I, No. 366.

(6) ibid, No. 368.

العصر الاشوري الوسيط فجعل من تلك المدينة حصناً وقاعدة عسكرية لحملاته صوب الجبهة الغربية[١].

لقد حصل ادد–نيراري الثاني من تلك الحملات على كميات كبيرة من المعادن فقد قدمت مدينة ماري لوحدها خمسة الاف تالنت[٢] من الحديد والفين من الفضة والفاً من النحاس وثلاثة الاف قطعة من النسيج الملون بعدة الوان[٣] وهذا يؤشر لنا ازدهاراً اقتصادياً قد حصل للدولة الاشورية في عهد هذا العاهل.

توكلتي ننورتا الثاني (٨٩٠–٨٨٤ ق.م):

تسنم هذا الملك العرش خلفاً لوالده ادد–نيراري الثاني وسجل لنا نشاطه في المنطقة الغربية حيث سار على خطى ابيه. تشير نصوص هذا الملك الى تحركاته في تلك المنطقة مبتدأ من مدينة عنه صعوداً الى مدينة خندانو الواقعة على الضفة اليمنى من الفرات والتي استلم من حاكمها (آمي–ألابا) (Ami-Alaba) وقد عسكر على مشارف هذه المدينة وقام باصطياد الحيوانات البرية هناك[٤]. ثم تابع سيره باتجاه لاقي التي قدمت له هدايا الطاعة والولاء بعد أن استلم هدايا مدينة حماه ثم يستمر في مسيرته ليدخل مدينة سرقو التي قدمت له ايضاً الهدايا العديدة[٥].

لقد وصل هذا العاهل في حملاته العسكرية الى مدينة صور التابعة لبيت خالوبي اذ قدمت له هدايا الولاء بعد ان عبر مدن اوسالا ودور–كاتليمو وقطنه وشاديكانو حتى نصيبين مقرباً من جبال المشكي وقام بضرب كل تلك المدن الارامية واحرق مزارعها وحمل معه غنائم كثيرة[٦].

وبعد كل هذه الانتصارات التي حققها توكلتي ننورتا الثاني في الجبهة الغربية فان حولياته تخبرنا عن حدوث تمرد ضده في صور اذ يقول بصدد ذلك:

---

(1) Smith, S. "The foundation of the Assyrian Empire", CAH, 3, (Cumbridge, 1971) P. 8.

(٢) التالنت: وحدة قياس وزن تساوي ٣٠ كغم انظر:
Kraus, F.R., At Babylonish Brife in umschrift und Uberstzung Archive Des Samas-hazir, (Berlin, 1968), P. 11.

(٣) الجادر، وليد، "العجلة وصناعة المعادن"، العراق في موكب الحضارة، ج١، بغداد، ١٩٨٨، ص ١٠٢.

(4) Grayson, A. K. ARI, I, No. 472.

(5) ibid, No. 473.

(6) ibid, No. 474,475,476.

((وصلني تقرير يقول ان مدينة صور التي تعود الى بيت خالوبي قد اعلنت العصيان وانهم قاموا بقتل (خمتايا) حاكمهم وعينوا (اخي-ابابا) العديم الاصل والذي جلبوه من بيت-اديني واعتبروه ملكاً لهم))(١)

ازاء هذا الموقف تحرك العاهل الاشوري صوب تلك المدينة وقام بدخولها والقى القبض على الحاكم المعين (أخي–ابابا) الذي اقتيد الى بلاد اشور اذ لقي نهايته فيها وتمت معاقبة المتمردين وتعيين (أزي–ايلي) على صور، فيما حمل العاهل الاشوري معه عند عودته الى بلاده هدايا كثيرة وسجل انتصاره هذا على مسلة حجرية كتب عليها عبارات المجد والعظمة(٢).

ومن خلال ما تم تقديمه من هدايا متنوعه من قبل القبائل الارامية الى العاهل الاشوري فان ذلك يشير الى ثرائها والى نشاطها التجاري المتميز، فالى جانب الذهب والفضة والبرونز والقصدير ضمت تلك الهدايا المر (myrrh) الذي كان يجلب من الجزيرة العربية والجمال التي تدلل على علاقات تجارية مع الجزيرة العربية والاثاث المطعم بالعاج والذي كان علامة واضحة على ثراء تلك القبائل اذ كان يصنع من قبل عمال سوريين والمنسوجات والحديد من كليكيا والماشية والاغنام والحمير والاوز والحبوب(٣).

ومن الاثار المهمة التي خلفها لنا توكلتي–ننورتا الثاني في سوريا والتي تبرهن على التواجد الاشوري في المنطقة نذكر اللوح الكتابي الذي عثر عليه في تل عشارة في الفرات الاوسط (محافظة دير الزور) اذ خلد فيه انتصاراته على الاراميين ويذكر فيه المناطق التي مر بها مبتدأ من اشور ثم دور كوريكالزو وسبار صعوداً مع مجرى الفرات والخابور حيث اخضع كل المدن التي صادفته في مسيرته حتى وصل الى نصيبين وبلاد لاقي(٤).

ولابد لنا من الاشارة هنا الى ان الحملات العسكرية التي قام بها كل من ادد–نيراري الثاني وابنه توكلتي –ننورتا الثاني ووثقت في حولياتهم قد ساعدت على معرفة اسماء بعض التلول الآثارية المنتشرة في حوض الخابور. فقد استطاع كل من زايدمان (Zaydman) وهورن (Horen) من التوصل الى حقيقة ان المسافة بين تل وأخر تعادل مسيرة يوم واحد للجيش الاشوري من خلال متابعة مسيرته التي ذكرت في تلك الحوليات والتي نستشف منها ان الجيش

---

(1) Grayson, A. K. ARI, I, No. 547.

(2) ibid..

(٣) ساكز، هاري، قوة أشور، ص ١٠٨.

(٤) تورنة، س. ج، "لوح توكلتي ننورتا الثاني"، ترجمة صبحي الصواف، الحوليات السورية، م٢، ج٢، ١٩٥٢، ص ١٨٤–١٨٥.

كذلك انظر:

Cuterbock, H., "Anote on the stela of Tukulti- Ninurta II fonnd near tell-Ashara", JNES, vol. 16, No. 2, 1957, P. 123.

كان يأخذ قسطاً من الراحة بعد مسيرة يوم كامل، الا انه لم يتم التوصل حتى الان الى مطابقة اسماء كل تلك التلول استناداً الى الاسماء الواردة في الحوليات بصورة تامة[١].

اشور-ناصر بال الثاني (٨٨٣-٨٥٩ ق.م):-

في عهد هذا الملك تتجلى البراعة العسكرية التي تمتع بها من خلال النصوص العديدة التي تركها والتي توثق نشاطاته العسكرية التي تمتع بها من خلال النصوص العديدة التي تركها والتي توثق نشاطاته وتجعله بمصاف المؤسس الحقيقي للامبراطورية الاشورية[٢]. لقد ادرك هذا العاهل جيداً طبيعة الاقوام الارامية والخطورة الكبيرة التي تشكلها على كيان الدولة، كذلك تمكن من استيعاب تجارب الملوك الذين سبقوه في كيفية التعامل مع تلك الاقوام، كذلك استخدم اسلوب التدبير الكامل للقوات المعادية التي تثير اعمال الشغب والتمرد وتمتنع عن تقديم فروض الطاعة والولاء لبلاد اشور[٣]. وبهذه الطريقة تمكن اشورناصربال الثاني من التغلب على الدويلات الارامية الواحدة تلو الاخرى، لكنه تجنب الاصطدام بمملكة دمشق[٤] اثناء حملته على ساحل البحر المتوسط لمعرفته المسبقة بموقع المملكة القوي بين الدويلات الارامية، وبذلك فانه جنب جيشه خسائر كبيرة. وكان لأسلوب الاستخبارات (عيون الملك) ونقل المعلومات اليه في اثناء الحملات العسكرية دور مهم في معرفة مستجدات الاحداث مما يمكن معالجته في الوقت المناسب[٥].

تشير الدلائل التاريخية الى ان اول اصطدام لأشورناصربال الثاني مع الاراميين حصل عندما جاءته الاخبار اثناء اقامته في كوموخ (Kummuh) (بالقرب من طور عابدين) عن حدوث تمرد ضده في مدينة (سورو) التي كانت تابعة لبيت خالوبي حيث استبدل الحاكم المحلي المدعو خاماتاي (Hamatai) بحاكم جلبه المتمردون من بيت عديني[٦] ويدعى أخي-ابابا (Ahiababa) الذي (لا اب له)[٧]. ومما لاشك فيه هذا الحدث كان دافعاً على ارسال حملة عسكرية الى منطقة

---

(١) روليخ، ولفانج وهارتموت، كونه، الحوليات السورية، م ٢٧-٢٨، ١٩٧٧-١٩٧٨، ص ٣٢٢.

(٢) ساكز، هاري، قوة اشور، ص ١٠٩.

(٣) الراوي، شيبان ثابت، اشورناصر بال الثاني، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة بغداد، ١٩٨٦)، ص ٦٣.

(٤) حول هذه المملكة انظر:

زهدي، بشير، "مملكة دمشق الارامية"، الحوليات السورية، م ٨-٩، ١٩٥٨-١٩٥٩، ص ٧٥ وما بعدها.

(٥) منصور، ماجدة حسو، الصلات الاشورية الآرامية، ص ١٠١.

(٦) تقع جنوب كركميش وعاصمتها تل بارسيب (تل أحمر حالياً) انظر:-

ساكز، هاري، عظمة بابل، ص ١١٢.

(7) Luckenbill, D. D., ARAB. I, No. 443.

الخابور ومنطقة الفرات الأوسط حيث تسجل النصوص الاشورية النشاطات العسكرية المكثفة لهذا العاهل في المنطقة ما بين عامي ٨٧٨ و٨٧٥ ق.م(١).

لقد استطاع اشورناصربال الثاني من خلال نشاطاته العسكرية تلك ان يبسط نفوذه على العديد من المدن الارامية التي مربها في طريقه الى (سورو)(٢). وحين وصل الجيش الاشوري الى هذه المدينة قام بمحاصرتها وتصف لنا نصوص هذا الملك كيف ان الاعداء اضطروا، من فرط يأسهم الى ان يلقوا بانفسهم في مياه نهر الفرات لينجوا بحياتهم(٣) ويروي لنا اشورناصر بال الثاني في حولياته بان شيوخ المدينة ارتموا على قدميه يسألونه الصفح والعفو بقولهم:

((اذا شئت اقتلنا واذا شئت ابق على حياتنا، نفذ رغبة قلبك))(٤)

ولكن العاهل الاشوري عاقب المتمردين وغنم الكثير من ممتلكات معابد المدينة وقصر الحاكم المخلوع (أخي–ابابا) الذي اقتيد اسيراً الى نينوى وتم تعيين (ازي–ايلو) (Azi-ilu) حاكماً على المدينة(٥). ثم انه تسلم هدايا الولاء من اخوني حاكم بين عديني، وعبر نهر الفرات الذي كان في حالة فيضان ووصل الى منطقة كركميش واستلم هدايا الولاء من حاكمها سنغارا (Sangara)(٦) ثم جاءه كل حكام المدن المجاورة ليعلنوا خضوعهم وولائهم مندهشون من الانتصارات العسكرية التي حققها(٧).

وتقدم لنا الحوليات الاشورية تفاصيل غزيرة عن تلك الحملة التي وصل فيها العاهل الاشوري سهل انطاكيه عبر جبال الاورنتس(٨) بعد ان ضم خزازو (اعزاز الحالية في حلب) والتي كان يحكمها لوبارنا (Lubarna) وعبر نهر ابري Apre (عفرين)(٩) ووصل الى مدينة

ويقصد بهذا التعبير الانتقاص والازدراء من الحاكم الجديد.

(١) كلينغل، هورست، تاريخ سورية السياسي، ص ٢١٦.

(٢) تقع على نهر الخابور الى الشمال من واحة بسيسرة التي فيها خرائب قرقيسيا القديمة الواقعة عند ملتقى الخابور بالفرات. انظر:

باقر، طه، المرشد الى موطن الاثار والحضارة، المرحلة الاولى، (بغداد، ١٩٦٢)، ص١٥.

(3) Grayson, A. K. ARI, I, No. 577.

(4) Luckenbill, D. D., ARAB. I, No.443.

(5) ibid.

(٦) لقد فرض اشورناصربال الثاني على سنغارا تقديم هدايا من بينها اقمشة ذات لون ارجواني واحمر حيث عرف عن الاشوريين تعلقهم بهذين اللونين: انظر

الجادر، وليد، الحرف والصناعات اليدوية في العصر الاشوري المتأخر، (بغداد، ١٩٧٢)، ص ٦٨.

(٧) كلينغل، هورست، تاريخ سورية السياسي، ص ٢١٧.

(٨) رو، جورج، العراق القديم، ص ٣٩٠.

(٩) يقع وادي عفرين حاليا شمال جبل سمعان مباشرة على بعد ٥٠ كم تقريبا شمالي غرب حلب. انظر:–

كونولوا (Kunulua) التي تضم القصر الملكي للوبارنا الذي استسلم له ودفع هدايا الطاعة، ثم عبر نهر ارانتو Arantu (العاصي) وقام باحراق عدة مدن واقعة في بلاد لوخوتي وجلب الكثير من الاشوريين واسكنهم في مدينة كونولوا(١).

كانت الخطوة التالية للعاهل الاشوري هي سفوح جبال لبنان حيث وصل الى البحر المتوسط وغسل اسلحته فيه واستلم هدايا الولاء من ملوك مدن الساحل صور وصيدا وجبيل وارواد وحمل الاخشاب معه من جبال الامانوس مع نوع من الاشجار الجبلية المسمى (المخرو) عند عودته الى بلاد اشور(٢) بعد ان اقام له نصباً تذكارياً يخلد انتصاره هذا في جبال الامانوس. وهناك نقش آخر له على المسلة الصفراء يذكر فيه مبعوثين من المدن السورية ومن بينها اونقي(٣) وحتي وصور وصيدا الذين شاركوا في المأدبة التي اقامها بمناسبة اكمال الأبنية الجديدة في كالح وهذه دلالة على انه تمتع بعلاقة سلمية مع تلك المدن التي كانت تدفع له هدايا الطاعة والولاء، وهكذا فقد بسط اشورناصربال الثاني النفوذ الاشوري على شمال سورية وساحل البحر المتوسط(٤) حيث لم يسبقه في الوصل الى هذا الساحل سوى تجلاثبليزر الاول(٥).

ان من اهم الانجازات التي اقترنت باسم اشورناصر بال الثاني هو نجاحه في تاسيس مراكز اشورية ستراتيجية في مناطق خارج السيطرة الاشورية المباشرة ولكنها كانت تؤدي فروض الطاعة والولاء، ولعل من اهم تلك المراكز (كار–اشورناصربال) و(نابارتي–اشور) على الفرات اسفل بيت عديني واريبو في وادي أورنتس وقد حققت تلك المراكز للآشوريين نفوذاً سياسياً ونشاطاً تجارياً متميزاً(٦) امتد الى عهد الملوك الذين خلفوه في الحكم لتحقيق انجازات اعظم فازدادت الدولة الاشورية قوة وجبروتاً(٧).

شلمنصر الثالث (٨٥٩–٨٢٤ ق.م):–

Surenhagen, D., "Tell Gindaris and the western Afrin valley, AAAS, vol. 43, 1999, P. 160.

ويعتقد الباحثين ان تل جندريس الواقع على بعد ٥كم من الضفة الغربية لنهر عفرين هو موقع المدينة القديمة كونولوا التي وردت اسمها في النصوص الاشورية. انظر:

Surenhagen, D., AAAS, 43, 1999, P. 160.

(١) كلينغل، هورست، تاريخ سورية السياسي، ص ٢١٧.

(2) Grayson, A. K. ARI, I, No.586.

(٣) نشأت هذه الدويلة في منطقة وادي العاصي وعرفت في الكتابات الارامية باسم (عُمُق) ثم قامت محلها دويلة حثية باسم (باتن) او (خاتن) أو (خاتينا) انظر: RLA, 4,1972, P.160.

(٤) كلينغل، هورست، تاريخ سورية السياسي، ص٢١٨.

(5) Gurney, O.R., Hittites, P. 42.

(6) Liverani, M., "The growth of the Assyrian Empire in the Habur Euphreates area, a new paradigm ", unpuplished report, P P. 4-5.

(٧) رو، جورج، العراق القديم، ص ٣٩٠.

واصل هذا الملك سياسة ابيه ذات النزعة الامبراطورية والنفوذ القوي[١] فكرس السنوات الاولى من حكمه لتقوية النفوذ الاشوري في شمال سوريا ولم يلاقِ في حملته التي شنها في السنة الاولى على ساحل البحر المتوسط أي مقاومة تذكر[٢]، وتركزت جهوده في تلك الحملة على بيت عديني حيث هزم حاكمهم (أخونو) وتم الاستيلاء على العديد من مدنهم ثم عبر الجيش الاشوري نهر الفرات الذي كان في ذروة فيضانه[٣] ليظهر في مدينة جورجوم فاعلن حاكمها الولاء والخضوع[٤].

واجه الملك شلمنصر الثالث حلفاً عسكرياً وقف ضده وتكون هذا الحلف من بعض حكام المقاطعات الارامية ومنهم حيانو حاكم شمأل وسبالومي حاكم بتين/اونقي وأخوني حاكم بيت عديني وسنغارا حاكم كركميش، ولكن العاهل الاشوري تمكن من دحر هذا الحلف وايقاع الهزيمة باطرافه واخذ الكثير من الغنائم، ثم دخل الى منطقة الامانوس وعند سفوح جبالها اقام نصباً تذكارياً لتخليد انتصاراته على اعدائه[٥]. وفي هذا الأثناء جاءته الاخبار عن قيام بعض الحكام المحليين بتحريض سبالولمي حاكم اونقي للتمرد ضد الحكم الاشوري عندها عبر شلمنصر الثالث نهر العاصي ليدخل منطقة اونقي ويسجل انتصاراً على حاكمها المتمرد[٦]. ثم انه استلم هدايا الولاء من حكام ساحل البحر وجلب معه اخشاب اشجار الارز والسرو واقام نصباً آخر له في المنطقة[٧]، وفي طريق عودته الى بلاد فتح شلمنصر عدة مدن تابعة لمقاطعة اونقي من بينها خزازو (اعزاز حالياً) واستسلم هدايا الولاء من حاكم بيت اجوشي أرامي (Arame)[٨]. كانت هذه الحملة التي استغرقت السنة الاولى من حكمه باكملها ذات أهمية للعمليات العسكرية الاشورية المستقبلية في سوريا بعد ان ضعفت مقاومة الدويلات الأرامية بشكل واضح[٩].

في سنة ٨٧٥ ق.م زحف شلمنصر الثالث من جديد صوب الجبهة الغربية فاستولى على المدن التابعة لأخوني ملك بيت عديني وعبر نهر الفرات ليفتح دابيغو وسزابي التي كانت معقلاً

---

(١) فييرا، موريس، الاشوريون، ص ٥٦.

(٢) ساكز، هاري، عظمة بابل، ص ١١٤.

(3) Grayson, A. K. Assyrian Rulers of Early First Millennium B. C., vol II 858-745, B. C.,(Torento, 1996), P. P. 16-41.

(4) ibid P. 16.

(5) ibid P.P. 16-17.

(6) ibid, P.P. 16-17-51.

(7) ibid, P. 17.

(8) Luckenbill, D.D. ARAB, I. No. 600..

(٩) كلينغل، هورست، تاريخ سورية السياسي، ص ٢١٩.

لسنغارا ملك كركميش واستلم هدايا الولاء من شمأل (زنجرلي الآن) وبيت اجوشي وكركميش وكوموخ[١].

واشارت لنا السنة الثالثة من حكمه وهي السنة المؤرخة باسم الموظف الاشوري الكبير (اشور–بيلا–كائن) عن احتلال العاهل الاشوري تل بارسيب معقل بيت عديني على الفرات وعدة مدن ارامية اخرى ومنها أكيلو، تابيكو، روجوليتو حيث قام بابدال اسمائها الى اسماء اشورية فاصبحت تل بارسيب (كار–شلمنصر)[٢]، اليكو (اسبات–لاكوتو)، تابيكو (نيتا–اشور) وروجوليتو سميت (قبيت–اشور)[٣]. وسجلت هذه الحملة هروب اخوني حاكم بارسب الى الجانب الغربي من نهر الفرات وتم اسكان بعض الاشوريين في مدينة تقع على نهر ساجورا في الضفة الاخرى لنهر الفرات وعرفها الاشوريين باسم أنا–اشور–اوتر–اصبت (Ana-Ashur-uter-asbat) وكانت تعرف من قبل السكان المحليين باسم بترو (Pitru)، كذلك تم استيطان بعض الجماعات الاشورية في مدينة موتكينو الواقعة على ضفة الفرات ايضاً وكان قد بناها تجلاثبليزر الأول (١١١٥–١٠٧٧ ق.م) وانتزعت من قبل الاراميين في عهد اشور–رابي–الثاني (١٠١٣–٩٧٣ ق.م) لتعود الى السيادة الاشوري في عهد شلمنصر الثالث[٤].

لقد اصبحت هاتان المدينتان معقلين مهمين من المعاقل الاشورية في المنطقة بسبب موقعيهما الستراتيجيين على معابر نهر الفرات[٥].

في سنة ٨٥٥ ق.م عاد آخوني حاكم بيت عديني ليثير الفتن واعلن تمرده ضد الحكم الاشوري وكان ذلك دافعاً لشلمنصر الثالث لمعاودة نشاطه العسكري في سورية حيث لاحق آخوني الى جبل (شيتا مرات) الواقع على الفرات (شمال بيت عديني وربما جبل عارودة الحالي) وقد اقتيد آخوني اسيراً مع قواته وتم نقله الى بلاد اشور ليتلقى عقابه هناك، فيما حمل العاهل الاشوري غنائم كثيرة معه[٦].

---

(1) Grayson, A. K., Assyian Rulers…. , P. 17.

(٢) من الجدير بالاشارة هنا الى ان شلمنصر قد عين على هذه المدينة المهمة عدة حكام اشوريين ومن اشهرهم (نينورتا–ناصر) الذي كان مولعاً بالعمران وتوسيع المدينة والاهتمام بها وبالمدن الاخرى التابعة له ومنها حران (صرين الآن)، خداتو (ارسلان طاش الان) والمدينتان الان ضمن الحدود التركية. انظر:

ابو عساف، علي، اثار الممالك القديمة في سورية، ص ٤٦٧.

(3) Grayson, A. K., Assyian Rulers…. , P. 17.

(4) ibid.

(٥) كلينغل، هورست، تاريخ سورية السياسي، ص ٢٢٠.

(٦) كلينغل، هورست، المصدر نفسه، ص ٢٢٠.

اثارت تلك الانتصارات المتلاحقة التي حققها شلمنصر في شمال سوريا وخاصة على مملكة عديني القوية قلق الدويلات الجنوبية والساحل الفينيقي وهذا ما جعلها تدرك الاخطار التي ستتعرض لها مما حملها على نبذ خلافاتها مع بعضها وخاصة تلك التي كانت بين ملك دمشق حدد–عزر والملك العبري احاب فتكون حلفاً بقيادة ملكي دمشق وحماه لمواجهة الاخطار الاشورية[١].

ازار هذا الموقف بدأ شلمنصر في سنة ٨٥٣ ق.م حملة جديدة على البلاد السورية فبعد أن تلقى هدايا الطاعة والولاء من حكام الشمال السوري لمدن كركميش وبيت آجو شي وشمأل وبتين/ اونقي توجه الى مدينة حلب (خلمان) وقدم القرابين امام الهها ادد، ثم دخل المنطقة التي كانت تحت سلطة ارخوليني (Irhuleni) ملك حماه واستولى على عدة مدن فيها واحرق القصور الملكية الخاصة بها وجلب العديد من الاسرى والكثير من الغنائم[٢].

كان هذا الانتصاردافعاً للعاهل الاشوري بالتوجه الى (قرقر) على نهر العاصي للتصدي لحلف مكون من اثني عشر ملكاً بقيادة (حدد–عزر) (ادد–ادري المذكور في التوراة) ملك دمشق وارخوليني ملك حماة كما شعر حكام وسط سوريا وجنوبها في فلسطين وشرقي الاردن بالخطر المحدق بهم فوحدوا صفوفهم مع الحلف[٣]. ويصف لنا العاهل الاشوري منازلته تلك مع هذا الحلف بقوله:

((هدمت قرقر عاصمة (ارخوليني) وخربتها وحرقتها)).

ثم يستمر النص ليتحدث عن تلك الجثث التي ملأت نهر العاصي:

((وجعلتها مثل الجسر في وسط المعركة، استوليت على فرسانهم وعلى عرباتهم وخيولهم))[٤]

وعلى الرغم من ان شلمنصر قد اعطى تقريراً مفصلاً عن انتصاره في تلك المعركة الا ان هذا النصر لم يكن حاسماً حيث لم يذكر في نصوصه احتلال أي مدينة او توغل ابعد في داخل البلاد السورية، ويمكن القول ان شلمنصر لم يطأ التراب السوري لعدة سنوات بعد هذه المعركة وعلى ما يبدو فان النفوذ الاشوري قد شهد محدودية في مناطق الشمال السوري في السنوات التي اعقبت معركة قرقر[٥] بسبب انشغال شلمنصر بحملتين متتاليتين على بلاد بابل

---

(١) سومر، دوبونت، <u>سومر</u>، ١٩، ١٩٦٣، ص ١٠٩.

(2) Grayson, A. K., <u>Assryian Rulers….</u> , P. 23.

(٣) كلينغل، هورست، <u>تاريخ سورية السياسي</u>، ص ٢٢١.

(4) Grayson, A. K., <u>Assryrian Rulers….</u> , P. 23.

وحول احدث التقنيات ققي تل قرقر انظر:

Dornemann, R., "Tell Qarqur 1996, P. 81ff and Tell Qarqur", 1997, p. 153 f, In <u>chronique Archeologique En Syria,</u> vol 2, (Syria, 1998).

(٥) كلينغل، هورست، <u>تاريخ سورية السياسي</u>، ص ٢٢١.

بعد قيام تمرد فيها ضد الملك البابلي مردوخ-زاكر-شومي الأول والذي كان موالياً للأشوريين(١).
أما في بلاد الشام فقد عادت النزاعات بين مملكة دمشق والعبريين حيث وقفت المملكتان الشمالية والجنوبية ضد بن-حدد الثاني ملك دمشق وخاضتا حرباً ضده لم تحققا فيها أي نصر(٢).

سجل عام ٨٤٩ ق.م عودة لشلمنصر الى بلاد الشام عندما كرر حملاته العسكرية ضد تحالف جديد قادته مرة ثانية كل من دمشق وحماه مضافاً اليها اثني عشر ملكاً من ملوك الساحل وقد تمكن العاهل الاشوري ان يحقق انتصاراً غير حاسم على هذا الحلف(٣). اذ تشير حوليات السنة التالية (٨٤٨ ق.م) الى قيامه بمحاربة الحلف نفسه من جديد وقد فتح في طريق عودته اباراسو (Apparasu) وهي عاصمة أرامي حاكم بيت آجوشي واستلم هدايا الولاء من حاكم بيتين/اونقي وحمل معه اخشاب الارز من جبال الامانوس(٤).

تواصلت الحملات الاشورية في السنوات التالية على البلاد السورية ولكنها لم تحقق توسعاً يذكر في المنطقة حيث كان التحالف الآرامي قادراً على مواجهة تلك الحملات وصدها(٥).

ونستشف من قراءة العهد القديم ان الوضع السياسي في سوريا قد اختلف حيث اغتصب عرش دمشق الملك حزائيل خلفاً لـ (بن حدد)(٦) (Bin-Hadad) الذي بدأ سلسلة من الحروب ضد العبرانيين من اجل توسيع حدود مملكته(٧). وازاء هذا الوضع السياسي الجديد اصبح ارخوليني ملك حماة موالياً للآشوريين(٨).

لقد شجع هذا الوضع الجديد العاهل الاشوري على القيام بحملة ضد ملك دمشق في سنة ٨٤١ ق.م اذ عبر شلمنصر نهر الفرات ويصف حملته هذه بقوله:

((اجتزت الفرات للمرة السادسة عشرة، واذا بجزائيل ملك أرام (دمشق) ثقة منه بجيشه قد جند قواته لاعداد ضخمة واتخذ (سانيرو) (حرمون) الجبل القائم أمام جبال لبنان حصناً له فحاربته وانتصرت عليه وقتلت بالسلاح ٦٠٠٠ من جنوده، واخذت ١١٢١ من مركباته ٤٧٠ من خيله واستوليت على معسكره. فلاذ بالفرار لينجو بحياته، طاردته وحاصرته في مدينته الملكية دمشق... ودككت مدنه الكثيرة نهبتها واحرقتها بالنار وأخذت منها غنائم لا تحصى))(٩)

---

(1) Luckenbill, D.D. ARAB, I. No. 622-625.

(٢) الملوك الاول، ٢٢، ٢-٣٨.

(3) Luckenbill, D.D. ARAB, I. No. 651-652.

(٤) كلينغل، هورست، تاريخ سورية السياسي، ص ٢٢١.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٢١-٢٢٢.

(٦) ملوك ٢،٨: ١٥.

(٧) ملوك ٢، ٩: ١٠-٢٥.

(٨) كلينغل، هورست، تاريخ سورية السياسي، ص ٢٢٢.

(9) Luckenbill, D.D. ARAB, I. No. 672.

ثم يذكر النص ان العاهل الاشوري اقام نصبا في جبال بعالي–راسي (Baali-rasi) مقابل جزيرة صور وهو المكان الذي استلم فيه هدايا الولاء من حكام صيدا وصور والتي جلبت له على ظهر سفن عديدة لكثرتها وتنوعها[١].

وفي طريق عودة شلمنصر الى بلاد اشور اقام نصبا ملكياً له في جبال لبنان الى جانب نصب تجلاثبليزر الأول، ولكن بقيت مدينة دمشق محافظة على استقلالها وعاد حزائيل الى حكمها[٢]. ومن الملاحظ ان دمشق قد واجهت العاهل الاشوري بمفردها ولم يساعدها في ذلك أي طرف من اطراف الحلف الذي كانت تتزعمه، ولعل لذلك علاقة بطريقة وصول حزائيل الى العرش الدمشقي والذي كان عن طريق الاغتصاب مما حدا بحلفاء دمشق السابقين للتخلي عنها[٣].

كرس شلمنصر الثالث جهوده العسكرية خلال سنة حكمه الحادية والعشرين (٨٣٨ ق.م) من اجل ضم مملكة دمشق الى السيادة الاشورية ونجح في احتلال اربع مدن تابعة لها واستلم هدايا الولاء من حكام صور وصيدا وجبيل، ولكن مدينة دمشق لم تستسلم ويبدو ان العاهل الاشوري قد توقف عن شن هجمات اخرى عليها[٤]. فيما ركز جهوده في عامي ٨٣٤–٨٣٣ بحملة على قوئي (كيليكيا) واستولى على المدينة الملكية لأرامي حاكم بيت اجوشي وجعلها معقلاً خاصاً به[٥] بينما اضطرته سنة حكمه الثامنة والعشرين (٨٣١ ق.م) الى التدخل في بلاد باتن/اونقي اثر الصراعات الداخلية التي نشبت فيها والتي أدت الى مقتل الحاكم المحلي (لوبارنا الثاني) فارسل العاهل الاشوري قائده ديان اشور الذي سار الى كونالوا وقتل مغتصب العرش سوري (Surri) ونُصب ساسي (sasi) بدلاً عنه[٦] واقيم نصب لشلمنصر الثالث في معبد كونالو شاهدا على سيادة الاشوريين في المنطقة[٧].

أما ملك دمشق حزائيل فقد انتهز فرصة انشغال الملك الاشوري عنه فجدد بناء مملكته وضم اراضي جديدة لها على حساب العبريين.[٨] الذين قاسوا من شدة ضرباته المتلاحقة عليهم

---

(1) ibid.

(٢) كلينغل، هورست، تاريخ سورية السياسي، ص ٢٢٢.

(٣) منصور، ماجدة حسو، الصلات الاشورية الارامية، ص ١١٦.

(4) Luckenbill, D.D. ARAB, I. No. 578.

(٥) كلينغل، هورست، تاريخ سورية السياسي، ص ٢٢٣.

(٦) سومر، دوبونت، سومر، ١٩، ١٩٦٣، ص١١٢.

(٧) كلينغل، هورست، تاريخ سورية السياسي، ص ٢٢٣.

(٨) ملوك ٢، ١٠: ٣٢–٣٣.

والتي جعلتهم مثل التراب(١). وعلى العموم فقد كان هدف الحملات العسكرية التي قام بها كل من اشور ناصربال الثاني وشلمنصر الثالث هو تحقيق مكاسب تجارية من خلال نفوذهم في المنطقة ولم يكن هدفهم ضم الاراضي السورية وحكمها حكما مباشراً ، وعلى الرغم من نجاح تلك الحملات الا انها تكسر شوكة مملكة دمشق، قائدة التحالف الارامي بشكل نهائي(٢).

لقد خلد لنا شلمنصر الثالث اعماله العسكرية وانتصاراته المتلاحقة في الجبهة الغربية على عدة اعمال فنية ومنها المسلة السوداء والتي يظهر في الصف الخامس منها بعض الرجال من بلاد خاتي (سوريا) ومن ضمنهم حاكم اقليم انقى (العمق) قالباروندا يقدمون هدايا الولاء له(٣). وتؤكد ذلك الكتابة المدونه فوق المشهد الايسر لدكة العرش المكتشفة في موقع كالخ والتي جاء فيها ما نصه:

((تسلمت هدايا الولاء من قالباروندا صاحب اقليم انقي (العمق): فضة، ذهباً، قصديراً، برونزا، آنية برونزية، عاجاً، ابنوساً، خشب الارز، ملابساً زاهية الالوان، واقمشة من الكتان وخيول ملجمة))(٤)

فضلاً عن هذا فان تلك الانتصارات العسكرية في البلاد السورية قد خلدها شلمنصر في واحد من اهم اعماله الفنية الا وهي البوابة البرونزية التي اكتشفت في بلاوات (موقع المدينة الاشورية امكر–انليل القريبة من كالخ) اذ صور لنا على عدد من الاشرطة البرونزية التي كانت تغلف البوابة مشاهد تمثل استلامه هدايا الولاء من بعض المدن الفينيقية مثل صور وصيدا ومدن الشمال السوري مثل حماه وخزازو (اعزاز) وكركميش، كما نشاهد في بعض اشرطة هذه البوابة مشاهد حربية تصور الجيش الاشوري وهو يهاجم بعض المدن الارامية التي سجل عليها انتصاراته العسكرية(٥) ان من اهم الشواهد الاثارية التي تركها لنا شلمنصر في البلاد السورية هي المدينة التي بناها والمعروفة باسم (كار–شلمنصر) وتقع بقاياها الآن في منطقة بارسيب (تل احمر) الواقع على بعد ٢٠ كم جنوب كركميش(٦) وقد ابانت تنقيبات البعثة الالمانية التي عملت في الموقع على ان شكل المدينة نصف دائري وفي اعلى مكان فيها وجدت بقايا قصر، كما وجدت منحوتات تمثل اسدين كبيرين كانا يحرسان بوابات المدينة وقد نقشت على جسمي

---

(١) ملوك ٢، ١٣: ٧.

(٢) كلينغل، هورست، تاريخ سورية السياسي، ص ٢٢٣.

(٣) حنون، نائل، نصوص شلمنصر الثالث ومنحوتاته، مجلة جامعة القادسية، م ٥، العدد ٢، القادسية، ٢٠٠٠، ص ٢٨٥.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٨٧، وحول البوابة البرونزية انظر كذلك:– بارو، اندريه، بلاد اشور، ص ١٢٨.

(٥) حنون، نائل، مجلة جامعة القادسية، م ٥، العدد ٢، ص ٢٨٩ وما بعدها.

(6) Parpola, S., SAA, I, P. 197.

الاسدين نصاً كتابياً يعود الى القائد الاشوري (شمشي–ايلو) كما ذكر اسم المدينة[١].، بالاضافة الى ذلك فقد عثر في داخل المدينة على مسلتين تخلدان انتصارات الملك اسرحدون على مصر ومدن الساحل الفينيقي وهي الان محفوظة في متحف حلب[٢]، كما عثر في المدينة على مسلة تصور عشتار الهة الحرب وهي واقفة على أسد[٣].

لقد زينت الجدران الداخلية لقصر المدينة برسوم تمثل مشاهد لمراسيم ملكية وحملات عسكرية فضلاً عن مشاهد تقديم هدايا الطاعة والولاء للملك الاشوري وقادته الكبار[٤]، كما صورت تلك المشاهد بعض حاشية الملك الذين يقومون باداء واجباتهم في البلاط الملكي، فضلاُ عن مشاهد تمثل اجلاء اسرى الحروب مع الخيول والعربات اذ كانت الخيول تُألف جزءاً من الهدايا التي تدفعها بعض البلدان المفتوحة من قبل الاشوريين[٥] ويمثل اطول المشاهد المصورة في القصر حوالي ٧٠ قدم حيث يمثل المشهد الملك الاشوري جالساً على عرشه ويمسك بيده صولجان الحكم فيما يقف امامه قائد الجيش الاشوري (التارتان) مع اثنان من كبار الموظفين وهم يقومون بتقديم الوفود التي جاءت لمقابلة الملك[٦]. ومن المعروف ان الاشوريين قد حرصوا على تنفيذ مثل تلك المشاهد الأعلامية في قصورهم وذلك لأبراز قوتهم العسكرية والسياسية للوفود التي تأتي الى تلك القصور لتقديم الولاء السنوي لهم[٧]. ومن الواضح جداً ان مواضيع هذه الرسوم قد نفذت باسلوب النحت على الالواح الحجرية في قصور الملوك الاشوريين في كل من كالخ ونينوى وخرساباد خاصة موضوع جلوس الملك على العرش وقدوم الوافدين اليه وايضاً المخلوقات المركبة مثل الأسود والثيران[٨].

تشير الدلائل الاثارية الى انه اجريت على قصر كار شلمنصر بعض الترميمات اضافة الى رسم لوحات جدارية جديدة في عهد الملك اشوربانيبال، لهذا فان الرسوم الجدارية عند الموجودة في داخل القصر تعتبر واحدة من أهم مصادر دراسة فن الرسوم الجدارية عن الاشوريين لآنها نفذت بمستوى عالٍ وبعيدة عن التأثيرات المحلية لفنون بلاد الشام[٩] ففي كلتا

---

(١) شترومنغر، ايفا، "تل أحمر (برسيب كارشلمانصر)"، الاثار السورية، فينا، ١٩٨٥، ص١٦٧.

(٢) بارو، اندريه، بلاد اشور، ص ٩٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ٩٢.

(4) Strommenger, E., “detail of a wall painting Assyrian officer” , Ebla To Damascus, (Washington, 1985), P. 351.

(٥) بارو، اندريه، بلاد اشور، ص ١١٩.

(٦) بارو، اندريه، بلاد أشور، ص ١٢٠.

(٧) شترومنغر، ايفا، الاثار السورية، ص ١٦٧.

(٨) بارو، اندريه، بلاد اشور، ص ٥٢ وما بعدها.

(٩) باقر، طه، مقدمة...، ج١، ص ٥٠٦.

المرحلتين من تاريخ بناء القصر عمل فيه رسامون اشوريون يتمتعون بحس فني ممتاز واعمالهم اشورية التصميم والتنفيذ ولا يظهر عليها ادنى تاثير للفن المحلي(١).

شهد عهد شلمنصر الثالث، قبل وفاته ببضع سنوات، تمردات ونزاعات على السلطة تزعمها أحد ابناءه المدعو (أشور–دانن–ابلي)، وبالنظر الى شيخوخة شلمنصر في حينها فقد عهد الى ابنه الآخر شمشي–ادد الخامس (٨٢٣–٨١١ ق.م) بمحاربة هذا التمرد الذي دام حوالي اربعة سنوات توفي خلالها الملك الشيخ فاعتلى العرش من بعده شمشي–ادد الخامس وسببت تلك الحرب الداخلية ضعفاً في المملكة الاشورية(٢) شغلتها عن متابعة حملاتها العسكرية صوب الجبهة الغربية(٣)، فلم يأتينا من عهد شمشي–ادد الخامس أي نص يشير الى ذلك باستثناء نص واحد على شكل دلاية من الحجر الزرق وجدت في جبيل عليها كتابة تدل على انها تعود الى موظف تابع للملك الاشوري ومعظم سطور النص كانت عبارة عن تعاويذ دينية(٤).

<u>ادد–نيراري الثالث ٨١٠–٧٨٣ ق.م:</u>

كان هذا الملك قاصراً عند اعتلاءه العرش لهذا اصبحت امه الملكة (سمو–رمات) وصية عليه وحكمت نيابة عنه لمدة خمس سنوات(٥). وهناك اشارات الى انه كانت لهذه الملكة نشاطات حربية باتجاه الجبهة الغربية حيث تذكر لنا النصوص الاشورية انها عبرت نهر الفرات صحبة ابنها ادد–نيراري الثالث وحاربت حلفاً تزعمه حاكم مدينة ارباد مع ثمانية حكام أخرين معه وتمكنت من الاستيلاء على معسكرهم بعد ان هرب حاكم ارباد(٦)، وهذه دلالة على ان هذه الملكة لم تكن توجه ابنها في حكمه فقط بل انها كانت تقود معه الجيش في حملاته العسكرية.

بدأ ادد–نيراري الثالث بقيادة الجيش بنفسه في السنة الخامسة من اعتلاءه العرش وهناك عدة شواهد كتابية عثر عليها في مناطق متعددة من سورية مثل دور–كاتليمو (تل الشيخ حمد)(٧) ومسلة حجرية اكتشفت في سباعة جنوب جبل سنجار تشير الى نشاطاته العسكرية في المنطقة(٨).

---

(١) كلينغل، هورست، <u>تاريخ سورية السياسي</u>، ص ٢٢٣.

(٢) باقر، طه، <u>مقدمة...</u>، ج١، ص ٥٠٦.

(٣) كلينغل، هورست، <u>تاريخ سورية السياسي</u>، ص ٢٢٣.

(4) Grayson, A. K., <u>Assryian Rulers….</u> , P. 198.

(٥) باقر، طه، <u>مقدمة...</u>، ج١، ص ٥٠٧.

(6) Grayson, A. K., <u>Assryian Rulers….</u> , P. 204.

(7) Millard, A. R., and Tadmar. H., "Adad-Nirari III in Syria. Another stele fragment and the dates of his Campaigns" , <u>IRAQ</u> 35, part I, 1973, P. 57f.

(8) Grayson, A. K., <u>Assryian Rulers….</u> , P.206-207.

تركزت الحملات العسكرية لهذا الملك ما بين عامي ٨٠٥-٨٠٢ ق.م ضد مملكة ارباد التابعة لبيت اجوشي وضد مدينة خزازو (اعزاز الحالية) ومدينة بعالي وربما ضد مدن ساحل البحر المتوسط[١]، حيث عثر على لوح كتابي حجري في مدينة كالخ يذكر فيه بلاده حتى (شمال سوريا) وآمورو (وسط سورية) وبعض دويلات المدن الفينيقية مثل صور وصيدا اضافة الى بلاد سلالة عمري (اسرائيل) وأدوم وفلسطيا والتي كانت تدفع هدايا الولاء له[٢]، كما خاض هذا العاهل معركة ناجحة في بَقَرْ خوبوني (Beker-Khoboni) الواقعة في الجزء الغربي من بيت عديني شمال سوريا[٣].

ان من اهم الانجازات العسكرية التي حققها ادد-نيراري الثالث هو نجاحه في ضم مملكة دمشق القوية، اذ توجه اليها بعد وفاة ملكها بن حدد الثالث واستلام السلطة من قبل مرئي (Mari)[٤] الذي اعلن استسلامه وقدم هدايا الولاء للملك الاشوري وبذلك اصبحت سورية بكاملها في قبضة الاشوريين بعد ان خضعت دمشق لهم ولأول مرة[٥].

<u>بلاد اشور بعد وفاة ادد-نيراري الثالث:</u>

بعد وفاة ادد-نيراري الثالث مرت بلاد اشور بسنوات طويلة من الضعف امتدت قرابة الاربعين عاماً حكم فيها ثلاث ملوك كان اولهم. شلمنصر الرابع (٧٨٢-٧٧٢ ق.م) الذي خلف والده على العرش[٦] وأرسل حملة على جبال الامانوس في حدود عام ٧٧٥ ق.م واخرى ضد دمشق سنة ٧٧١ ق،م[٧] وهذ ما يؤكده نص كتابي منقوش على ظهر مسلة وجدت في قريةكزكاباندي جنوب تركية عثر عليه اثناء تشييد سد بازار ككدا والذي يخبرنا فيه عن حملة قادها أحد كبار قادة الجيش الاشوري المدعو شمشي-ايلو ضد حاكم دمشق خديانو (Hadianu)[٨]، ولكن لا توجد شواهد على قيادة الملك الاشوري معارك بنفسه[٩].

---

(١) ساكز، هاري، <u>جبروت اشور الذي كان</u>، ترجمة آحو يوسف، (دمشق، ١٩٩٥)، ص ١٢٠.

(٢) كلينغل، هورست، <u>تاريخ سورية السياسي</u>، ص ٢٢٤.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) يرى دوبونت سومر ان هذا الاسم عبارة عن لقب منحه المؤرخ الاشوري الى ملك دمشق برحدد بن حزائيل الذي ورد ذكره في العهد القديم بنهدد الثالث. انظر: سومر، دوبونت، <u>سومر</u>، ١٩، ١٩٦٣، ص ١١٨.

(٥) ساكز، هاري، <u>جبروت اشور الذي كان</u>، ص ١٢٢.

(٦) ساكز، هاري، <u>قوة اشور</u>، ص ١١٨.

(٧) سومز، دوبونت، <u>سومر</u>، ١٩، ١٩٦٣، ص ١١٩.

(8) Grayson, A. K., <u>Assryian Rulers….</u> , P. 239.

(٩) كلينغل، هورست، <u>تاريخ سورية السياسي</u>، ص ٢٢٥.

خلف شلمنصر الرابع في الحكم الملك اشور–دان الثالث (٧٧١–٧٥٥) الذي تميز عهده بتفشي وباء الطاعون واندلاع الاضطرابات في اشور وفي كوزانا[١]، الا انه شن حملتين صوب الجبهة الغربية ضد مدينة ختاريكا (Hatarikka)[٢] الواقعة على نهر العاصي في عامي ٧٦٥–٧٥٥ ق.م ولا توجد دلائل على توغله ابعد من ذلك[٣]. وفي عهد اشور–تيراري الخامس (٧٥٤–٧٤٥ ق.م) تضاعف انحطاط المملكة الاشورية، ولكن هذا الملك قام بحملة على ارباد عاصمة دويلة بيت آجوشي وكان يحكمها آنذاك ماتع–ايلو الذي استسلم بدون مقامة تذكر ففرض عليه العاهل الاشوري معاهدة تحالف[٤] استطاع بموجبها ان يلزم حاكم ارباد بوجوب الاشتراك في أي حرب يقوم بها ضد أي طرف آخر[٥]، ومن جانب آخر فقد عثر في (سفيرة) الواقعة على بعد ٢٦ كم جنوب شرقي حلب على ثلاث قطع من نُصُبُ عليها كتابات آرامية واهم قطعة منها حفظت لنا نص معاهدة رسمية اقامها شخص يدعى (بركعيا) وهو لقب اتخذه ساردوري ملك اورارطو ويعني بالارامية (ابن الجلالة او المبجل) بصفته سيد العالم الآرامي مع ماتع–ايلو حاكم ارباد[٦] ونستشف من هذا ان الممالك الآرامية كانت تتحالف مع بعضها عندما يلوح في الافق خطر يهددها.

ان هذه القوة المتزايدة للاراميين لم تدم طويلاً فقد قامت ثورة في كالخ اطاحت باشور–تيراري الخامس وانتهت بمقتله الذي اشر لنا نهاية لفترة الضعف التي مرت بها الدولة الاشورية وبداية للامبراطورية الاشورية الثانية (٧٤٥–٦١٢ ق.م) ليعتلي عرش الدولة الملك القوي تجلاثبليزر الثالث الذي عرف في المصادر البابلية وفي العهد القديم بلقب بولو (Pulu)[٧].

تجلاثبليزر الثالث (٧٤٤–٧٢٧ ق.م) وسياسته الجديدة:

احدث هذا الملك تغيير في العلاقات بين السلطة المركزية الاشورية والبلاد السورية حيث استبدل النهج الذي كان متبعاً والمتمثل بتكرار الحملات العسكرية السنوية واستلام هدايا الولاء

(١) رو، جورج، العراق القديم، ص ٤٠٦.

(٢) أحد ضواحي حماة. انظر:– Parpola, S., Toponyms, 1970, P. 156

(٣) كلينغل، هورست، تاريخ سورية السياسي، ص ٢٢٥.

(٤) حول نص تلك المعاهدة انظر: ANET, 1969, P. 659 ff.
Parpola, S., SAA., II, P. 8

(٥) سومير، اندريه دوبون، "ثلاث انصاب ارامية مصدرها السفيرة"، ترجمة عدنان النبي، الحوليات السورية، م١٠، ١٩٦٠، ص ٢٣٤–٢٣٦.

(٦) سومير، اندريه دوبون، الحوليات السورية، م١٠، ١٩٦٠،، ص ٢٤٨–٢٤٩.

(7) Brinkman, J. A. Apolitical History of post kassite Babylonia, P. 172.

من المدن والممالك السورية الى سياسة الفتح الكامل للمناطق ودمجها مع الامبراطورية الاشورية كمقاطعات يدير شؤونها موظفون اشوريون[١].

كانت أول خطوات تجلاثبليزر الثالث العسكرية في السنة الثالثة من حكمه عندما توجه الى اورارطو التي تحالفت مع ارباد (عاصمة دويلة بيت اجوشي) من قبل[٢] والتي كانت تسعى للسيطرة على منطقة الشمال السوري لضرب المصالح التجارية الاشورية فيها[٣] من خلال قيام ساردوري الثاني بعقد حلف مع بعض المدن السورية في المنطقة لمواجهة الاشوريين غير ان العاهل الاشوري تمكن من دحر ذلك الحلف عندما دخل بنفسه الى شمال سورية[٤] ثم قرر ان يحاصر ارباد نفسها لأنها تشكل بؤرة المقاومة الارامية في سوريا فحاصر المدينة مدة ثلاث سنين الى ان اعلنت استسلامها عام ٧٤٠ ق.م واصبحت مقاطعة تابعة للسيادة الاشورية[٥]. ثم جاءه ملوك وحكام عدد من المقاطعات السورية الى ارباد نفسها لتقديم هدايا الولاء ومنهم رصين ملك دمشق وحكام كوموخ وقوئي وكركميش وجرجوم وملك صور[٦].

لم تستقر الحال في بلاد الشام ففي عام ٧٣٨ ق.م قام حلف انضمت اليه ١٩ مقاطعة تابعة لحماة مع المدن المحيطة بها اضافة الى بعض مدن ساحل البحر المتوسط وكان هذا الحدث كافياً لتسيير حملة عسكرية كان من نتائجها الاستيلاء على مدينة كيلاني التي اصبحت مقاطعة اشورية[٧]، واجلى العاهل الاشوري بعض الاسرى واسكنهم في منطقة أونقي فيما سخر البعض منهم كايدي عاملة في مدن الساحل الفينيقي[٨]، بعدها تلقى هدايا الولاء من عدد كبير من الحكام الذين وردت اسماؤهم في حولياته ومن بينهم رصين ملك دمشق وحيرام ملك صور وزبيبة ملكة بلاد العرب[٩]. ويرد في العهد القديم امتداد نفوذه الى المملكة العبرية الشمالية (اسرائيل) التي قدمت له ولائها[١٠].

---

(١) كلينغل، هورست، تاريخ سورية السياسي، ص ٢٤٧.

(2) Postgate, J. N., “Inscription of Tiglath pileser at Mila Margi”, Sumer, 29, 1973, P.58.

(٣) قابلو، جباغ، "توسع اورارتو نحو شمال سورية في القرنين التاسع والثامن ق.م"، الحوليات السورية، م ٤٣، ١٩٩٩، ص ١٣٧.

(4) Postgate, J. N., Sumer, 29, 1973, P.58.

(5) Shea. W. H., “Menahem and Tiglath-Pileser III” , JNES, 37, No. 1, 1978, P. 45.

(6) Luckenbill, D. D., ARAB; I, No. 769.

(7) Ibid., No 770.

(8) Ibid., No 771.

(9) Ibid., No. 771.

(١٠) ملوك ٢، ١٥: ١٩.

بعد ان قضى تجلاثبليزر الثالث بضع سنوات يحارب اعداء الدولة الاشورية في الشمال والشرق كان عليه العودة من جديد الى البلاد السورية حيث تكون في جنوبها حلف بين ملك دمشق (رصين) وملك اسرائيل العبرانية بيكاح أو (فقح)[١].

وشهدت عام ٧٣٤ ق.م ذهاب العاهل الاشوري الى فلسطين وضم غزة التي فر حاكمها حنونو (Hanunu) الى مصر ثم ضم مدن الساحل الفينيقي الواقعة بين أرواد وصور حيث قدم له ملكها حيرام الثاني هدايا الطاعة والولاء[٢].

ان هذه الانتصارات الاشورية في بلاد الشام اجبرت احاز ملك المملكة الجنوبية في فلسطين الى تقديم كل ممتلكاته للعاهل الاشوري بعد ان ادرك خطورة الموقف على مملكته، بل انه طلب المساعدة من قبل تجلاثبليزر الثالث جراء تهديد رصين وحليفه فقح له بالهجوم عليه لعدم وقوفه معهم ضد الجيش الاشوري حيث ناشده بقوله:

((انا عبدك وابنك، اصعد وخلصني من يد ملك أرام ومن يد ملك العبريين القائمين علي))[٣]

استجاب العاهل الاشوري لنداء احاز وتمكن من الاستيلاء على بعض مدن المملكة الشمالية عندها ثار سكان السامرة على ملكهم وقتلوه ونصبوا مكانه (هوشع) الموالي للحكم الاشوري[٤]، في حين بقي رصين ملك دمشق وحده حيث تقدم تجلاثبليزر الثالث على مملكته في عام ٧٣٢ ق.م وقتله واخضع دمشق لسيادته، فيما قام احاز بتسليم المنطقة التي يحكمها الى الاشوريين الذين ابقوه كتابع لهم يدير المملكة الجنوبية التي تحولت الى منطقة اشورية[٥]. ثم اخضع فقح ومر بجلعاد وهكذا حررت شرق الاردن من ربقة احتلال المملكة الشمالية العبرية[٦].

تشير النصوص التاريخية الى ان الملك الارامي بانامو الثاني ملك سمأل كان موالياً للحكم الاشوري وقاتل مع جيشه الى جانب الاشوريين ضد مملكة دمشق الى ان لقي حتفه في المعركة وتم تكريمه باقامة نصب تذكاري له في الطريق الذي نقل جثمانه عبرها من دمشق الى بلاد اشور ومن ثم الى سمأل[٧] حيث اقيمت له مراسيم الدفن[١]، وقد بقيت هذه المملكة موالية للحكم الاشوري لاحقاً إذ تم تنصيب ابن الملك القتيل ملكاً عليها من قبل تجلاثبليزر الثالث[٢].

---

(١) باقر، طه، مقدمة...، ج٢، ص ٢٧٥.

(٢) كلينغل، هورست، تاريخ سورية السياسي، ص ٢٤٩.

(٣) ملوك ٢، ١٦: ٧-٨.

(٤) ملوك ٢، ١٥: ٢٩-٣٠.

(٥) سومر، دوبونت، سومر، ١٩، ١٩٦٣، ص ١٢٥-١٢٦.

(٦) الاحمد، سامي سعيد، تاريخ فلسطين القديم، ص ٢١١.

(٧) كلينغل، هورست، تاريخ سورية السياسي، ص ٢٥٠.

أما دمشق فلم تعد تذكر كقوة عسكرية بعد ان أصبحت مقاطعة آشورية، فيما بقيت صور مستقلة شكلياً تحت حكم متان الثاني وخليفته لولي، وقد استفادت الدولة الاشورية من علاقاتها التجارية مع هذه المدينة فضلاً عن امتلاكها للحرفين الماهرين الذين كانت تحتاجهم الدولة في عملية البناء، ومن الممكن القول ان تجلاتبليزر الثالث رأى ان منافعه الاقتصادية تتحقق بصورة اكبر في صور من خلال استمرار الحكم المحلي فيها وليس بتحويلها إلى مقاطعة اشورية، ولكن هناك نص قصير يعود بتأريخه الى ما بعد سقوط دمشق يشير الى حدوث تمرد في هذه المدينة غير ان العاهل الاشوري لم يرد عليه كما يبدو[٣].

ان أهم الشواهد الآثارية التي جاءتنا من عهد تجلاتبليزر الثالث في سوريا هو ما تم استظهاره في موقع ارسلان طاش[٤] (حداتو) (الواقع على بعد ٣٠ كم شرقي نهر الفرات، ٦ كم جنوب الحدود التركية) فقد عثر على قصر وبيت كبير ومعبد مكرس لعبادة الالهة عشتار اضافة الى السور الخاص بالمدينة الذي يحتوي على ثلاثة مداخل تحرسها اسود حجرية ترتكز على قواعد مزينة بنقوش نافرة تمثل قادة اشوريين يقف امامهم عدد من السكان المحليين وهم يقدمون هدايا الولاء لهم[٥]. ومن خلال الطراز الفني لتلك التماثيل والنقوش واسلوب تنفيذها يمكن ارجاع زمنها الى عهد تجلاتبليزر الثالث[٦]. ان مثل تلك الاسود وجد ما يمثلها في كالخ (نمرود) اذ عثر ملوان اثناء تنقيباته فيها على اسدين أحدهما كان في مدخل معبد الاله نابو والاخر في احد القصور التي تعود الى عهد شلمنصر الثالث[٧] ومن الجدير بالذكر هنا ان الهيئة العامة للاثار

تسمى سمأل الان بأسم سنجرلي وتقع جنوب شرق تركيا وكانت مركز دولة مستقلة في بداية الالف الاول ق.م، نقب فيها الالمان من عام ١٨٨٨ الى ١٨٩٢ م وتم استظهار قلعة ذات اسوار وبعض الابنية الداخلية فيها، فضلاً عن العثور على مسلة حجرية تعود الى الملك اسرحدون. انظر:–

دانيال، كلين، موسوعة علم الاثار، ج٢، ترجمة ليون يوسف، (بغداد، ١٩٩١)، ص ٣٣٧.

(1) ANET, 1969, p. 655.

(٢) كلينغل، هورست، تاريخ سورية السياسي، ص ٢٥٠.

(٣) كلينغل، هورست، تاريخ سورية السياسي، ص ٢٥٠.

(٤) تعني هذه التسمية حجر الأسود باللغة التركية وقد اطلقت على الموقع وذلك لكثرة عدد تماثيل الاسود البازلتية الضخمة التي وجدت على سطحه والقسم الآخر مطمور جزئياً. انظر:

Strommenger, E., Hadatu (Arslantaash), Ebla to Damascus, p. 330.

وتسمى (حداتو) في النصوص الاشورية. انظر:

Parpala, S., Toponyms, p. 141.

(5) Strommenger, E., Ebla to Damascus, p. 331.

(٦) شترومنغر، ايفا، ارسلان طاش (حداتو)، الآثار السورية، (فينا، ١٩٨٥)، ص ١٦٩.

(6) Mallawan, M., Nimrud and its Remains, vol I, (London, 1966), p. 83.

والتراث قد عثرت اثناء تنقيباتها الاخيرة عام ٢٠٠١ م في نفس المدينة على اسد مشابه لما استظهره مالوان وهو يعود الى معبد الألهة عشتار.

وتعتقد شترومنغر ان هذه المدينة اصبحت تحت سيادة الاشوريين في عهد شلمنصر الثالث واصبحت مقراً لحاكم مقاطعة اشورية في المنطقة بنى فيها قصراً ضم قاعة استقبال كبيرة ومجموعة من الغرف التي زين البعض منها بافاريز عرض الواحد منها ٨٠ سم وتمثل دوائر ومربعات، فيما استخدم الجناح الشرقي من القصر كمخازن(١). والى الشرق من هذا القصر تم الكشف عن بقايا لبيت كبير عثر في داخله على قطع لأثاث منزلية مطعمة بالعاج(٢) وعلى مسلة حجرية تمثل الاله ادد يمحل في كلتا يديه حزمة مضيئة ويقف على جسم ثور(٣).

أما معبد المدينة فقد عثر في مدخله على تمثالين لثورين كبيرين وعليهما كتابة تذكر بان المعبد قد بني من قبل الملك تجلاثبليزر الثالث(٤)، كما عثر في داخله على اربعة من تماثيل الآلهة التي ترتدي ثوباً طويلاً مهدباً ويمسك كل واحد منها صندوقاً حجرياً(٥) مخصصاً للتقدمات ويبلغ ارتفاع كل واحد من هذه التماثيل ١.٧٣ م وترتكز على قاعدة ارتفاعها ٣٤ سم (٦). ولقد عثر مالوان على تمثال مشابه لتلك التماثيل أثناء تنقيباته في كالخ عام ١٩٥٥م(٧).

<u>شلمنصر الخامس (٧٢٦-٧٢٢ ق.م):</u>

توفي تجلاثبليزر الثالث عام ٧٢٧ ق.م ليعتلي العرش من بعده ابنه شلمنصر الخامس(٨). الذي حقق من خلال حملاته العسكرية على بلاد الشام السيطرة على الساحل الفلسطيني جنوبا الى المنطقة التي تعرف حالياً بقطاع غزة وكان ذلك تهديداً واضحاً للمصالح المصرية، كما تدخل في شؤون التجارة المصرية بوضع قيود على تصدير الخشب من لبنان الى مصر وكانت تلك من الاسباب التي دعت مصر الى تحريض مدن فلسطين وجنوب سوريا للوقوف ضد الدولة الاشورية في السنوات التالية(٩).

---

(1) Strommenger, E., <u>Ebla to Damascus,</u> p. 331.

(٢) شترومنغر، ايفا، <u>الآثار السورية</u>، (فينا، ١٩٨٥)، ص ١٦٩.

(٣) بارو، اندريه، <u>بلاد اشور</u>، ص ٩٢.

(4) Strommenger, E., <u>Ebla to Damascus,</u> p. 332.

(٥) بارو، اندريه، <u>بلاد اشور</u>، ص ٣٢.

(٦) شترومنغر، ايفا، <u>الآثار السورية</u>، ص ١٧٢.

(٧) بارو، اندريه، <u>بلاد اشور</u>، ص ٣٢.

(٨) باقر، طه، <u>مقدمة...</u>، ج١، ص ٥١٢.

(٩) ساكز، هاري، <u>قوة اشور</u>، ص ١٣٤-١٣٥.

نظراً لكون سنوات حكم شلمنصر الخامس قليلة فان النصوص التي جاءتنا من عهده كانت قليلة. ويرد في العهد القديم خبر محاصرته للسامرة عاصمة المملكة العبرية الشمالية لثلاث سنوات متتالية حتى سقطت في يده عام ٧٢٢ ق.م وقام بترحيل سكانها[١].

تشير المصادر التاريخية الخاصة بمدينة صور الى ان شلمنصر الخامس قام بحملة على سوريا وحاصر صور مدة خمس سنوات بعد ان اخضع صيدا وأوشو (Ushu) (صور القديمة) وعكا ويعني هذا ان النفوذ الآشوري في البلاد السورية بقي مستمراً في عهده[٢].

بلاد الشام في عهد السلالة السرجونية:

عند اعتلاء العرش الاشوري من قبل سرجون الثاني (٧٢١–٧٠٥ ق.م) كانت تشغله في داخل البلاد المشكلة البابلية التي اثارتها القبائل الكلدية بقيادة مردوخ–بلادان الثاني حيث دخل العاهل الاشوري بحرب معه[٣]، ولكنه اضطر الى الانسحاب من حربه هذه اثر الأنباء التي ترددت عن تشكيل حلف معادٍ له في بلاد الشام بزعامة ايلو–بعدي حاكم حماه بعد ان قتل حاكمها المنصب من قبل الاشوريين والمدعو (ابني–ايلو) وقد ضم هذا الحلف كل من مدن ارباد ودمشق والسامرة وكانت تقف وراء هذا الحلف مصر التي ادركت خطورة التوسع الاشوري في المنطقة على مصالحها التجارية[٤].

تحرك سرجون صوب القوات المتحالفة والمجتمعة في قرقر على نهر العاصي في سنة حكمه الثانية (٧٢٠ ق.م) وتمكن من الحاق الهزيمة بهم وتم اسر ايلو–بعدي الذي اقتيد مع عائلته الى اشور فيما احرقت قرقر[٥].

لم يثن هذا النصر غزة من مواجهة العاهل الاشوري بدعم من مصر، لذا فقد وجه قواته اليها واشتبك مع جيشها بقيادة ملكها السابق حانونو الذي تراجع الى رفح التي شهدت انتصار الجيش الاشوري في المعركة، فيما هرب القائد المصري المدعو (سيبو) وثم اسر حانونو واحرقت رفح[٦].

كرر سرجون حملاته العسكرية على البلاد السورية في سنة حكمه الخامسة وتركزت جهوده هذه المرة على كركميش وهي آخر مملكة داخل سوريا تحكمها سلالة محلية فاستطاع ان

---

(١) ملوك ٢، ١٧: ٣– ٦.

(٢) كلينغل، هورست، تاريخ سورية السياسي، ص ٢٥٠.

(3) Brinkman, J. A. "Elamite Military Aid to Merduk- Baladan", JNES., vol. 14, No. 3, 1965, P.164.

(4) ANET., 1969, P. 285.

(5) Luckenbill. D.D., ARAB, 11, No. 5.

(6) Ibid.

يهزم حاكمها (بيسيريس) ودمرت المدينة وهجر سكانها ونقلت غنائم كثيرة منها الى آشور فاصبحت كركميش والمناطق المحيطة بها مقاطعة آشورية[١].

سجلت السنة الحادية عشر من حكم سرجون تمرداً حدث في جورجوم واشدود حيث جهز العاهل الاشوري حملة على هاتين المنطقتين واخضعهما للسيادة الاشورية[٢]. كما سيطر على السهل الفلسطيني واعاد بناء بعض المدن الفلسطينية ومن بينها السامرة، كذلك فان دويلات شرق الاردن اصبحت تحت سيادته[٣].

ويخبرنا الملك سنحاريب (٧٠٤-٦٨١ ق.م)، الذي خلف اباه سرجون على عرش الامبراطورية الاشورية، عن نشاطاته العسكرية في سوريا اثناء عهده. ففي سنة حكمه الثالثة (٧٠١ ق.م) قام بحملة على فينيقية وفلسطين حارب فيها لولي (ملك صور والصيداويين) الذي لقي حتفه في المعركة واستسلمت صيدا وبقية المدن الفينيقية وارسل ملوكها وملوك آمورو وهدايا الولاء له عندما كان معسكراً بالقرب من أوشو مقابل صور[٤]. التي نصب عليها ايتو-بعل والذي الزم بدفع هدايا الولاء بانتظام الى الدولة الاشورية[٥].

ويشير سنحاريب في احد نصوصه الى انه جلب من صور عدداً من سكانها الذين عملوا في بناء قصره في نينوى، كما أخذ منها ومن بقية المدن الفينيقية بعض صناع السفن والبحارة الذين وردت اسماؤهم في تقرير الحملة السادسة له ضد بلاد عيلام[٦]. وفي نفس السنة تقدم سنحاريب وحاصر القدس واجبر حاكمها حزقيا على تقديم فروض الطاعة والولاء له حيث ارسل بناته ونساء من قصره كرهائن الى نينوى مع كنوز المعبد كهدايا واخبرنا سنحاريب بانه هدم ٤٦ من المدن التي في عهدة حزقيا بعد استسلامه له واستمر العاهل الاشوري في اخضاع المدن الفلسطينية الواحدة تلو الاخرى[٧].

مات سنحاريب مقتولاً عام ٦٨١ ق.م على يد احد ابناءه[٨]. واعتلى العرش من بعده اسرحدون (٦٨٠-٦٦٩ ق.م) وهو اصغر ابناءه واستطاع ان يقضي على الحرب الاهلية التي

---

(١) كلينغل، هورست، تاريخ سورية السياسي، ص ٢٥١-٢٥٢.

(2) Luckenbill. D.D., ARAB, 11, No. 29.

(٣) الأحمد، سامي سعيد، تاريخ فلسطين القديم، ص ٢٢٦.

(4) Luckenbill. D.D., ARAB, 11, No. 239.

(٥) كلينغل، هورست، تاريخ سورية السياسي، ص ٢٥٢.

(٦) المصدر نفسه، ص ٢٥٣.

(٧) الأحمد، سامي سعيد، تاريخ فلسطين القديم، ص ٥٢٨.

(8) Grayson, A. K., Assyian and Babylonian chronicles, (New York, 1975), P. 81.

نشبت بعد مقتل ابيه[١] وكانت اولى المهام التي قام بها اسرحدون انه قاد حملة عسكرية في عام ٦٧٩ ق.م على طول الساحل الفلسطيني ووصل الى الحدود المصرية في منطقة وادي العريش، وكان الغرض من هذه الحملة على ما يبدو هو ردع الفرعون المصري تهراقا (Taharqa) الذي تدخل في شؤون مدن الساحل الفلسطيني، الا ان اضطراب الأوضاع في مدينة صيدا دفعت العاهل الاشوري الى العودة واثناء عودته استسلمت له مدينة عسقلان[٢] ثم توجه الى صيدا ليواجه تمرد ملكها عبد ملكوتي ضد الحكم الاشوري بمساندة سندوآري ملك كوندو وسيسو في كليكية[٣].

وتسجل لنا الحوليات الاشورية نجاح اسرحدون بالاستيلاء على صيدا في سنة حكمه الرابعة (٦٧٧ ق.م) ثم سار بعد ذلك لمواجهة سندوآري حيث قطع رأسه مع رأس عبد ملكوتي وأخذ غنائم كثيرة معه الى نينوى[٤]. بعد تصفية المتمردين قام اسرحدون بتشييد ميناء جديد سماه باسمه (كار–اسرحدون) واسكن فيه جماعات من المدن المجاورة لصيدا واسرى جلبهم من الاجزاء الشرقية للأمبراطورية[٥]، ولكي يعطي اسرحدون درساً لمن يتوقع تمردهم فقد افتتح هذا الميناء رسمياً بحضور اثنين وعشرين حاكماً من حكام المقاطعات السورية[٦]. وتم تعيين حاكم اشوري لأدارة المنطقة بعد ان الزمت صيدا بدفع هدايا اكثر من ذي قبل[٧].

اما مدينة صور فقد ابرم العاهل الاشوري معاهدة مع ملكها بعل الأول ربما تعود بتأريخها الى ما بعد عام ٦٧٤ ق.م عندما قامت الدولة الاشورية بحملة ناجحة على مصر[٨]، وتوضح لنا تلك المعاهدة ان ملك صور كان تابعاً لأحد موظفي اسرحدون الذي كان يشرف على ادارة المنطقة[٩].

لم تبق الامور على هذا الحال اذ نقض بعل وبتحريض من الفرعون المصري تهراقا هذه المعاهدة وقام ملك صور بجمع حلفاء له من اجل التمرد على اسرحدون، فسار الجيش الاشوري الى الساحل الفينيقي في السنة العاشرة من حكمه (٦٧١ ق.م) وحاصر مدينة صور بينما سار

---

(١) باقر، طه، مقدمة...، ج١، ص ٥٢١.

(2) ANET, 1969, P. 291 ff

(٣) كلينغل، هورست، تاريخ سورية السياسي، ص ٢٥٣.

(4) Luckenbill. D.D., ARAB, 11, No. 513.

(5) ibid, No. 512.

(٦) ساكز، هاري، عظمة بابل، ص ١٥٦.

(٧) كلينغل، هورست، تاريخ سورية السياسي، ص ٢٥٣.

(٨) المصدر نفسه، ص ٢٥٤. وحول نص هذه المعاهدة انظر:

Parpola, S., SAA,II,P. 24 f.

(٩) فرحان، وليد صالح، العلاقات السياسية للدولة الاشورية، ص ٢٥٤.

بقية الجيش الى مصر. وكان من نتيجة حصار صور ان استسلم ملكها الى العاهل الاشوري وقدم هدايا الولاء له[١]، ولكن اسرحدون ابقاه حاكماً على جزيرة صور فقط وآخذ منه جميع المناطق التابعة له في البر[٢].

توفي اسرحدون عندما كان يقود جيشه عبر سوريا باتجاه مصر التي كانت في حساباته لفتحها، الا ان ذلك لم يتحقق تاركاً لأبنه ووريثه على العرش اشوربانيبال تحقيق ذلك الفتح الذي تم عام ٦٦٧ ق.م[٣].

ورث اشوربانيبال عن ابيه حكماً مستقراً في البلاد السورية اذ جددت له المدن الفينيقية ولائها وقدموا له الهدايا وزوده بالسفن التي كان يحتاجها في اسطوله العسكري[٤]. ولكن لم تستمر كل تلك المدن على ولائها اذ يرد في عام ٦٦٥ ق.م توجهه صوب صور وارباد (أرواد) التي خرجت عن الطاعة الاشورية حيث قام العاهل الاشوري بمحاصرة صور واعلن ملكها بعل الاستسلام وقدم بعض افراد اسرته كرهائن من ضمنهم ابنه يحي ميلكي (Yahimilki) الذي سمح له اشور بانيبال بالعودة رأفة به[٥]، كما قدم له ياكنلو (Iakinlu) ملك ارباد هدايا الطاعة والولاء[٦]. وبعد وفاة ياكنلو نصب اشور بانيبال أحد اولاده المدعو عزي بعل (Azibaal) حاكماً على المدينة[٧]، وهكذا بقيت صور وارباد تحت حكم سلالات محلية لكنها مرتبطة سياسياً بالدولة الاشورية.

لم يذكر اشوربانيبال في حولياته السنوية اللاحقة البلاد السورية الا مرة واحدة فقط، ففي طريق عودته من حملة ضد القبائل العربية في شمال شبه الجزيرة العربية حارب مدن عكا وأوشو التي تمردت عليه وتمت معاقبتهما من قبله واجلى اعداد كبيرة من سكانها الى بلاد اشور[٨].

اما عن علاقة اشوربانيبال بالمملكة الجنوبية في فلسطين فانها قدمت له العون عندما قام بحملته لفتح مصر، ولكن تغير موقفها عندما اعلن شمش–شم–اوكن تمرده في بابل ضد اخيه فانضمت تلك المملكة لمساعدة المتمردين، عندها قام اشوربانيبال بمهاجمتها والقضاء عليها وتمكن من تدميرها واسر ملكها (مناسيح) الذي اقتيد مكبلاً بالقيود الى بابل ثم عفا عنه واعاده

---

(١) كلينغل، هورست، تاريخ سورية السياسي، ص ٢٥٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٥٥.

(٣) باقر، طه، مقدمة...، ج١، ص ٥٢٤.

(٤) كلينغل، هورست، تاريخ سورية السياسي، ص ٢٥٥.

(5) Luckenbill. D.D., ARAB, 11, No. 779.

(6) ibid, No.780.

(7) ibid,, No. 783.

(8) ibid,, No. 830.

الى عرش مملكته، ولكن ما ان انتهى من حملته في اخضاع مدن الساحل الفينيقي حتى توجه لمعاقبة يهوذا وتدميرها[(١)].

في سنة ٦٢٧ ق.م، وهي سنة وفاة اشوربانيبال، احتل احد القادة الكلديين وهو نابوبلاصر بعض اراضي بابل التي كانت تحت السيادة الاشورية واعلن نفسه ملكاً عليها وبدأ ينتزع من الاشوريين الاراضي البابلية شيئاً فشيئاً حتى حانت سنة ٦١٢ ق.م حين استولى على نينوى بمساعدة الميديين من الشرق فانهارت الامبراطورية الاشورية لتحل محلها طيلة قرن من الزمان تقريباً الدولة الكلدية (البابلية الحديثة) (٦٢٦-٥٣٩ ق.م) والتي تسيدت البلاد[(٢)].

ان العصر الاشوري الحديث يعتبر من اغزر العهود التاريخية في دلائله الاثارية التي تم استظهارها في المنطقة والتي تثبت على امتداد الحضارة الاشورية فيها اذ اثبتت ذلك عمليات المسح الاثاري لمنطقة الخابور والتي بدأت على يد ليرد عام ١٨٥٠، ولعل من اهم ما اكتشف في تلك المنطقة القصر الملكي الاشوري في شاديكاني (تل عجاجة، عربان عند الرحالة العرب) والواقع على بعد ٣٠ كم جنوب مدينة الحسكة[(٣)]. يعود تاريخ بناء هذا القصر الى القرن التاسع ق. م ويحتوي على صالة استقبال طويلة[(٤)]. وعثر في احد مداخل الممرات المحيطة بهذه الصالة على منحوتتين نافرتين من الحجر الكلسي تمثلان ثوراً واسداً مجنحين[(٥)].

اما موقع دور-كاتليمو (تل الشيخ حمد) الواقع على ضفة الخابور اليسرى في محافظة دير الزور[(٦)]. فقد كشفت التنقيبات فيه عن توسع المنطقة السكنية الى ثلاثة اضعاف عما كانت عليه قبل هذا العصر اذ بلغت المساحة السكنية الاجمالية بما فيها الضواحي الصغيرة المبنية خارج اسوار المدينة ١١٠-١٢٠ هكتار تقريباً[(٧)] وكانت البيوت تتميز بسعتها وبباحاتها المتعددة[(٨)].

ويمكن ان نستنتج من ذلك ان هذه المدينة كانت منطقة سكنية مهمة بالنسبة للآشوريين في هذا العصر لموقعها الستراتيجي في منطقة الخابور، كما تم العثور في هذا الموقع على

---

(١) الدوري، رياض عبد الرحمن، اشوربانيبال سيرته ومنجزاته، (بغدا، ٢٠٠١)، ص ١٣٢.

(2) Grayson, A. K., Assryian and Babylonian chronicles, P. 88ff.

(٣) ابو عساف، علي، اثر الممالك القديمة في سورية، ص ٥٧.

(٤) بوناتز، دومينيك، وأخرون، الانهار والبوادي، ص ١١٩.

(٥) طوير، قاسم، "حضارات الخابور"، اضواء جديدة على تاريخ واثار بلاد الشام، (دمشق، ١٩٨٩)، ص ٨٥.

(٦) ابو عساف، علي، اثر الممالك القديمة..، ص ٥٣.

(٧) بوناتز، دومينيك، وأخرون، الانهار والبوادي، ص ١٢١.

(٨) سليمان، انطوان ومارك، لوبو، معرض الاثار السوري الاوربي، ص ٨٤.

مجموعة من الاختام الاسطوانية الاشورية والنصوص الكتابية التي تعود الى العصر الاشوري الحديث[١].

ومن المواقع المهمة في منطقة الخابور التي استمر السكن فيها حتى هذا العصر موقع تل بيدر الواقع في وادي عويج أحد روافد الخابور اذ تم اكتشاف عدد من البيوت السكنية فيه اضافة الى مجموعة لأشكال فخارية متنوعة[٢].

ولعل آخر نتائج التنقيبات الحديثة المتوفرة لدينا لحد الان هي التي زودتنا بها البعثة الالمانية-السورية التي عملت في موقع تل جنديرس ووادي عفرين الغربي (٨٠ كم شمال غرب حلب) ما بين عامي ١٩٣٣-١٩٩٦م والتي اوضحت دور الاشوريين في المنطقة من خلال ما تم العثور عليه من بقايا البيوت السكنية تعود بتاريخها الى العصر الاشوري الحديث، لهذا فمن المعتقد ان تل جنديريس يمثل مدينة كينالوا الواردة في النصوص الاشورية كما اشرنا الى ذلك والتي هي عاصمة مقاطعة اونقي/باتن[٣].

(١) بوناتز، دومينيك، وأخرون، الانهار والبوادي، ص ١٢٥.

(2) Marc, L., "Tell Beydar-1995- 1996", Chronique Archealogique En Syrie, vol 2, (Syria, 1998), P. 207 F.

(3) Surenhagen, D., AAAS, 43, 1999, P. 160.

المبحث الثاني
العصر البابلي الحديث
(٦٢٦-٥٣٩ ق.م)

ينتهي حكم الامبراطورية الاشورية لبلاد الرافدين اثرالتحالف البابلي الميدي[١] الذي اسقط العاصمة نينوى عام ٦١٢ ق.م، وكان ذلك ايذانا بسيادة البابليين على البلاد بقيادة ملكهم نابوبلاصر الذي ينتمي الى القبائل الكلدية وتاسيس دولة جديدة سميت بالدولة الكلدية او البابلية الحديثة (٦٢٦-٥٣٩ ق.م)[٢].

لقد اعتبر البابليون انفسهم ورثاء الاشوريين في السيادة على بلاد الشام[٣]، لكنهم كانون يدركون ان مسالة الاحتفاظ بالبلاد السورية صعبة. اذ انه اذا كان بالامكان اكراه شمال سوريا على التسليم بالامر الواقع،فليس من السهل ان يقبل الفينيقيون او الفلسطينيون التبعية الى الدولة الجديدة بعد ان تخلصوا من الاشوريين الذين وجهوا لهم ضربات متلاحقة وموجعة[٤].اما الاشوريون فان قوتهم العسكرية لم تنته تماما حتى بعد سقوط عاصمتهم نينوى، اذ انسحب ماتبقى من الجيش الاشوري الى مدينة عنه ليستعيد تنظيم صفوفه تحت قيادة اشور-اوبالط الثاني (٦١١-٦٠٩ ق.م) الذي قاده الى مدينة حران ليتخذها مقرا له بانتظار مساعدة من المصريين[٥] الذين تحركوا الى ساحة المعركة في محاولة منهم لفرض انفسهم كقوة سياسية عسكرية امام القوات البابلية- الميدية التي كانت تطارد الاشوريين مستهدفين من ذلك اعادة بعض نفوذهم على البلاد السورية[٦].

لقد ادرك الفرعون المصري بسماتيك الاول (٦٦٣-٦٠٩ ق.م)ان هناك دولة قوية جديدة ستحل محل الامبراطورية الاشورية المتداعية في بلاد الشام، لذلك تقدم لمعارضة القوة الجديدة التي غدت الوارثة للاملاك الاشورية في غرب اسيا اذا استحوذ بسماتيك على عسقلان واشدود

---

(١) الميديون: من القبائل الهندو-اوربية التي دخلت بلاد ايران في الالف الاول ق م واستوطنت اقليم همدان بمحاذاة بلاد اشور تقريبا ولم يكن أي دور سياسي في المنطقة بسبب ضغط الاشوريين عليهم ويردنا اول ذكر لهم في كتابات الملك شلمنصر الثالث في عام حكمه السادس عشر والرابع والعشرون أي في عام ٨٤٣ و ٨٣٥ ق م. انظر:

بورتر ، هارفي ، موسوعة مختصر التاريخ القديم ، ص٨٤ وما بعدها.

(٢) باقر، طه، مقدمة... ،ج١ ، ص٥٤٨.

(٣) حتي، فيليب، لبنان في التاريخ، ص١٨٠.

(٤) رو، جورج، العراق القديم ، ص٥٠٧.

(5) Thompson, G., and, Lite, D. , ''The New Babylonian Empire'', CAH, III ,(Chambridge, 1971), p. 207.

(٦) محمد، حياة ابراهيم، نبوخذنصر الثاني، (بغداد،١٩٨٣)، ص٤٧.

في فلسطين وتقدم مسرعا لنجدة الاشوريين[١]. وكان يبغى من خطوته هذه الوقوف امام القوة البابلية–الميدية المتعاظمة والتي تشكل خطرا كبيرا على المصالح المصرية في بلاد الشام، مقابل هذا فقد شهد شهر اذار من عام ٦١١ ق.م استيلاء نابوبلاصر على مدينة روكوتي(Rugguti) الواقعة في شمال سوريا اذ اتخذها قاعدة لضرب مدينة حران التي كانت مركزا للجيش الاشوري[٢]، ولكن حران شهدت عام ٦١٠ ق.م هجوما عسكريا من قبل الاومان ماندا (Ummanmanda)[٣] وهو جيش الميديين الذين التحق بهم الجيش البابلي[٤].

إزاء هذا الموقف انسحب الجيش الاشوري بقيادة اشور–اوبالط الثاني باتجاه الجنوب الغربي حيث دخل مدينة كركميش بانتظار وصول المساعدة المصرية ومن ثم القيام بهجوم مضاد على حران وفعلا فانهم حققوا ذلك بعد وصول الجيش المصري فقاموا بضرب الحامية البابلية في المدينة[٥].

ويبدو ان الاشوريين بعد نجاحهم المؤقت في حران بمساعدة المصريين قرروا الانسحاب ثانية منها بعد وصول انباء تحرك الملك نابوبلاصر اليها فانسحبوا من المدينة قبل وصول نابوبلاصر. ولعل هذا يفسر لنا عدم ذكر وثيقة الاخبار البابلية حدوث أي صدام بين الطرفين وواصل العاهل البابلي تقدمه حتى وصل الى مدينة ايزاللا (Izalla) الواقعة ضمن منطقة اورارطو[٦].

بعد هذا الحدث لم تعد تصلنا اية معلومات عن الملك الاشوري وجيشه وبهذا يمكننا اعتماد عام ٦١٠–٦٠٩ ق.م تاريخا لنهاية الامبراطورية الاشورية سياسيا وعسكريا[٧]، اما الجيش المصري الذي بقى في كركميش فتم القضاء عليه فيما بعد من قبل نبوخذنصر الثاني (٦٠٤–٥٦٢ ق.م)عام ٦٠٥ ق.م[٨].

لقد ادى غياب الدولة الاشورية التي هيمنت على مناطق واسعة من الشرق الادنى القديم ووصلت بحدودها الغربية العاصمة المصرية طيبة الى ظهور قوى دولية جديدة لأقوام كانت قبل

---

(١) الاحمد، سامي سعيد، تاريخ فلسطين القديم، ص٢٣٣.

(2) Wiseman, D. J., Chronicles of Chaldean King 626-556 B.C,(London, 1956), P.18.

(٣) من المحتمل ان هذا الجيش مكون من تحالف يضم الميديين والسكيثيين الذين اندفعوا من جنوبي روسيا وذكروا في الحوليات الاشورية باسم اشكوزيين(Iskuzai) اضافة الى بعض قبائل شمال ايران. انظر:
Zawadzki, S., The Fall of Assyria,(Poznan 1988), P. 101
ومعنى الاومان ماندا هو (القوى المهاجمة). انظر AHw, 15, 1979, P. 1413

(٤) ساكز، هاري، قوة اشور، ص١٧٤.

(5) Grayson, A. K., Assyrian and Babylonion Chronicles, P. 96.

(6) ibid.

(٧) محمد، حياة ابراهيم، نوخذنصر الثاني، ص٥٠.

8 (7) Wiseman, D. J., Chronicles of Chaldean ...,P. P.68-69.

نهاية القرن السابع وبداية القرن السادس ق.م خاضعة للسيادة الآشورية(١). فكون الميدين قوة داخل بلاد ايران(٢)، في حين تمكن المصريون بقيادة بسماتيك الأول من تأسيس السلالة السادسة والعشرين (٦٦٣-٥٢٥ ق.م) الطموحة في مد نفوذها الى بلاد الشام(٣)، فكانت المدن الفينيقية تتأرجح وسط الصراع البابلي-المصري على المنطقة، غير ان ولائها نحو جارتها الجنوبية مصر كان واضحاً(٤).

ان الأهمية الستراتيجية لمناطق بلاد الشام لم تغب عن بال البابليين فكانت محط اهتمامهم الكبير عبر كل سنوات حكمهم وهذا ما نستشفه من تكرار حملاتهم العسكرية عليها، فقد سجل شهر تشرين الاول من عام ٦٠٧ ق.م قيام نابوبلاصر بحملة عسكرية على منطقة كيموخو (Kimuhu)(٥) الواقعة على الفرات جنوب كركميش والتي تتميز بموقعها المهم حيث انها تتحكم بالطريق التجاري الذي يصل ما بين شمالي سوريا بجنوبها ماراً بحماه الى كركميش ونجح العاهل البابلي بالاستيلاء على هذه المدينة في تشرين الثاني من نفس العام وترك فيها حامية عسكرية(٦).

وتتأكد أهمية كيموخو الستراتيجية من معرفة رد الفعل المصري اثر احتلالها، فبعد عودة نابوبلاصر الى بابل في شهر شباط من عام ٦٠٦ ق.م بدأ المصريون بقيادة نيخو الثاني (٦٠٩-٥٩٤ ق.م) في حصار الحامية البابلية التي تركت فيها(٧).

ازاء هذا الموقف سار العاهل البابلي في تشرين اول من نفس السنة لصد المصريين وعسكر في جنوب المنطقة على نهر الفرات عند قوراماتي (Quramati) المحمية بثلاث قرى هي سوناديري (Sunadiri) وايلامو (Elammu) ودخامو (Dahammu) حيث تم الاستيلاء عليها(٨)، ولكن وللمرة الثانية عند انسحاب الملك البابلي هوجمت الحامية البابلية الجديدة من قبل

---

(١) عبد الله، محمد صبحي، العلاقات العراقية المصرية في العصور القديمة، ص ١٦٣.

(٢) باقر، طه، مقدمة...، ج١، ص٥٤٨.

(٣) حسن، سليم، مصر القديمة، ج١٢، (القاهرة، ١٩٥٧)، ص ٢٦ وما بعدها.

(٤) حتي، فيليب، لبنان في التاريخ، ص ١٨٠.

(٥) تعرف حاليا باسم سمست (Samsat) وتقع على بعد ٣٨ كم جنوب شرقي اديمين (Adiyemen) في الاراضي التركية. انظر:

وايزمن، دونالد، نبوخذنصر وبابل، ترجمة نائل حنون، (بغداد، ١٩٨٨)، ص ٢٥.

(6) Wiseman, D. J. Chronicles…., p. 56.

(٧) وايزمن، دونالد، نبوخذنصر وبابل، ص ٢٧.

(8) Wiseman, D. J. Chronicles…., p.67.

المصريين الذين عبرو الفرات عند كركميش التي كانت بحوزتهم انذاك[1]، عندئذ قامت القوات البابلية في قوراماتي بانسحاب ستراتيجي صوب بابل[2].

في سنة ٦٠٥ ق.م عُهد بقيادة الجيش البابلي الى نبوخذنصر الثاني في حين بقي والده في بابل حيث كان البابليون يخططون لحملة واسعة ضد كركميش ازاء التهديدات الخطيرة من قبل المصريين لمصالح الدولة البابلية في المنطقة[3]. وبالفعل فقد تقدم البابليون بقيادة نبوخذنصر باتجاه كركميش عن طريق نهر الفرات ليلاقي الجيش المصري الذي كان بقيادة نيخو فاحتدم القتال بينهما واسفر عن اندحار الجيش المصري ومطاردة فلوله المهزومة الى مدينة حماه حيث الحقت به خسائر فادحة[4]. وقد وصف هذا النصر في العهد القديم بما نصه:

((قد نادوا هناك فرعون مصر هالك وقالوا بان الفرعون ملك مصر هو مجرد ضوضاء))[5]

لقد حقق نبوخذ نصر الثاني من خلال هذا النصر الساحق نفوذاً على منطقة حماه بكاملها اذ سيطر على قادش الواقعة على نهر العاصي (اورنتس) كما امتد نفوذه الى ربلا (٣٥ كم جنوب غربي حمص) التي كانت تحت سيطرة المصريين واصبحت المركز الرئيس للجيش البابلي في سوريا لموقعها المتميز وسهولة الدفاع عنها وسيطرتها على الطريق الرئيسة الذاهبة الى الفرات، اضافة الى ذلك تميز موقع ربلا بتوفر الغابات ووجود وديان خصبة على مقربة منها وهذا يسهل الحصول على الوقود والطعام للجيش لذلك اصبحت هذه المدينة في وقت لاحق قاعدة للعمليات العسكرية البابلية المتوجهة نحو القدس، واستمرت في كونها مقراً للجيش البابلي حتى زمن الملك الاخير للدولة البابلية نبونئيد (٥٥٦-٥٣٩ ق.م)[6]. واضافة الى سيطرته على ربلا فان نبوخذنصر ضم فلسطين ودويلات شرق الاردن (ايدوم وموآب وعمون) فضلاً عن الساحل الفينيقي[7].

ان هذه المعركة الحاسمة والانتصار الكبير الذي حققه الجيش البابلي على الجيش المصري كان فرصة مواتية لنبوخذنصر للتقدم في الاراضي المصرية لملاحقة فلول الجيش المهزوم، الا ان خبر وفاة والده استدعى حضوره الى بابل لتبوء عرش البلاد[8]، ومن المحتمل

---

(١) وايزمن، دونالد، نبوخذنصر وبابل، ص ٢٧.

(٢) محمد، حياة ابراهيم، نبوخذنصر الثاني، ص٥٢.

(٣) وايزمن، دونالد، نبوخذنصر وبابل، ص ٢٧.

(4) Wiseman, D. J. Chronicles…., p.69.

(٥) أرميا ٤٦: ١٧.

(٦) وايزمن، دونالد، نبوخذنصر وبابل، ص ٢٨.

(٧) محمد، حياة ابراهيم، نبوخذنصر الثاني، ص ٦٢.

(٨) كلينغل، هورست، تاريخ سورية السياسي، ص ٢٥٧.

ان نبوخذنصر كان في ربلا حينما سمع بخبر الوفاة فليس هناك دليل اكيد على ان الملاحقة قد وصلت في ذلك الوقت الى حدود مصر[١].

عهد نبوخذنصر الثاني:

وصل نبوخذنصر بابل ليتوج ملكاً على البلاد في ٢٣ ايلول عام ٦٠٤ ق.م ودام حكمه فترة طويلة (٦٠٤-٥٦٢ ق.م) وكان من العهود المتميزة في تاريخ العراق القديم[٢]. أهتم هذا العاهل بالجبهة الغربية، لذلك فقد تتابعت حملاته العسكرية عليها وكان معظمها عرض للقوة العسكرية الكبيرة هادفاً من ذلك ضمان الطاعة والولاء، كذلك معاقبة بعض المدن المتمردة. ويمكن القول ان البابليين قلدوا في ذلك سياسة اشورية لقيت نجاحاً كبيراً في المنطقة بتكرار حملاتهم العسكرية السنوية عليها[٣]. ويمكن ان نعلل أسباب الأهتمام المتزايد للعاهل البابلي بالجبهة الغربية بما يأتي:

١. التصدي للمشاكل التي كانت تسببها مصر في المنطقة بسبب منافستها مع البابليين على النفوذ في البلاد السورية.
٢. ضمان سلامة الخطوط التجارية ومراكزها في البلاد السورية لأجل استمرار تدفق الاموال والمواد التجارية المختلفة التي كانت تتطلبها حياة الترف في بلاد بابل ابان حكم نبوخذنصر.
٣. تحقيق البعد الستراتيجي للدولة البابلية في توحيد البلاد السورية وجعلها وحدة متكاملة مع بلاد الرافدين[٤].

ولما تقدم فقد تلاحقت حملات نبوخذنصر الثاني باتجاه سوريا. فقد شهدت سنة حكمه الأولى حملة كان من نتائجها دخوله المدن السورية واستلامه هدايا الطاعة والولاء منها دون مقاومة تذكر[٥]، باستثناء مدينة اشكلونا (عسقلان الحالية) التي امتنعت عن الخضوع للسلطة البابلية. وعلى اثر ذلك تم القاء القبض على حاكمها واسره والاستيلاء على الكثير من الغنائم والاسرى الذين رُحِّلوا الى بابل التي شهدت عودة العاهل البابلي اليها في شهر شباط من نفس السنة[٦]. وتفيد النصوص التأريخية الى ان مصر كانت تلعب دور المحرض لمدينة عسقلان في تمردها بدليل العثور على رسالة أرامية في مصر موجهة من حاكم عسقلان الى الفرعون

---

(١) وايزمن، دونالد، نبوخذنصر وبابل، ص ٢٨.

(٢) باقر، طه، مقدمة...، ج١، ص ٥٤٩.

(٣) اوتس، جون، بابل تأريخ مصور، ص ١٩٦.

(٤) محمد، حياة ابراهيم، نبوخذنصر الثاني، ص ٣٦.

(5) Groyson, A. K. Assyrian and Babylonian, …, P. 100.

(6) ANET. 1969, P. 307.

المصـري نيخـو الثـاني (٦٠٩-٥٩٤ ق.م) يطلـب فيهـا العـون والمسـاعدة منـه ضـد قـوات نبوخذنصر[١].

ان نجاح تلك الحملة على البلاد السورية جعل يهوياكيم (٦٠٨-٥٩٧ ق.م) ملك المملكة الجنوبية في فلسطين والموالي للفرعون المصري نيخو الثاني يدرك الخطر الذي يحدق بمملكته، ولهذا فانه دعا الى الصيام في جميع انحاء المملكة وعلى جميع الأقوام التي جاءت لاجئة الى القدس من المدن الأخرى وقام بتقديم فروض الطاعة والولاء للملك البابلي[٢].

واجه نبوخذنصر مقاومة عنيفة في البلاد السورية خلال السنة الثانية من حكمه بحيث انه اضطر الى تنظيم حملة عسكرية كبيرة. اذ تخبرنا وثيقة الاخبار البابلية انه حمل معه ابراج الحصـار التـي كـان ينـوي استخدامها لمحاصرة احدى المدن التـي اظهرت العصيان، ولكـن اسم المدينـة مخروم فـي النص البابلي، ويذهب دونالد وايزمن ان تلك المدينـة ربما كانت القدس[٣]، ولكن لم ترد في العهد القديم اية اشارة بصدد تمرد يهوياكيم ضد الحكم البابلي في هذه السنة. وهنـاك رأي يفيد بـان المدينـة المقصودة هي عسقلان او احدى مـدن السـاحل الفينيقـي (جبيل، صيدا، صور)، ذلك ان نبوخذنصر ترك نصاً تأريخياً على وجه صخرة تشرف على منبع نهر الليطاني شمالي صور يوصف عدوه في ذلك النص بانه (الملك المعادي الاجنبي) الذي يسيطر علـى المنطقـة وثرواتهـا، وربمـا كـان المقصـود بـه أحـد ملـوك المـدن الفينيقيـة[٤]. امـا سـنة حكـم نبوخذنصر الثاني الثالثة (٦٠٢ ق.م) فقد اقتصرت حملته فيها على استلام هدايا الطاعة والولاء السنوية من المدن السورية. ويرد فـي نـص الوثيقـة البابليـة الخاصـة بهذه الحملـة والمحفوظ فـي المتحف البريطاني برقم (٢١٩٤٦) وهو بحالـة سيئة اسم نبو-شوم-ليشير (Nabu-Sum-Lisir) وهو الاخ الاصغر للملك البابلي بوصفه أحد المرافقين لـه فـي حملتـه تلك، دون ان نعرف طبيعة عمله او مهامه بسبب تلف النص فيما يلي اسمه[٥].

لـم يستمر الوضـع السياسـي العام فـي البلاد السورية علـى هذا الحـال فترة طويلـة، فقد كانـت سيطرة البـابليين علـى المـدن السـورية والفلسـطينية تثيـر قلـق المصـريين وتـهدد مصـالحهم التجارية في المنطقة، لهذا أخذت مصر تحرض بعض المدن ولا سيما الفلسطينية على التمرد

---

(1) Wiseman, D. J., Chronicles…, p. 28.

(٢) أرميا ٣٦: ٩

(٣) وايزمن، دونالد، نبوخذنصر وبابل، ص ٣٢.

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٢-٣٣.

(5) Wiseman, D. J., Chronicles…, p. 29.

والعصيان ضد الحكم البابلي[١]. ازاء هذا الموقف قام العاهل البابلي بحملة عسكرية على مصر نفسها في عام ٦٠١ ق.م والتقى الجيشان البابلي والمصري في معركة عنيفة تكبد خلالها الطرفان خسائر كبيرة حسبما ورد في رواية العهد القديم[٢]. ولم تكن المعركة حاسمة، اذ اضطر الجيش البابلي على اثرها الى الانسحاب الى بلاده. ويرد في النص الخاص بتلك الحملة ما نصه:

((تقاتلا في اشتباك قريب ودمرا بعضهما))

ومن الجدير بالذكر ان الوثيقة البابلية لم تذكر مكان اشتباك الجيشين[٣]. كما لم نجد لهذه المعركة أي صدى في النصوص الكتابية المصرية القديمة[٤].

لقد ادى انسحاب الجيش البابلي من تلك المعركة الى تشجيع يهوياكيم ملك المملكة الجنوبية الفلسطينية لأعلان عصيانه ضد الحكم البابلي عام ٦٠٠ ق.م وامتنع عن دفع هدايا الولاء على الرغم من تحذير النبي أرميا من عاقبة ذلك العمل الذي وقفت خلفه مصر[٥]. ازاء موقف يهوياكيم هذا اوعز العاهل البابلي الى بعض الأقوام القاطنة في شرق الأردن من الايدوميين والمؤابين والعمونيين[٦]، فضلاً عن بعض حامياته المتواجدة في المدن السورية، بالتقدم لمهاجمة المملكة الجنوبية قبل توجهه اليها[٧]، وتؤكد لنا بعض النصوص المدونة بالعبرية على ان تحالفاً قد نشأ بين الأيدوميين والبابليين وذلك من خلال وثيقة عثر عليها في مدينة أراد (Arad) الواقعة على بعد ١٧ ميل جنوب شرق الخليل (حبرون) في فلسطين وهي عبارة عن رسالة موجهة من حاكم القدس الى القائد العسكري في قلعة مدينة اراد يطلب منه ان يقوم حالاً بجمع عدد من الجنود ويرسلهم تحت قيادة مالكياهو (Malkiyaho) الموجود في الياشا (Elisha) الى قائد قلعة راموث نقب من اجل التصدي الى زحف الايدوميين نحو القلعة[٨]، وتبرز أهمية هذه الوثيقة لأننا نستشف منها حقيقة ما كان يجري في عام ٦٠٠ ق.م، كما انها وثقت لنا

---

(١) غزالة، هديب، الدولة البابلية الحديثة، (دمشق، ٢٠٠١)، ص ٧٢-٧٣.

(٢) أرميا ٤٦: ١٢.

(3) Wiseman, D. J., Chronicles…, p. 71.

(٤) محمد، حياة ابراهيم، نبوخذنصر الثاني، ص ٦٥.

(٥) باقر، طه، مقدمة...، ج١، ص ٥٤٧.

(٦) حول تلك الاقوام انظر:

المومني، احمد محمد خير، العمونيون، رسالة ماجستير غير منشورة، (الجامعة الاردنية، ١٩٩٦).

(٧) غزالة، هديب، الدولة البابلية الحديثة، ص ٧٣.

(8) Aharoni, Y., "Three Hebrow Ostracta from Arad", BASOR, 197, 1970, P. 20f.

التحالف الايدومي–البابلي الذي استمر اثناء حصار القدس اذ سكنوا بعدها فلسطين واتخذو من مدينة الخليل عاصمة لهم[١].

ويمكن تعليل مساعدة الايدوميين للبابليين برغبتهم في استعادة بعض الاراضي التي انتزعت منهم في ايام يوشع حاكم القدس السابق في حين كان هدف نبوخذنصر من تحالفه معهم يتعدى التعاون العسكري الى الهدف الاقتصادي اذ ان وقوف الايدوميين معه يمكنه من السيطرة على خط التجارة الى الساحل الغربي لفلسطين وميناءه الرئيس على البحر المتوسط[٢].

لقد جنب هذا التحالف الايدوميين حملات الجيش البابلي على جيرانهم (موآب وعمون) الذين تلقوا ضربات موجعة من الجيش البابلي في وقت لاحق بعد ان غيروا ولائهم باتجاه حاكم المملكة الجنوبية وتضامنوا معه في اعلان العصيان والتمرد[٣]. ويذهب بعض الباحثين، واستناداً لدراسة بعض الوثائق العبرية والاختام التي عثر عليها في الطبقة الرابعة من تل خليفة، الى عدم تعرض ايدوم الى أي تخريب او هجوم حتى منتصف القرن السادس ق.م[٤]. وفي السنة السادسة من حكم نبوخذنصر (٥٩٩ ق.م) توجه ثانية الى البلاد السورية مستهدفاً من حملته تلك القبائل العربية التي لم تكن مواليه للحكم البابلي، فكسب ولائها وغنم الكثير من ممتلكاتها واحرق خيامها ونقل تماثيل الهتها الى عاصمته[٥] وجاء ذكر اسماء بعض من تلك القبائل في العهد القديم ومنها (قيدار) و(حاصور) و(بني المشرق)[٦].

تحرير القدس:

مكث العاهل البابلي في البلاد السورية اثناء حملته عام (٥٩٩ ق.م) حوالي أربعة اشهر ثم عاد الى بابل دون ذكر لعودة جيشه معه[٧] وتوضَّحَ هدف ابقاء الجيش هناك في السنة التالية (٥٩٨ ق.م) اذ انه عاد ليقود الجيش صوب القدس في حملة ضد ملكها يهوياكيم

الذي امتنع عن تقديم هدايا الولاء السنوية لبلاد بابل[٨]. وتشير النصوص التأريخية الى ان يهوياكيم قد توفي قبل شهر من بدء العملية العسكرية البابلية ضده[١]. وتم تنصيب ابنه يهوياكين

---

(١) الأحمد، سامي سعيد، تأريخ فلسطين القديم، ص ٢٣٥.

(٢) محمد، حياة ابراهيم، نبوخذنصر الثاني، ص ٦٦.

(٣) غزالة، هديب، الدولة البابلية الحديثة، ص ٨٢.

(4) Albright, W., "Ostraca No. 6043 from Ezion geber", BASOR, 82, 1941, P. 11f.

(٥) غزالة، هديب، الدولة البابلية الحديثة، ص ٧٤.

(٦) أرميا ٤٩: ٢٨.

(7) Wiseman, D. J., Chronicles…, p. 31-32.

(8) Groyson, A. K. Assyrian and Babylonian,…, P.102.

خلفاً له. ولم يمض الأخير لمدة ثلاثة اشهر على العرش حتى شهد هجوم العاهل البابلي على المدينة[٢] التي فتحها عام ٥٩٧ ق.م بعد أن ضمن مسبقاً مساعدة الايدوميين فقد احتلت قلعة راموث نقب اثر الهجوم الايدومي–البابلي الذي اشرنا اليه سابقاً بدليل الوثيقة العبرية وبذلك غدت راموث–نقب منطقة حاجزة بين مصر والمملكة الجنوبية في فلسطين لقطع أي اتصال او مساعدة محتملة من مصر وعزلها تماماً عن المناطق المحيطة بها[٣].

ان من اهم نتائج تحرير القدس اسر يهوياكين مع عائلته وحاشيته ورؤساء قبائل المدينة فضلاً عن اجلاء اعداد كبيرة من السكان مع الكثير من الغنائم الى بلاد بابل وتم تنصيب متينيا (Mattaniah) الذي غير اسمه الى صدقيا حاكماً على المدينة[٤]. لقد ساهم استسلام يهوياكين لنبوخذنصر عند دخوله القدس مساهمة كبيرة في انقاذها من دمار محقق وهذا ما يمكن ان نستنتجه من خلال معاملة العاهل البابلي للمدينة برفق نسبي[٥]. وقبل عودة نبوخذنصر الى عاصمته اقسم صدقيا له باسم الهه (يهوه) على ان يبقى مخلصاً وموالياً للبابليين، ولكنه حنث بهذا القسم فيما بعد[٦].

سجل عام ٥٩٦ ق.م عودة ثانية لنبوخذنصر الى سوريا حيث وصل الى كركميش شمالاً وربما كان ذلك لحدوث بعض الاضطرابات فيها[٧]. ويرد في العهد القديم ان دويلات شرق الاردن (موأب وعمون وايدوم) قد تغير موقفها تجاه الحكم البابلي بعد ان كانت تقدم له فروض الطاعة والولاء حيث انضم ممثلون من هذه الدويلات الى مؤتمر عقد في القدس في السنة الرابعة من حكم صدقيا (٥٩٣/٥٩٤ ق.م) ضم كل المتمردين على السلطة البابلية[٨]، في حين تحالفت صور مع صدقيا من أجل اقامة علاقات تجارية عبر النقب التي وضعها نبوخذنصر تحت سيطرة ايدوم من قبل[٩].

ان من اهم الاسباب التي دعت الى هذا التحالف اثنان: اولهما انشغال العاهل البابلي بالقضاء على تمرد حصل في صفوف جيشه عام ٥٩٤ ق.م، والثاني تولى بسماتيك الثاني

---

(١) وايزمن، دونالد، نبوخذنصر وبابل، ص ٣٥.

(٢) ملوك ٢/ ٢٤: ٨.

(٣) محمد، حياة ابراهيم، نبوخذنصر الثاني، ص ٦٨.

(٤) كلينغل، هورست، تارخ سورية السياسي، ص ٥٢٨.

(٥) ابراهيم، نجيب ميخائيل، مصر والشرق الادنى القديم، ج٣، ط١، (القاهرة، ١٩٥٩)، ص ٢٩٧.

(٦) وايزمن، دونالد، نبوخذنصر وبابل، ص ٣٥.

(٧) المصدر نفسه، ص ٣٦.

(٨) ارميا ٢٧: ٣.

(٩) وايزمن، دونالد، نبوخذنصر وبابل، ص ٣٣.

(٥٩٤-٥٨٨ ق.م) حكم مصر حيث كانت له رغبة شديدة في التصدي للنفوذ البابلي سواء بالاصطدام العسكري المباشر او في تحريض الدويلات التي كانت تدين بالطاعة والولاء للحكم البابلي بالتمرد والعصيان[١]. وقد فشل هذا الحلف في تحقيق النوايا التي كان يبيتها بسبب قوة الجيش البابلي التي جعلتهم يترددون عن القيام باي عمل من شأنه ان يثير غضب العاهل البابلي فاعلنوا موقف السلام والولاء لبابل[٢]. ويعتقد البعض ان من بين أسباب فشل هذا الحلف هو عدم التوصل الى اتفاق بين اطرافه حيث انسحب الايدوميين وواصلوا ولائهم للحكم البابلي[٣]. اما صدقيا فقد بقي على ولائه وخضوعه لنبوخذنصر، ولكنه ناصبه العداء فيما بعد مستجيباً لرغبة بعض زعماء بلاطه ومعتمداً كالعادة على مساعدة مصر له في التمرد ة والعصيان[٤].

اعلن صدقيا تمرده الصريح ضد الحكم البابلي عام ٥٨٩ ق.م ولكن هذا التمرد لاقى معاضة شديدة من النبي حزقيال (الذي كان اسيراً في بابل) والذي لم يوافق على نقض صدقيا للعهد تجاه نبوخذنصر ومحالفة المصريين وحذره من عاقبة ذلك العمل الخياني[٥]. اضافة الى ذلك فان صدقيا تلقى تحذيراً من النبي ارميا بان مصيره سيكون الهلاك على يد القوات البابلية[٦] وقد اثبتت الاحداث ان تقدير ارميا للموقف كان احكم من السياسيين[٧].

من خلال ما تقدم نرى ان هناك موقفين مختلفين حول عصيان صدقيا، فالبلاط كان يؤيده ويحرضه على اعلان التمرد، بينما تعارضه فئة أخرى، وهي التي كانت بزعامة أرميا. ولم تكن هذه الفئة تقبل بالانحياز الى المصريين والمشاركة في تحريضاتهم المستمرة ضد البابليين[٨]. تميز رد فعل نبوخذنصر على تصرفات صدقيا بسرعته وقوته حيث حشد قوة عسكرية كبيرة ليبدأ معركة القدس في يوم ١٥ كانون ثاني سنة ٥٨٨ ق.م، فاقام حواجز الحصار حول المدينة لمنع أي حركة دخول او خروج وهذا ما يشابه الى حد ما حصار سنحاريب للمدينة عام ٧٠١ ق.م[٩]. وبناءاً على طلب الملك العبراني صدقيا استجاب فرعون مصر هوقرع (ابريس) (٥٨٨-٥٦٨ ق.م) لمساعدته. ذلك ان صدقيا تمكن من ارسال مبعوث له، وكان هذا

(١) محمد، حياة ابراهيم، نبوخذنصر الثاني، ص ٧١.

(٢) حتي، فيليب، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص ٢٢٠.

(٣) محمد، حياة ابراهيم، نبوخذنصر الثاني، ص ٧١.

(٤) حتي، فيليب، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص ٢٢٠.

(٥) حزقيال ١٧: ١١-٢١.

(٦) أرميا ٣٧: ١-١٠.

(٧) ساكز، هاري، عظمة بابل، ص١٧٢.

(٨) غزالة، هديب، الدولة البابلية الحديثة، ص ٧٨.

(٩) وايزمن، دونالد، نبوخذنصر وبابل، ص ٣٨.

المبعوث هو قائد الجيش كوريا هو ابن ايلناثان كما ورد في احدى رسائل لاخيش[١] والذي اوكلت اليه هذه المهمة بعد مضي سنة على بدء حصار المدينة، بعد ان منع نبوخذنصر لاخيش من تقديم أي اسناد وكذلك عزل القلاع الواقعة الى الجنوب الغربي من القدس[٢].

لقد كانت استجابة المصريين لطلب صدقيا للعون نتيجة لرغبتهم في ابعاد تهديد مصالحهم التجارية في الموانئ الفينيقية والفلسطينية من قبل الجيش البابلي، وكان من نتيجة تقدم الجيش المصري هو الاستيلاء على غزة ومحاصرة صور وصيدا[٣]. اما الجيش البابلي فقد تسرب الملل في نفوسه من جراء طول مدة بقائهم في اراضي بعيدة عن بابل حيث سيطر عليهم الحنين اليها، ولذلك اتخذ نبوخذنصر الثاني الذي كان في ربلا خطوة تكتيكية بان اوعز الى قائد جيشه نبو–زير–ايدينا (Nabu-Zer-Iddina) الذي ورد اسمه في العهد القديم (نبوزردان) بالانسحاب المؤقت الى بابل، في حين اعتقد صدقيا ان ذلك الانسحاب كان نهائياً[٤].

كانت عملية رفع الحصار المؤقته عن القدس، والتي لا تعرف مدتها فرصة استغلها العديد من سكان المدينة للهرب منها الى عمون وموآب وأدوم[٥]، في حين حاول النبي أرميا الهروب الى قبيلة بنيامين العبرانية ولكنه فشل في ذلك حيث القي القبض عليه ووجهت اليه تهمة التجسس لصالح البابليين واودع السجن من قبل صدقيا[٦]. ويمكننا القول ان انسحاب الجيش البابلي ربما كان بقصد من نبوخذنصر لتجديد قواته وتنظيم صفوفها بعد طول مدة بقائهم خارج البلاد ولرفع روحهم المعنوية ومن ثم القيام بحملة اخرى اتجاه القدس[٧]. ولا نستطيع هنا ان نغفل سبباً أخراً كان وراء ذلك الانسحاب الا وهوم وصول الجيش المصري للمنطقة ونجاحه في تحقيق بعض الانتصارات[٨].

عاد الجيش البابلي بعد فترة الانسحاب هذه الى القدس وسجل لنا يوم ٩ آب من سنة ٥٨٧ ق.م اختراق السور الشمالي للمدينة، وفي الاسبوع التالي دمر معبد المدينة وثم فتحها

---

(1) Olmosted, A., History of Palestine And Syria, P. 511.

تعرف لاخيش اليوم باسم تل الدوير الذي يقع على بعد ٤٠ كم جنوب غرب القدس. انظر:
RLA, 6, P. 413.

(٢) وايزمن، دونالد، نبوخذنصر وبابل، ص ٣٨.

(٣) ساكز، هاري، عظمة بابل، ص ١٧٢.

(4) Thompson, G., and Lite, D., CAH, III, P. 213.

(٥) أرميا– ٤٠:١١.

(٦) أرميا، ٣٧: ١١–٢١.

(٧) غزالة، هديب، الدولة البابلية الحديثة، ص ٧٩.

(٨) محمد، حياة ابراهيم، نبوخذنصر الثاني، ص ٧٣.

بحدود شهر واحد من بعد ذلك[١]. وكان العاهل البابلي يتابع الاحداث من مقر عملياته العسكرية في ربلا[٢]. ومن الجدير بالذكر ان الفترة ما بين اختراق السور الخارجي للمدينة وبين الفتح الكامل لها، والتي امتدت شهراً كاملاً، ربما كانت بسبب محاولة الجيش البابلي لأقناع سكان المدينة بالتفاوض والأستسلام[٣].

أما صدقيا فقد حاول الهرب مع قواده باتجاه نهر الاردن فتبعهم الجيش البابلي والقى القبض عليه في سهول اريحا واقتيد مع اولاده الى العاهل البابلي في ربلا ومن هناك ارسل الى بابل والقي في السجن بعد ان سُملت عيناه[٤]. كما تم اجلاء اعداد كبيرة من سكان المدينة قدر عددهم بـ (٤٠٠٠٠) كاسرى الى بابل[٥]. بعد هذه الاحداث تم تنصيب العبراني جداليا بن اخيقام بن شافان حاكماً على من بقي من سكان المدينة، ولكنه سرعان ما اغتيل من قبل بعض اتباع صدقيا بعد عودتهم من مصر التي فروا اليها خوفاً من انتقام الجيش البابلي منهم[٦]. غير ان هذا العمل لقي رد فعل عند البابليين اذ قاموا في عام ٥٨٢ ق.م بمعاقبة الفاعلين واجلاء سبعمائة وخمسة واربعين عبرانياً من قبل القائد البابلي نبو–زير–ايدينا اسرى الى بلاد بابل بعد أن ضرب العمونيين والمؤابيين الذين أووا الهاربين من القدس اثناء حصارها وكانت لهم يد في تدبير مقتل جداليا[٧]. في حين بقي الايدوميين على ولائهم السابق لنبوخذنصر اثناء حصار القدس[٨].

لقد تم العثور خلال التنقيبات الاثارية التي جرت في مواقع فلسطينية عديدة، على عدد من طبعات الاختام المنبسطة وهذه اشارة واضحة الى التشتت الذي اصاب افراد الطبقة البيروقراطية العبرية التي كانت تمتلك تلك الأختام والتي كان من بينها ختم جائزانيا (Jaazaniah) وهو احد موظفي البلاط الملكي في القدس، اذ عثر عليه في تل النصبة (Nispah)، وهو الموقع الذي اتخذه جداليا مقراً له عند تعيينه من قبل نبوخذنصر حاكماً على المملكة الجنوبية ثم التحق

---

(١) وايزمن، دونالد، نبوخذنصر وبابل، ص ٣٨.

(2) Olmosted, A., History of Palestine And Syria, P. 507.

(٣) وايزمن، دونالد، نبوخذنصر وبابل، ص ٣٨.

(4) Olmosted, A., History of Palestine And Syria, P. 527.

(٥) الملوك الثاني ٢٥: ٦–٧.

الايام الثاني ٣٦: ١٣–٢٠.

(٦) الملوك الثاني ٢٥: ٢٢.

(٧) أرميا ٥٢: ٣٠.

(٨) الأحمد، سامي سعيد، سلالة بابل الحديثة، العراق في التاريخ،(بغداد، ١٩٨٣)، ص١٦٦.

به أرميا الذي مال الى جانب البابليين[١]. كذلك عثر على مثل هذه الطبعات في مواقع خارج القدس مثل لاخيش وغيرها وكلها تعود الى موظفين كبار[٢].

ان اجلاء العبرانيين عن مناطقهم من قبل نبوخذ نصر الثاني يشبه الى حد كبير السياسة الاشورية التي تميزت بترحيل سكان المناطق المحتلة لردع المتمردين على السلطة واحلال سكان من منطقة اخرى بدلاً عنهم. وقد اسكن البابليون اكثر اسراهم في عاصمتهم بابل وفي مدنهم الرئيسة[٣]، ومنها نفر التي كانت مركزاً رئيسياً لاستيطان العبرانيين[٤]، ولكن البابليين لم يعمدوا الى نقل جماعات بديلة لأسكانهم في اماكن المرحلين[٥].

ويمكن القول ان سبب اسكان هؤلاء العبرانيين في العاصمة والمدن الرئيسيه لبلاد بابل ربما كان للحاجة الى خدماتهم في البناء وخاصة في العاصمة اذ عرف عن هؤلاء الاسرى انهم كانوا من الحرفيين والصناع المهرة الذين لهم دراية في امور الأعمار والبناء، خصوصاً وان نبوخذنصر قد عُرف باهتمامه بهذا الجانب[٦].

بعد التحرير الكامل للقدس واصل الجيش البابلي تقدمه حتى وصل جبال لبنان وخلف لنا كتابات في وادي بريسا[٧] مع منحوتتين صخريتين عند مصب نهر الكلب حيث يظهر نبوخذنصر في النصب الاول واقفاً امام شجرة ارز وفي الثاني يقاتل اسداً يهاجمه[٨]. وقد تحدث لنا العاهل البابلي في الكتابات التي خلفها لنا عن حملته العسكرية الى لبنان بقوله:

((ثقة مني بقوة الالهين نابو ومردوخ قمت بحملة عسكرية ضد لبنان وقد جلبت المسرة والبهجة الى تلك البلاد بطردي كل عدو والقضاء عليه في طول البلاد وعرضها وقد اجتزت وديانا عميقة، وفتحت لجيشي مسالك في الصخر وحيث اعترضني الصخر كنت افتته، وهكذا انشأت طريقاً مستقيماً ممهداً لنقل خشب الأرز، وقد وفرت لأهل لبنان الطمأنينة والسلام وأزلت عنهم كل ما من شأنه ان يعكر عليهم صفو الحياة، ولكي يقبر كل طامح طامع في ارضهم فلا تحدثه نفسه بالاعتداء عليهم فاني قد اقمت نصباً عليه تمثالي شاهداً انني الملك على هذه

---

(١) وايزمن، دونالد، نبوخذنصر وبابل، ص ٣٨.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) محمد، حياة ابراهيم، نبوخذنصر الثاني، ص ٧٩.

(4) Daiches, S., The jons In Babylonian In The Time of EZRA and Nehemiah According To Babylonia Insecriptions, (London, 1919), P. 4.

(٥) محمد، حياة ابراهيم، نبوخذنصر الثاني، ص ٧٩.

(٦) ساكز، هاري، عظمة بابل، ص ١٧٤.

(7) Lambert, W. G., Nebuchadnezzer king of JUSTICE, IRAQ, vol. 27,(London, 1965), P.3.

(٨) حتي، فيليب، لبنان في التاريخ، ص ١٨٢.

المنطقة الذي لازوال لملكه))[١]

حصار صور وفتحها:-

رغم كل ما تحدث عنه العاهل البابلي من انتصارات حققها في المنطقة، بقيت مدينة صور، زعيمة التحالف الفينيقي عصية عليه لذلك توجه الى هذه المدينة بعد عام من تحرير القدس، وكان يحكمها ايتوبعل الثالث (ittobaal III) (٥٨٩-٥٧٤ ق.م)[٢] الذي نصبه الفرعون المصري بسماتيك الثاني (٥٩٣-٥٨٨ ق.م) عندما قام بغزو وصور وصيدا عام ٥٩٠ قوم[٣]. لقد ابدى ايتوبعل الثالث عزماً على مجابهة نبوخذنصر فاقام الحصون والقلاع[٤] فضلاً عن ذلك فان موقع المدينة نفسه يوفر لها حصانة ومنعه، فهي في الاساس مدينتين احداهما ساحلية والاخرى تقع فوق جزيرة تقابل الساحل يلجأ اليها السكان عند تعرضهم لأي خطر خارجي، وهذا ما حدث ايام تعرضها للحصار من قبل الاشوريين[٥]. ولهذا فان هذه المدينة قاومت حصاراً فرضه البابليون عليها واستمر مدة ثلاثة عشر عاماً[٦]. وهناك اسباباً اخرى ساعدت صور على المقاومة الطويلة للحصار ومنها قلة خبرة الجيش البابلي في بناء السفن والقتال البحري وفتح المدن الساحلية التي تتخذ من البحر حاجزاً واقياً ومنيعاً لها لصد أي هجوم تتعرض له. لذلك فقد واجه نبوخذنصر مقاومة عنيفة من الاسطول البحري للمدينة وهو الاسطول المعروف بخبرته الطويلة في مجال ركوب البحر واسراره[٧]. فضلاً على ذلك فان المدينة كانت تمتلك قنوات توصل المياه من البحر الى مناطقها الداخلية، اذ كانت تلك القنوات توفر المياه الى سكان المدينة دون عون خارجي[٨]. ولا يمكن اغفال المساعدات المصرية التي قدمت لها اثناء حصارها والتي كان لها اثر كبير في اطالة مدته[٩]. ويمكن اضافة سبب آخر ساعد صور على تلك المقاومة الطويلة الا وهو اعتمادها في حياتها اليومية على البحر في ممارسة التجارة وصيد السمك، ولهذا فانها تمتعت بثراء اقتصادي[١٠] قاومت به حصاراً طويلاً كانت نهايته بحدود عام

---

(1) ANET, 1969, P. 307.

(٢) حتي، فيليب، لبنان في التاريخ، ص ١٨١.

(3) Olmosted, A., History of Palestine And Syria, P. 523.

(٤) حتي، فيليب، لبنان في التاريخ، ص ١٨١.

(٥) بورتر، هارفي، موسوعة مختصر التأريخ القديم، ص٧٥.

(٦) باقر، طه، مقدمة...، ج١، ص ٥٥٠.

(٧) غزالة، هديب، الدولة البابلية الحديثة، ص ٨٣-٨٤.

(٨) عرب، معن، صور حاضرة فينيقيا، (بيروت، ١٩٧٠)، ص ٢٣.

(9) Olmosted, A., History of Palestine And Syria, P. 535.

(١٠) ساكز، هاري، عظمة بابل، ص ١٧٢.

٥٧٢ ق.م ففي ذلك العام تم اقتحامها وخلع حاكمها ايتوبعل وعين في مكانه بعل الثاني (Baal II) (٥٧٢–٥٦٤)[١]، والذي ربما كان من الرهائن الذين احتجزهم الجيش البابلي اثناء حصاره للمدينة، ولعله ابن ملكها المخلوع، وقد بقي بعل الثاني مخلصاً لنبوخذنصر[٢] الذي دخل بنفسه المدينة حيث يرد في نص كُتبَ في صور:

((الملك والرجال الذين كانو بمعيته ذهبوا الى صور وقد زود بعضهم بثياب دافئه وردية من نوع صيرو (siru) من الوركاء))[٣]

وهناك رأي يشير الى ان فتح نبوخذنصر لمدينة صور قد تم دون قتال، اذ تم التوصل الى اتفاق بينه وبين ملكها ايتوبعل الثالث يقضي بتخلي ملك صور عن عرشه مع الاحتفاظ بالنظام الملكي والاستقلال الداخلي للمدينة مقابل تقديم ضمانات للبلاط البابلي، ومقابل هذا يؤمن البابليون حماية المدينة[٤]، ويبدو ان هذا الاحتمال مقنع اذا ما أخذنا بنظر الأعتبار طول المدة التي حاصر فيها الجيش البابلي المدينة مما اضطرها الى التسليم بعد ان يئست من مقاومة البابليين والتصدي لهم طيلة ثلاثة عشر عاماً من الحصار[٥]. ولم يحصل فيما بعد رد فعل في المدينة باستثناء تمرد ضعيف حدث في السنة الاخيرة من حكم بعل الثاني وتم دخول المدينة من جديد من قبل الجيش البابلي[٦].

وباخضاع صور اصبحت جميع بلاد الشام تحت سيادة الدولة البابلية. وبعد وفاة بعل الثاني عام ٥٦٤ ق.م لم ينصب نبوخذنصر ملكاً جديداً محله بل عين حكاماً حكموا المدينة بصفة موظفين بابليين مسؤولين عن ادارة المدينة التي بقيت في ظل الحكم البابلي مع بقية مناطق بلاد الشام حتى بعد وفاته عام ٥٦٢ ق.م ودخول الملك البابلي نرجال–شار–اوصر (٥٦٠–٥٥٦ ق.م) البلاد السورية في سنة حكمه الثالثة[٧].

أما الملك الأخير للدولة البابلية الحديثة نبونئيد (٥٥٦–٥٣٩ ق.م) فقد سجل لنا نشاطاً له في الجبهة الغربية في سنة حكمه الثالثة حيث وصل الى جبال الامانوس في الشمال الغربي من سوريا ثم دخل الصحراء ليحاصر مدينة (ايدوم)[٨] وقام بقتل ملكها[١] الذي ربما تمرد

---

(١) رو، جورج، العراق القديم، ص ٥٠٩.

(٢) حتي، فيليب، لبنان في التاريخ، ص ١٨٣.

(٣) وايزمن، دونالد، نبوخذ نصر وبابل، ص ٣٣.

(٤) الحوراني، يوسف، لبنان في قيم تأريخه، (بيروت، ١٩٧٢)، ص ١٥٦.

(٥) غزالة، هديب، الدولة البابلية الحديثة، ص٨٥.

(٦) باقر، طه، مقدمة...، ج١، ص ٢٩٦.

(٧) كلينغل، هورست، تأريخ سورية السياسي، ص ٢٦٠.

(٨) هي مدينة الجوف الواقعة على بعد ٢٨٠ ميل شرق ميناء العقبة. انظر:

عليه[٢]، ثم وضع حاميات عسكرية كانت مهمتها حماية المصالح التجارية البابلية في المنطقة وتسهيل عملية نقل اخشاب الارز الى بابل[٣] وهو يقول بصدد ذلك:

((قام شعب اكد وبلاد حتي بتأمين الحراسة لي وحققوا سلطتي على المسارات المعزولة البعيدة وعلى الطريق المنعزلة التي تنقلت فيها))[٤]

وهناك لوح كتابي محفوظ في متحف اللوفر يرجع بتأريخه الى السنة الخامسة من حكم نبونئيد يذكر فيه انه كان يجلب النحاس من جبال الامانوس والحديد من جبل لبنان الى عاصمته[٥]، مما يدل على العلاقة الطيبة بين بلاد الرافدين والبلاد السورية في هذه المرحلة الزمنية[٦] التي مثلت آخر عهود الحكم الوطني للعراق القديم لتشهد بعدها بابل في عام ٥٣٩ ق.م الغزو الاخميني، وكان مصير بلاد الشام مع مصير بلاد الرافدين اذ ان السيطرة على بابل ادى الى فتح ابواب بقية مناطق الشرق الادنى القديم التي تمكن الاخمينيون من غزوها ومن ضمنها البلاد السورية حتى مصر[٧].

ومع كل ما اسلفنا ذكره من فعاليات عسكرية عديدة قام بها ملوك العصر البابلي الحديث في البلاد السورية، وخصوصاً في عهد نبوخذنصر الثاني، الا انه لم يعثر لحد الان على شواهد لأعمالهم العمرانية في المنطقة مثل ما خلفه الاشوريون فيها، كما لم تدرس الطبقات الاثرية العائدة لهذه الحقبة الزمنية من تاريخ بلاد الشام دراسة مرضية[٨]. واعتماداً على ما عثر عليه لعدد من الاواني الفخارية فقد تم تشخيص الطبقات الاثارية في بعض المواقع السورية التي تعود لهذا العصر وهي:

١. المرحلة C من الطبقة الخامسة في تل مرديخ.
٢. الطبقة الخامسة من موقع عين دارا (٧ كم جنوب بلدة عفرين في حلب).
٣. المرحلتان B و C من الطبقة الثانية من تل ابو ضنة (٢٥ كم شرق حلب)[٩].

رو، جورج، العراق القديم، ص ٥١٥.

(1) Groyson, A. K. Assyrian and Babylonian,…, P 105-106.

(٢) الأحمد، سامي سعيد، العراق في التاريخ، ص ١٧٣.

(٣) كلينغل، هورست، تأريخ سورية السياسي، ص ٢٦٠.

(4) Gadd C. J. "The Harran Inscriptions of Nabonadus". AnSt. vol. 8, (London, 1958), P. 85.

(٥) كونتنيو، جورج، الحضارة الفينيقية، ص ٣٢٠.

(٦) كلينغل، هورست، تأريخ سورية السياسي، ص ٢٦٠.

(٧) خليفة، أمين، تاريخ سورية قبل الفتح الاسلامي، (بيروت، ١٩٣٠)، ص ١٨٢.

(٨) ابو عساف، علي، اثار الممالك القديمة، ص ٥١١.

(٩) المصدر نفسه.

كما تم العثور في دور –كاتليمو (تل الشيخ حمد) على اربعة الواح مسمارية في الزاوية الشمالية الغربية لأحدى الغرف وقد أرخت تلك الالواح ما بين السنوات الثانية والخامسة من عهد الملك نبوخذنصر الثاني[١]. وتلك الألوح تمثل عقود بيع وشراء اراضي وقد كتب اثنان منها بالخط الاشوري وهذا دليل على ان بعض الوثائق الكتابية بقيت تكتب بالآشورية في بعض المناطق التي كانت تحت السيادة الاشورية حتى بعد نهاية حكمهم لها[٢]. ويمكن القول ان البابليين اتبعوا طريقة الادارة الاشورية المعروفة بدقة تنظيمها في ادارة المنطقة اذ اتخذوا من مدينة دور –كاتليمو مركزاً لحكمهم[٣] فقد تم العثور على بناء جديد بني فيها اتخذه البابليون مقراً لهم في المنطقة وعرف هذا البناء من قبل المنقبين باسم (البيت الأحمر) وذلك بسبب طلاء جدرانه باللون الاحمر الفاتح[٤].

---

(١) كونه، هـ، معرض الآثار السوري–الاوربي، ص٩٩.

(٢) بوناتز، دومينيك وآخرون، الانهار والبوادي، ص ١٢٥–١٢٦.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٣٢.

(٤) المصدر نفسه.

The Role of Ancient Iraq Civilization in Biladul-sham (Syria)

Abstract

Since the ancient times, Iraq has enjoyed close historical relations with the neighbouring regions in order to obtain raw materials necessary for its civilization: metals, wood, stone and brick for construction, and jewels, which Mesopotamia was lacking in despite its huge water resources and agricultural crops.

The ancient Iraqis have, indeed, paid special attention to itineraries and routes; the best evidence of such interest is best witnessed in the installation of guide signs and the fixation of geographical landmarks identifying intineraries and routes. Samples of such landmarks have come down to us and are thought to have belonged to the Ancient Babylonian Dynasties (2nd Millennium B.C.).

The most significant region that enjoyed such relation with Mesopotamia was Syria where relations went down to the pre-historic periods. This has been confirmed by many archaeological studies conducted in a variety of sites in Mesopotamia. These relations continued along various periods-a fact that led to tracing remarkably identifiable cultural and civilization influences in all fields of human endeavors: intellect, creativity, and arts. The role of Mesopotamian civilization in Syria extended to cover various fields of Syria, but was evidently centered around North Syria-an act that rendered the site in complete unity with Mesopotamia. This role has encouraged the researcher and tempted him to elaborately investigate the subject afresh. Hence the significance of the thesis which aims at following up the role of Mesopotamian civilization in Syria from the pre-historic times until 539 B.C., the year of the fall of Babylon to the Ahmenians.

The study falls into six chapters each of which is subdivided into two sections. The first section of Chapter One is devoted to the investigation of the various names given to Syria as well as the routes linking it with Mesopotamia. The second section is a study of the geography of the region due to its significant role in fulfilling this end.

Chapter Two, however, deals with the peoples who resided in the region and how that enhanced the population unity, whereas the second section is given to the peoples who resided in Syria only. On the other hand, the first section of Chapter Three deals with the chronology and succession of civilization in the two regions to emphasize the significance

of these cultural and civilization relations as well as the archaeological sites in Syria by virtue of what has been collected through archaeological excavations. The second section of this chapter is devoted to the cultural relations in the fifth and fourth Millienniums B.C.

Section One of Chapter Four investigates the political relations between the two regions for the period (2371-2900 B.C) in Mesopotamia and (3200-1200 B.C.) in Syria. This investigation is made possible by few historical texts available in addition to archaeological evidence collected in the sites. The second section is, however, given to the politico-cultural links between the regions under the Akkadian Empire (2371-2160 B.C).

The first section of Chapter Five treats the Ancient Babylonian and Assyrian periods when traces of the relations are followed up. Section Two is indeed devoted to the political shifts and coups as well as various racial movements and political and social changes which the region witnessed.

Chapter Six deals with the role of the Mesopotamian civilization in Syria during the modern Assyrian period (911-612 B.C.)and modern Babylonian period (626-539 B.C.). The historical and archaeological nature of the study has called the research worker to consult a variety of references which have all proved very useful and significant to the objectives of the thesis.

المصادر العربية

١. الكتاب المقدس

٢. ابراهيم ، معاوية ، "العصور البرونزية في بلاد الشام " ، المؤتمر الخامس عشر للاثار والتراث الحضاري في الوطن العربي ، دمشق ، ٢٠٠٠.

٣. ابراهيم ، نجيب ميخائيل ، مصر والشرق الادنى القديم ،ج٣ ، ط١، ط٣ ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ١٩٦٦.

٤. الاحمد ، سامي سعيد ، السومريون وتراثهم الحضاري ، بغداد ، ١٩٧٥.

٥. الاحمد ، سامي سعيد ، العراق القديم ، ج١ ، بغداد ، ١٩٧٨.

٦. الاحمد ، سامي سعيد ، تاريخ فلسطين القديم ، بغداد ، ١٩٧٩.

٧. الاحمد ، سامي سعيد ، " سلالة بابل الحديثة " ، العراق في التاريخ ، بغداد ، ١٩٨٣ .

٨. الاحمد ، سامي سعيد ، " فترة العصر الكاشي " ، سومر ،١٩٨٣،٣٩.

٩. الاحمد ، سامي سعيد ، العراق القديم ، ج٢ ، بغداد ، ١٩٨٣.

١٠. الاحمد ، سامي سعيد وجمال رشيد احمد ، تاريخ الشرق القديم ، بغداد ، ١٩٨٨.

١١. الاحمد ، سامي سعيد ، "المدن الملكية العسكرية " ، المدينة والحياة المدنية ، ج١ ، بغداد ، ١٩٨٨.

١٢. الاحمد ، سامي سعيد ، " التجارة " ، موسوعة الموصل الحضارية ، ج١ ، الموصل ، ١٩٩١ .

١٣. احمد ، محمود عبدالحميد واخرون ، اثار الوطن العربي القديم ، دمشق ، ١٩٩٩.

١٤. احمد ، كوزاد محمد ، توكلتي –ننورتا – منجزاته في ضوء الكتابات المسمارية المنشورة وغير المنشورة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، ١٩٩٣ .

١٥. ادزارد ، اوتو ، " العصر البابلي القديم " ، الشرق الادنى الحضارات المبكرة ، ترجمة عامر سليمان ، الموصل ، ١٩٨٦.

١٦. ادزارد ، اوتو ، "سلالة اور الثالثة والدول الوارثة " ، الشرق الادنى الحضارات المبكرة ، ترجمة عامر سليمان ، الموصل ، ١٩٨٦.

١٧. اركي ، الفونسو ،" مارتو (الاموريون) في نصوص ايبلا " ، اضواء جديدة على تاريخ واثار بلاد الشام ، دمشق ، ١٩٨٩.

١٨. اسماعيل ، بهيجة خليل ، "الكتابة" ، حضارة العراق ، ج١ ، بغداد ، ١٩٨٥.

١٩. اسماعيل ، احمد علي ، تاريخ بلاد الشام ، م١ ، دمشق ، ١٩٩٨.

٢٠. اسماعيل ، شعلان كامل ، العلاقات الدولية في العصور العراقية القديمة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الموصل ، ١٩٩٠.
٢١. اسماعيل ، فاروق ، " قطنا (المشرفة) في وثائق العهد البابلي القديم " ، الحوليات السورية ، م٤٢ ، ١٩٩٦.
٢٢. الاعظمي ، محمد طه ، حمورابي ١٧٩٢–١٧٥٠ ق.م ، بغداد ، ١٩٩٠.
٢٣. الاعظمي ، محمد طه ، الاسوار والتحصينات في العمارة العراقية القديمة ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، ١٩٩٢.
٢٤. الاعظمي ، محمد طه ، " هيت في المصادر المسمارية " ، بحث مقبول للنشر في مجلة كلية الاداب ، جامعة بغداد، ٢٠٠١ .
٢٥. اكرمانس ، بيتر ،" التنقيبات الاثرية في (تل الدامشلية) " ، مستوطنة من العصر الحجري الحديث في وادي البليخ – سوريا الشمالية ، ترجمة شوقي شعث ، الحوليات السورية ، م٣٦ –٣٧ ، ١٩٨٦ –١٩٨٧.
٢٦. اكرمنس ، ب ، " تل صبي ابيض " ، معرض الاثار السوري الاوربي ، دمشق ، ١٩٩٦.
٢٧. امين ، محمد فتحي ، قاموس المصطلحات العسكرية ، بغداد ، ١٩٨٢.
٢٨. اوبنهايم ، ليو ، بلاد مابين النهرين ، ترجمة سعدي فيضي ، بغداد ، ١٩٨١.
٢٩. اوتس ، ديفيد وجون ، نشوء الحضارة ، ترجمة لطفي الخوري ، بغداد ، ١٩٨٨.
٣٠. اوتس ، جون ، بابل تاريخ مصور ، ترجمة سمير عبدالرحيم الجلبي ، بغداد ، ١٩٩٠.
٣١. ايست ، جوردن ، الجغرافية توجه التاريخ ، ترجمة جمال الدين الدناصوري ، القاهرة ، بدون سنة طبع .
٣٢. ايلاي ، جوسيت ، " المدن الفينيقية والامبراطورية الاشورية في عهد سرجون الثاني " ، سومر ، م٤٢ ، ج١–٢ ، ١٩٨٦.
٣٣. بارو ، اندريه ، " حفريات ماري الموسم الخامس عشر ١٩٦٥ " ، ترجمة عدنان الجندي ، الحوليات السورية ، م١٦ ، ج١ ، ١٩٦٦.
٣٤. بارو ، اندري ، سومر فنونها وحضارتها ، ترجمة عيسى سلمان وسليم التكريتي ، بغداد ، ١٩٧٩.
٣٥. بارو ، اندريه ، بلاد اشور ، ترجمة عيسى سلمان وسيم طه التكريتي ، بغداد ، ١٩٨٠.
٣٦. باقر ، طه ، "علاقات العراق القديم وبلدان الشرق الادنى " ، سومر ، م٤ ، ج١ ، ١٩٤٨.
٣٧. باقر ، طه ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج٢ ، بغداد ، ١٩٥٦.

٣٨. باقر ، طه ، المرشد الى مواطن الاثار والحضارة ، الرحلة الاولى ، بغداد ، ١٩٦٢.
٣٩. باقر ، طه ، موجز في تاريخ العلوم والمعارف في الحضارات القديمة والحضارة العربية الاسلامية ، بغداد ، ١٩٨٠.
٤٠. باقر ، طه ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج١ ، ط٢، بغداد ، ١٩٨٦.
٤١. باقر ، طه ، ملحمة كلكامش ، ط٥ ، بغداد ، ١٩٨٦.
٤٢. باقر ، طه ، واخرون ، العراق القديم ، ج١ ، اربيل ، ١٩٨٧.
٤٣. بدوي ، حسن ، " ملامح الحضارة الفينيقية في الوطن العربي " ، المؤتمر الخامس عشر للاثار والتراث الحضاري في الوطن العربي ، دمشق ، ٢٠٠٠.
٤٤. بفيلستر ، بيتر ، " تل البديري في حوض الخابور " ، اضواء جديدة على تاريخ واثار بلاد الشام ، ترجمة قاسم طوير ، دمشق ، ١٩٨٩.
٤٥. بهنسي ، عفيف ، الاثار السورية ، فينا ، ١٩٨٥.
٤٦. بوتشلاني ، جورجيو واخرون ، "الموسم التنقيبي الاول في تل العشارة (ترقاً) ، ترجمة شوقي شعث ، الحوليات السورية ، م٢٧–١٩٧٧،٢٨–١٩٧٨.
٤٧. بوتيرو ، جين ، " الامبراطورية السامية الاولى " ، الشرق الادنى الحضارات المبكرة ، ترجمة عامر سليمان ، الموصل ، ١٩٨٦.
٤٨. بوتيرو ، جين ، بلاد الرافدين الكتابة ، العقل ، الالهة ، ترجمة الاب البير ابونا ، بغداد ، ١٩٩١ .
٤٩. بورتر ، هارفي ، موسوعة مختصر التاريخ القديم ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٩١ .
٥٠. بوستغيت ، نيكولاس ، حضارة العراق واثاره ، ترجمة سمير عبدالرحيم الجلبي ، بغداد ، ١٩٩١.
٥١. بوناتز ، دومينيك ، وآخرون ، الانهار والبوادي – التراث الحضاري للجزيرة السورية وما حولها ، ترجمة هلا عطورة ، دمشق ، ١٩٩٩ .
٥٢. بيتل ، كورت ، " رأس تمثال المحارب من ماري " ، ترجمة هشام الصفدي ، الحوليات السورية ، م١٦ ، ١٩٦٦.
٥٣. بيغا ، ماريا جوفانا ، " حريم ملوك ابلا " ، اضواء جديدة على تاريخ واثار بلاد الشام ، ترجمة قاسم طوير ، دمشق ، ١٩٨٩.
٥٤. ببير ، دومينيك ، "تل مشنقة" ، معرض الاثار السوري الاوربي ، دمشق ، ١٩٩٦ .
٥٥. تشيركين ، يولي بوركوفيتس ، الحضارة الفينيقية في اسبانيا ، ترجمة يوسف ابو فاضل ، بيروت ، ١٩٨٧ .

٥٦. تقرير البعثة السورية – الفرنسية – الاسبانية المشتركة العاملة في موقع حالولة والمحفوظ في قسم التنقيبات – المديرية العامة للاثار والمتاحف السورية.
٥٧. تورنة ، س .ج ، " لوح توكلتي تنورتا الثاني " ، ترجمة صبحي الصواف ، الحوليات السورية ، م٢ ، ج٢ ، ١٩٥٢.
٥٨. تويسن ، آ ، " تل مشنقة " ، معرض الاثار السوري الاوربي ، دمشق ، ١٩٩٦ .
٥٩. الجادر ، وليد ، الحرف والصناعات اليدوية في العصر الاشوري المتأخر ، بغداد ، ١٩٧٢.
٦٠. الجادر ، وليد ، " العجلة وصناعة المعادن " العراق في موكب الحضارة ، ج١ ، بغداد ، ١٩٨٨.
٦١. الجر ، خليل ، مباحث في المدنية الاولى ، بيروت ، ١٩٥٦.
٦٢. جلب ، اجناس ، " تباين البيئة بين ايلا في شمالي سورية ولاجاش في جنوبي العراق " ، اضواء جديدة على تاريخ واثار بلاد الشام ، ترجمة قاسم طوير ، دمشق ، ١٩٨٩.
٦٣. جميل ، فؤاد ، " اين تقع مدينة اوبس " ، سومر ، م٢٣ ، ١٩٦٧.
٦٤. الجندي ، عدنان ، الفن العموري ، دمشق ، بدون سنة طبع .
٦٥. الجندي ، عدنان ، " تمثال من مقتنيات المتحف الوطني في دمشق " ، الحوليات السورية ، م-٨-٩ ، ١٩٥٨-١٩٥٩.
٦٦. الجندي ، عدنان ،" رأس شمرا اوغاريت / المدينة السورية الخالدة " ، الحوليات السورية ، م١٠ ، ١٩٦٠.
٦٧. جواد ، علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج١ ، ط١ ، بيروت ، ١٩٦٨.
٦٨. جونز ، آ ، مدن بلاد الشام ، ترجمة فؤاد عباس ، عمان ، ١٩٨٧ .
٦٩. الجوهري ، يسري ، جغرافية البحر المتوسط ، الاسكندرية ، ١٩٨٤.
٧٠. حامدة ، احمد ، مدخل الى اللغة الكنعانية الفينيقية ، دمشق ، ١٩٩٧.
٧١. حتي، فيليب ، سورية والسوريون من نافذة التاريخ ، نيويورك ، ١٩٢٦.
٧٢. حتي ، فيليب ، تأريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ج١ ، ترجمة جورج حداد وعبدالكريم رافق ، بيروت ، ١٩٥٨.
٧٣. حتي ، فيليب ، لبنان في التاريخ ، ترجمة انيس فريحة ، بيروت ، ١٩٥٩.
٧٤. حراق ، امير ، " تأثير الاكدية على الارامية الرسمية " ، بين النهرين ، العدد ٩٧-١٠٠ ، بغداد ، ١٩٩٧ .
٧٥. حسن ، سليم ، مصر القديمة ، ج١٢ ، القاهرة ، ١٩٥٧ .
٧٦. الحموي ، ياقوت ، معجم البلدان ، م٥ ، مطبعة السعادة ، ١٩٠٦.

٧٧. حنون ، نائل ، المعجم المسماري ، بغداد ، ٢٠٠١ .
٧٨. الحوراني ، يوسف ، لبنان في قيم تاريخه ، بيروت ، ١٩٧٢ .
٧٩. الخطيب ، محمد ، حضارة مصر القديمة ، دمشق ، ١٩٩٣ .
٨٠. الخلف ، جاسم محمد ، " جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية " ، محاضرات القيت على قسم الجغرافية والتاريخ في معهد الدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٦٥.
٨١. خليفة ، امين ، تاريخ سورية قبل الفتح الاسلامي ، بيروت ، ١٩٣٠.
٨٢. خمار ، قسطنطين ، موسوعة فلسطين الجغرافية ، بيروت ، ١٩٦٩ .
٨٣. خياطة ، محمد وحيد ، " ايبلا بين الواقع التاريخي والتفسير التوراتي " ، الحوليات السورية ، م٤٠ ، ١٩٩٠ .
٨٤. خياطة ، محمد وحيد ، " الاثار الارامية ومميزاتها في متحف حلب " ، الحوليات السورية ، م٤٣ ، ١٩٩٩ .
٨٥. دالي ، ستيفاني ، اساطير بلاد مابين النهرين ، ترجمة نجوى نصر ، بيروت ، ١٩٩٧
٨٦. دانيال ، كلين ، موسوعة علم الاثار ، ترجمة ليون يوسف ، ج٢ ، بغداد ، ١٩٩١.
٨٧. داود ، احمد ، تاريخ سوريا القديم ، دمشق ، ١٩٨٦.
٨٨. الدباغ ، تقي ووليد ،الجادر ، عصور قبل التاريخ ، بغداد ، ١٩٨٣.
٨٩. الدباغ ، تقي ، " الثورة الزراعية والقرى الاولى " ، حضارة العراق ، ، ج١ ، بغداد ، ١٩٨٥.
٩٠. دنتز ، جان ماري وغافليكوفسكي ، ميشيل ، المعبد السوري ، ترجمة موسى ديب الخوري، دمشق ، ١٩٩٦ .
٩١. الدوري ، رياض عبدالرحمن ، اشور بانيبال سيرته ومنجزاته ، بغداد ، ٢٠٠١ .
٩٢. دوسان ، جورج ، " موقع مدينة كحت " ، ترجمة ابو الفرج العش ، الحوليات السورية ، م١١-١٢ ، ١٩٦١-١٩٦٢.
٩٣. دوسو ، رينيه ، الديانات السورية القديمة ، ترجمة موسى الخوري ، دمشق ، ١٩٩٦
٩٤. دونان ، موريس ونسيب صليبي ، "البحث عن سيميرا " ، الحوليات السورية ،م٧ ،١٩٥٧.
٩٥. الراوي ، شيبان ثابت ، " الاراميون في الفرات الاعلى والاوسط وعلاقتهم بالدولة الاشورية "، بحث مقبول للنشر في مجلة المؤرخ العربي ، ٢٠٠١.
٩٦. الراوي ، شيبان ثابت ، اشور ناصر بال الثاني ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، ١٩٨٦ .
٩٧. الراوي ، عبدالجبار ، البادية ، ط١ ، بغداد ، ١٩٤٧.

٩٨. رشيد ، فوزي ، الشرائع العراقية القديمة ، ط٣ ، بغداد ، ١٩٨٧.
٩٩. الرفاعي ، انور ، حضارة الوطن العربي الكبير في العصور القديمة ، دمشق ، ١٩٧٢.
١٠٠. رفلة ، فيليب ومصطفى احمد سامي ، جغرافية الوطن العربي ، القاهرة ، ١٩٦٥ .
١٠١. رو ، جورج ، العراق القديم ، ترجمة حسين علوان ، بغداد ، ١٩٨٤ .
١٠٢. روليج ، و وهارتموت كونة ، " المسح الاثري لتلال الخابور الادنى لعام ١٩٧٥" ، الحوليات السورية ، م٢٧-٢٨ ، ١٩٧٧-١٩٧٨.
١٠٣. رووه ، اوليفيه ، " تل عشارة – ترقاً " ، معرض الاثار السوري الاوربي ، دمشق ، ١٩٩٦.
١٠٤. زهدي ، بشير ،" مملكة دمشق الارامية" ، الحوليات السورية ، م٨-٩ ، ١٩٥٨-١٩٥٩.
١٠٥. الزيباري ، اكرم سليم ، " العلاقات بين اقطار الشرق الادنى في القرن الرابع عشر قبل الميلاد " ، مجلة كلية الاداب ، جامعة بغداد ، العدد ٢٨ ، ١٩٨٠.
١٠٦. ساكز ، هاري ، عظمة بابل ، ترجمة عامر سليمان ، باريس ١٩٧٩.
١٠٧. ساكز ، هاري ، جبروت اشور الذي كان ، ترجمة احو يوسف ، دمشق ، ١٩٩٥ .
١٠٨. ساكز ، هاري ، قوة اشور ، ترجمة عامر سليمان ، بغداد ، ١٩٩٩.
١٠٩. ساكز ، هاري ، الحياة اليومية في العراق القديم ، ترجمة كاظم سعد الدين ، بغداد ، ٢٠٠٠.
١١٠. سرية ، احمد ، " تل عربيد ١٩٩٧ " ، الوقائع الاثرية في سورية ، العدد ٢ ، دمشق ، ١٩٩٨.
١١١. سعيد ، احمد ، " نشأة الديانة مابين الترحال والاستقرار خلال العصور الحجرية في بعض بلاد الشرق الادنى " ، بحوث المؤتمر الخامس عشر للاثار والتراث الحضاري في الوطن العربي ، دمشق ، ٢٠٠٠.
١١٢. سعيد ، احمد ، " عقائد الدفن وعبادة الاسلاف فيما قبل التاريخ في الشرق الادنى القديم " ، دراسات في اثار الوطن العربي ، ج١ ، القاهرة ، ٢٠٠٠.
١١٣. سعيد ، مؤيد ، " العمارة " ، حضارة العراق ، ج١ ، بغداد ، ١٩٨٥.
١١٤. سعيد ، مؤيد ، " العصر الحجري الحديث – فترة ماقبل الفخار في العراق وبلاد الشام " ، بحوث المؤتمر الخامس عشر للاثار والتراث الحضاري في الوطن العربي ، دمشق ،٢٠٠٠.
١١٥. سليمان ، انطوان ، "معبد من الالف الثالث قبل الميلاد في موقع الانصاري " ، الحوليات السورية ، م٤٣ ، ١٩٩٩.

١١٦. سليمان ، انطوان ومارك لوبو ، " تل بيدر " ، معرض الاثار السوري الاوربي ، دمشق ، ١٩٩٦ .
١١٧. سليمان ، انطوان ، " تل بيدر " ، معرض الاثار السوري – الاوربي ، دمشق ١٩٩٦.
١١٨. سليمان ، توفيق ، دراسات في حضارات غرب اسيا القديمة ، ط١ ، دمشق ، ١٩٨٥.
١١٩. سليمان ، عامر واحمد مالك الفتيان ، محاضرات في التاريخ القديم ، الموصل ، ١٩٧٨.
١٢٠. سليمان ، عامر ، " العلاقات السياسة الخارجية" ، حضارة العراق ، ج٢ ، بغداد ، ١٩٨٥.
١٢١. سليمان ، عامر ، القانون في العراق القديم ، ط٢ ، بغداد ، ١٩٨٧.
١٢٢. سليمان ، عامر ، " الجيش والسلاح في العصر الاشوري " ، الجيش والسلاح ، ج١ ، بغداد ، ١٩٨٧.
١٢٣. سليمان ، عامر ، " الحياة الاجتماعية والخدمات في المدن العراقية في الازمنة التاريخية القديمة " ، المدينة والحياة المدنية ، ج١ ، بغداد ، ١٩٨٨.
١٢٤. السماك ، محمد ازهر وهاشم خضير الجنابي ، جغرافية الوطن العربي ، الموصل ، ١٩٨٥.
١٢٥. سوسة ، احمد ، العرب واليهود في التاريخ ، ط١ ، بغداد ، ١٩٧٢.
١٢٦. سوسة ، احمد ، تاريخ حضارة وادي الرافدين ، ج٢ ، بغداد ، ١٩٨٦.
١٢٧. سولبجر ، ادموند ، " ما يسمى بالمعاهدة بين ايبلا واشور " ، ايبلا – عبلاء – الصخرة البيضاء ، ترجمة قاسم طوير ، دمشق ، ١٩٨٤.
١٢٨. سومر ، دربونت ، " الآراميون " ، ترجمة البيرابونا ، سومر ، م١٩ ، ج١ ، بغداد ، ١٩٦٣.
١٢٩. سومير ، اندريه دوبون ،" ثلاث انصاب ارامية مصدرها السفيرة " ، ترجمة عدنان النبي ، الحوليات السورية ، م١٠ ، ١٩٦٠.
١٣٠. الشامي ، كامل خالد ، جغرافية فلسطين ، عمان ، ١٩٩١.
١٣١. شترومنغر ، ايفا ،" ارسلان طاش (حداتو) " ، الاثار السورية ، فينا ، ١٩٨٥.
١٣٢. شترومنغر ، ايفا ، حبوبة الكبيرة مدينة عمرها خمسة الاف عام ، ترجمة ماجد الموصلي ، دمشق ، ١٩٨٤.
١٣٣. شترومنغر ، ايفا ، " جولة في تاريخ الحضارة السورية " ، الاثار السورية ، فينا ، ١٩٨٥.
١٣٤. شترومنغر ، ايفا ودكاي ، كولماير ، " بلاد بعل " ، الاثار السورية ، فينا ، ١٩٨٥.
١٣٥. شترومنغر ، ايفا ، " عصر فجر التاريخ" ، الاثار السورية ، فينا ، ١٩٨٥.

١٣٦. شترومنغر ، ايفا ،" تل احمر (برسيب كار شلمانصر) " ، الاثار السورية ، فينا ، ١٩٨٥.
١٣٧. شترومنغر ، ايفا ، " تل البيعة " ، معرض الاثار السوري الاوربي ، دمشق ، ١٩٩٦.
١٣٨. الشرجي ، جمال عبدالواسع ، الجزريون هجراتهم ومراكز حضارتهم في بلاد الرافدين حتى نهاية الاف الثالث ق.م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، ١٩٩٤.
١٣٩. شريف ، ابراهيم ، الموقع الجغرافي للعراق واثره في تاريخه العام حتى الفتح الاسلامي ، ج١ ، بغداد ، بدون سنة طبع.
١٤٠. الشمري ، طالب منعم ، الوضع السياسي في الشرق الادنى القديم بين القرنين السادس عشر والحادي عشر ق.م ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، ١٩٩٦.
١٤١. الشواف ، قاسم ، اخبار اوغاريتيه وموسيقى من اوغاريت ، دمشق ، ١٩٩٩.
١٤٢. الشوك ، علي ، الاساطير بين المعتقدات القديمة والتوراة ، لندن ، ١٩٨٧.
١٤٣. شيفر ، كلود ،" موسم الحفائر الرابع والعشرين في رأس شمرا "، ترجمة بشرى زهدي ، الحوليات السورية ، م١٣ ، ١٩٦٣.
١٤٤. الصفدي ، هشام ،" تاريخ رأس لمحارب من ماري " ، الحوليات السورية ، م١٦ ، ج١ ، ١٩٦٦.
١٤٥. الصواف ، صبحي ، " ملوك حلب من السلالة العمورية في ابتداء الالف الثاني ق.م "، الحوليات السورية ، م٧ ، ١٩٥٧.
١٤٦. الصياد ، محمد محمود ، معالم جغرافية الوطن العربي ، م١ ، بيروت ، ١٩٧٠.
١٤٧. الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٢ ، القاهرة ، ١٩٣٩.
١٤٨. طه ، حمدان ، " العلاقات مابين مصر وكنعان في العصر البرونزي " ، المؤتمر الخامس عشر للاثار والتراث الحضاري في الوطن العربي ، دمشق ، ٢٠٠٠.
١٤٩. طوير ، قاسم ، " ارتحال المدن ومواطن الاستقرار في حوض الفرات عبر العصور" ، اضواء جديدة على تاريخ واثار بلاد الشام ، دمشق ، ١٩٨٩.
١٥٠. طوير ، قاسم " حضارات الخابور " ، اضواء جديدة على تاريخ واثار بلاد الشام ، دمشق ، ١٩٨٩.
١٥١. عبدالله ، محمد صبحي ، العراق وبلاد الشام الصلات الحضارية والسياسية منذ عصور ماقبل التاريخ حتى نهاية العصر البابلي القديم ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، الجامعة المستنصرية ، ١٩٩٠.
١٥٢. عبدالله ، محمد صبحي ، العلاقات العراقية – المصرية في العصور القديمة ، بغداد ، ١٩٩٠.

١٥٣. عبدالله ، فيصل ، "دور السلالة الحلبية الاولى في تجارة الشرق وشمال سورية في القرنين الثامن عشر والسابع عشر ق.م " ، الحوليات السورية ، م٤٣ ، ١٩٩٩.
١٥٤. عبدالله ، فيصل ، " دور السلالة الحلبية الاولى في تجارة الشرق وشمال سورية في القرنين الثامن عشر والسابع عشر ق.م" ، الحوليات السورية ، م٤٣ ، ١٩٩٩.
١٥٥. عبدالرحمن ، محمد تقي وعبدالعزيز، عثمان ، الوطن العربي (سورية ولبنان) ، حلب ، ١٩٥٤ .
١٥٦. عبدالسلام ، عادل ، " الموقع الجغرافي لحلب وبيئتها الطبيعية " ، الحوليات السورية ، م٤٣ ، ١٩٩٩.
١٥٧. عبدالسلام ، عادل ، " جغرافية الوطن العربي عامل توحيد وتواصل " ، المؤتمر الخامس عشر للاثار والتراث الحضاري في الوطن العربي ، دمشق ، ٢٠٠٠ .
١٥٨. عبودي ، هنري ، معجم الحضارات السامية ، طرابلس ، ١٩٩١.
١٥٩. عرب ، معن ، صور حاضرة فينيقيا ، بيروت ، ١٩٧٠.
١٦٠. ابو عساف ، علي ، اثار الممالك القديمة في سورية ، دمشق ، ١٩٨٨.
١٦١. ابو عساف ، الاراميون تاريخاً ولغة وفناً ، طرطوس ، ١٩٨٨.
١٦٢. ابو عساف ، علي ، " الاراميون " ، المؤتمر الخامس عشر للاثار والتراث الحضاري في الوطن العربي ، دمشق ، ٢٠٠٠ .
١٦٣. العطار ، نادر ، " منطقة الخابور الاثرية " ، الحوليات السورية ، م٢ ، ١٩٥٢.
١٦٤. ابو العلا ، محمد طه ، جغرافية العالم العربي ، ط٣ ، القاهرة ، ١٩٨٢ .
١٦٥. علام ، نعمت اسماعيل ، فنون الشرق الاوسط والعالم القديم ، القاهرة ، ١٩٧٥.
١٦٦. علي ، فاضل عبدالواحد ، " الاكديون : دورهم في المنطقة" ، مجلة كلية الاداب– جامعة بغداد ، العدد ٢٤ ، ١٩٧٩ .
١٦٧. علي ، فاضل عبدالواحد ، " السومريون والاكديون " ، العراق في التاريخ ، بغداد ، ١٩٨٣.
١٦٨. علي ، فاضل عبدالواحد ، " حضارة بلاد الرافدين : طرق انتشارها وابرز تأثيراتها في بلاد الشام ومصر" ، مجلة دراسات في التاريخ والاثار ، العدد ٦ ، بغداد ، ١٩٨٩.
١٦٩. علي ، فاضل عبدالواحد ، من الواح سومر الى التوراة ، بغداد ، ١٩٨٩.
١٧٠. علي ، فاضل عبدالواحد ، الطوفان في المراجع المسمارية ، ط٢ ، دمشق ، ١٩٩٩.
١٧١. علي ، قاسم محمد ، سرجون الاشوري (٧٢١–٧٠٥ ق.م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، ١٩٨٢.
١٧٢. غريبة ، عزالدين ، فلسطين تاريخها وحضارتها ، بغداد ، ١٩٨١.

١٧٣. غريبة ، عز الدين اسماعيل ، " الحضارة العبيدية في فلسطين " ، سومر ، م٤٥ ، ١٩٨٧-١٩٨٨ .

١٧٤. غزالة ، هديب حياوي ، الدولة البابلية الحديثة (٦٢٦ – ٥٣٩ ق.م) ، دمشق ، ٢٠٠١

١٧٥. غولفن ، ل واخرون ، " مسكنه باليس " ، معرض الاثار السوري الاوربي ، دمشق ، ١٩٩٦.

١٧٦. فرانكفورت ، هنري ، فجر الحضارة في الشرق الادنى ، ترجمة ميخائيل خوري ، بيروت ١٩٥٩.

١٧٧. فرحان ، وليد محمد صالح ، العلاقات السياسية للدولة الاشورية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، ١٩٧٦.

١٧٨. فرحان ، وليد محمد صالح ، " الصراع الدولي في الشرق الادنى بين القرنين الخامس عشر والثالث عشر قبل الميلاد " ، مجلة اداب الرافدين ، العدد ١١، الموصل ، ١٩٧٩.

١٧٩. فريحة ، انيس ، احيقار حكيم من الشرق القديم ، بيروت ، ١٩٦٢.

١٨٠. فريحة ، انيس ، ملاحم واساطير من اوغاريت ، بيروت ، ١٩٨٠.

١٨١. فنطر ، محمد ، " الحضارة الفينيقية في البحر الابيض المتوسط " ، المؤتمر الخامس عشر للاثار والتراث الحضاري في الوطن العربي ، دمشق ، ٢٠٠٠ .

١٨٢. الفونسو ، آركي ، " آلهة ابلا في الالف الثالث ق.م وآلهة اوغاريت " ، الحوليات السورية ، م٢٩ –٣٠ ، ١٩٧٩–١٩٨٠.

١٨٣. فيرا ، موريس ، الاشوريون ، ترجمة عبالكاظم راضي ، بحث غير منشور مقدم الى كلية اللغات – جامعة بغداد لنيل شهادة الدبلوم العالي ، ١٩٩٧ .

١٨٤. فيركوتز ، جين ، "سقوط المملكة القديمة والفترة المتوسطة الاولى " ، الشرق الادنى الحضارات المبكرة ، ترجمة عامر سليمان ، الموصل ، ١٩٨٦.

١٨٥. فينيه ، اندريه ، " الفرات طريق تجاري لمنطقة مابين النهرين "، تعريب محمود حرتياني الحوليات السورية ، م١٩ ، ١٩٦٩.

١٨٦. قابلو ، جباغ ، " توسع اورارتو نحو شمال سورية في القرنين التاسع والثامن ق.م" ، الحوليات السورية ، م٤٣ ، ١٩٩٩ .

١٨٧. قبيسي ، محمد بهجت ، " تفسير بعض اسماء الاماكن الجغرافية " ، الحوليات السورية ، م٤٣ ، دمشق ، ١٩٩٩.

١٨٨. القيم ، علي ، امبراطورية ابلا ، دمشق ، ١٩٨٩.

١٨٩. كاكو ، اندريه ، " نظرات في لغة الاموريين في ماري وآلهتهم " ، ترجمة جورج حداد، الحوليات السورية ، ج١ ، ١٩٥١.

١٩٠. كريمر ، صموئيل نوح ، السومريون ، ترجمة فيصل الوائلي ، الكويت ، ١٩٧٣.
١٩١. كسار ، اكرم محمد ، عصر حلف في العراق ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، ١٩٨٢ .
١٩٢. كفافي ، زيدان ، الاردن في العصور الحجرية ، عمان ، ١٩٩٠.
١٩٣. كفافي ، زيدان عبدالكافي ، " بلاد الشام في عصور ماقبل التاريخ " ، المؤتمر الخامس عشر للاثار والتراث الحضاري في الوطن العربي ، دمشق ، ٢٠٠٠.
١٩٤. كلينغل ، هورست ، حمورابي ، ملك بابل وعصره ، ترجمة غازي شريف ، بغداد ، ١٩٨٧.
١٩٥. كلينغل ، هورست ، " منطقة ادلب في العصر البرونزي على ضوء المصادر الكتابية " ، ترجمة شوقي شعث ، الحوليات السورية ، م٤٠ ، ١٩٩٠ .
١٩٦. كلينغل ، هورست ، تاريخ سورية السياسي ، ترجمة سيف الدين دياب ، دمشق ، ١٩٩٨ .
١٩٧. كلينغل ، هورست وايفيلين ، " اله الطقس السوري والعلاقات التجارية "، الحوليات السورية ، م٤٣ ، ١٩٩٩ .
١٩٨. كوفان ، جاك ، الآلوهية والزراعة ثورة الرموز في العصر النيوليثي ، ترجمة موسى الخوري ، دمشق ، ١٩٩٩.
١٩٩. كول ، سونيا ، ثورة العصر الحجري الحديث ، ترجمة تقي الدباغ ونادية الدبوني ، بغداد ، ١٩٨٨ .
٢٠٠. كولماير ، كاي ، " عصر السلالات الملكية الاولى " ، الاثار السورية ، فينا ، ١٩٨٥.
٢٠١. كونتنسون ، هـ وفان ليري ، تقرير اولي عن اول عملية سبر جرت في بقراس سنة ١٩٦٥ ، الحوليات السورية ، م١٦ ، ١٩٦٦ .
٢٠٢. كونتنو ، جورج ، الحضارة الفينيقية ، ترجمة محمد عبدالهادي ، القاهرة ، ١٩٤٨.
٢٠٣. كونه ، كورد ، " سورية – بلاد الرافدين – اسيا الصغرى في الالف الثالث والثاني ق.م" ، الاثار السورية ، فينا ، ١٩٨٥.
٢٠٤. كونه ، هارتموت ،" تقرير اولي عن حفريات تل الشيخ حمد (دوركاتليمو) موسم ١٩٨٦، ترجمة خالد الاسعد ، الحوليات السورية ، م٣٦-٣٧ ، ١٩٨٦-١٩٨٧.
٢٠٥. كونه ، هارتموت ، " تل الشيخ حمد – دور كاتليمو " ، معرض الاثار السوري – الاوربي ، دمشق ، ١٩٩٦ .
٢٠٦. كونه ، هارتموت ، وآخرون ، الاختام الاسطوانية في سورية بين ٣٣٠٠-٣٣٠ ق.م ، ترجمة علي ابو عساف وقاسم طوير ، دمشق ، ١٩٩٨ .

٢٠٧. لمبرت ، موريس ، "عصر ماقبل سرجون " ، ترجمة فرج بصمجي ، سومر ، م٨ ، ١٩٥٢ .
٢٠٨. لوبو ، مارك ، " طرق الاتصال في بلاد الرافدين العليا في الالف الثالث ق.م " ترجمة احمد طرقجي ، الحوليات السورية ، م٤٣ ، دمشق ١٩٩٩.
٢٠٩. لون ، موريتس فان ، " النتائج الاولية لحفريات عام ١٩٦٧ بتل سلنكحية " ، ترجمة شوقي شعث ، الحوليات السورية ، م١٨ ، ١٩٦٨.
٢١٠. لون ، موريتس فان واخرون ،" نتائج حفريات موسم ١٩٨٦ في حمام التركمان وصبي ابيض "، الحوليات السورية ، م٣٦-٣٧ ، ١٩٨٦-١٩٨٧.
٢١١. لويد ، ستين ، اثار بلاد الرافدين ، ترجمة سامي سعيد الاحمد ، بيروت ، ١٩٨٠.
٢١٢. لير ، فان وكونتانسون ، " مذكرة عن خمسة مواقع من الدور الحجري الحديث في سوريا "، ترجمة عدنان النبي ، الحوليات السورية ، م١٣ ، ١٩٦٣.
٢١٣. ليري ، فان ، " العواصم والقلاع في العصر البرونزي الحديدي في سورية وعلاقاتها مع اليابسة والماء " ترجمة فيصل الصيرفي ، الحوليات السورية ، م١٣ ، دمشق ، ١٩٦٣.
٢١٤. ماتييه ، باولو ، " حفريات بعثة جامعة روما في تل مرديخ عام ١٩٦٥ " ، ترجمة نادر العطار ، الحوليات السورية ، م١٧ ، ج١-٢ ، ١٩٦٧.
٢١٥. ماتييه ، باولو واخرون ، مملكة ايبلا وعلاقاتها الدولية في الالف الثالث قبل الميلاد ، ترجمة قاسم طوير ، روما ، ١٩٨٣ .
٢١٦. ماتييه ، بولو وآخرون ، ايبلا – عبلاء ، الصخرة البيضاء ، ترجمة قاسم طوير ، دمشق ، ١٩٨٤.
٢١٧. ماتييه ، باولو ، " تل مرديخ – ابلا " ، معرض الاثار السوري الاوربي ، دمشق ،١٩٩٦ .
٢١٨. ماتييه ، باولو ، مقابلة شخصية في دمشق بتاريخ ٢٠٠٠/٨/٨ .
٢١٩. مارغورون ، جان كلود ، " سورية من عصر البرونز الى وصول الاغريق " ، معرض الاثار السوري الاوربي ، دمشق ، ١٩٩٦ .
٢٢٠. ماكس ، مالوان ، مذكرات مالوان ، ترجمة سمير الجلبي ، بغداد ، ١٩٨٧.
٢٢١. مالوان ، ماكس ، حضارة عصر فجر السلالات في العراق ، ترجمة كاظم سعد الدين ، بغداد ، ٢٠٠١ .
٢٢٢. مجموعة من الباحثين ، " بواكير خط المدن في الفرات الاوسط " ، اضواء جديدة على تاريخ واثار بلاد الشام ، ترجمة قاسم طوير ، دمشق ، ١٩٨٩.
٢٢٣. ابو المحاسن ، عصفور ، معالم تاريخ الشرق الادنى القديم ، القاهرة ، ١٩٨١.

٢٢٤. محمد ، حياة ابراهيم ، نبوخذ نصر الثاني ، بغداد ، ١٩٨٣.
٢٢٥. محمد ، رغد عبدالقادر ، العصر الاكدي معطياته الحضارية والفنية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، ١٩٩٦ .
٢٢٦. محمد ، قاسم ، التناقض في تواريخ واحداث التوراة ، قطر ، ١٩٩٢ .
٢٢٧. محيسن ، سلطان ، " سورية في عصور ماقبل التاريخ " ، معرض الاثار السوري الاوربي ، دمشق ، ١٩٩٦ .
٢٢٨. محيسن ، سلطان ، عصور ماقبل التاريخ ، دمشق ، ١٩٨٧ .
٢٢٩. محيسن ، سلطان ، " الوحدة الحضارية في الوطن العربي القديم – عصور ماقبل التاريخ" ، بحوث المؤتمر الخامس عشر للاثار والتراث الحضاري في الوطن العربي ، دمشق ، ٢٠٠٠ .
٢٣٠. مرعي ، عيد ، " ادريمي ملك الالاخ " ، مجلة دراسات تاريخية ، العدد ٢٩-٣٠ ، دمشق ،١٩٨٨.
٢٣١. مرعي ، عيد ، تاريخ بلاد الرافدين منذ اقدم العصور حتى عام ٥٣٩ ق.م ، دمشق ، ١٩٩١.
٢٣٢. مرعي ، عيد ، " التجارة في ايبلا " ، مجلة دراسات تاريخية ، العدد ٤٥-٤٦ ، دمشق ، ١٩٩٣.
٢٣٣. مرعي ، عيد ، " ملاحظات عن الكتابات المسمارية في ايبلا " ، بحث القي في الندوة الاقليمية عن الكتابات المسمارية في بلاد الشام حتى ظهور الاسلام ، عمان ، ١٩٩٤ .
٢٣٤. مرعي ، عيد ، ابلا تاريخ وحضارة اقدم مملكة في سورية ، دمشق ، ١٩٩٦ .
٢٣٥. مرعي ، عيد ، " تدمر محطة هامة على طريق القوافل خلال الالف الثاني قبل الميلاد " ، الحوليات السورية ، م٤٢ ، ١٩٩٦ .
٢٣٦. مرعي ، عيد وفيصل عبدالله ، تاريخ الوطن العربي القديم ، ط٢ ، دمشق ، ١٩٩٩ .
٢٣٧. مرعي ، عيد ، " التجارة بين ماري ويمحاض في القرن الثامن عشر قبل الميلاد " ، مجلة دراسات تاريخية ، العددان ٦٧-٦٨ ، دمشق ، ١٩٩٩ .
٢٣٨. مرعي ، عيد ، التاريخ القديم ، ط٢ ، دمشق ، ٢٠٠٠ .
٢٣٩. مرغرون ، ك ، " ماري " ، المساهمة الفرنسية في دراسة الاثار السورية ١٩٦٩-١٩٨٩، دمشق ، ١٩٨٩.
٢٤٠. منشاييف ، رؤوف ونيقولاي ، ميربرت ، " اصول اقدم الحضارات الزراعية في شمال شرقي سورية وتطورها" ، تعريب هالة مصطفى ، الحوليات السورية ، م٤٣ ، ١٩٩٩ .

٢٤١. منصور ، ماجدة حسو ، الصلات الاشورية – الارامية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، ١٩٩٥ .

٢٤٢. ابن منظور ، لسان العرب ، م٢ ، م١٣، بيروت ، ١٩٥٦ .

٢٤٣. مورتكارت ، انطوان ، " تل خويرة في شمال الجزيرة عام ١٩٥٨ " ، ترجمة كامل عباد ، الحوليات السورية ، م١٠ ، ١٩٦٠.

٢٤٤. مورتكارت ، انطوان ، " تل خويرة في شمال سورية " ، ترجمة علي ابو عساف ، الحوليات السورية ، م١٦ ، ج١ ، ١٩٦٦ .

٢٤٥. مورتكارت ، انطوان ، تاريخ الشرق الادنى القديم ، ترجمة توفيق سليمان واخرون ، دمشق ، ١٩٦٧.

٢٤٦. مورتكارت ، انطوان ، الفن في العراق القديم ، ترجمة عيسى سلمان وسليم التكريتي ، بغداد ، ١٩٧٥.

٢٤٧. موسكاتي ، سبتينو ، الحضارات السامية القديمة ، ترجمة السيد يعقوب بكر ، القاهرة ، بدون سنة طبع .

٢٤٨. موسى ، مريم عمران ، الفكر الديني عند السومريين في ضوء المصادر المسمارية ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، ١٩٩٦ .

٢٤٩. موليست ، م " تل حالولة " ، معرض الاثار السوري الاوربي ، دمشق ، ١٩٩٦ .

٢٥٠. موليست ، ميغيل ، "العصر الحجري في الالف التاسع والثامن ق.م في شمال سورية – نتائج التنقيبات في تل حالولة (وادي الفرات ، سورية) " الحوليات السورية ، م٤٣ ، ١٩٩٩ .

٢٥١. المومني ، احمد محمد خير ، العمونيون ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الاردنية ، ١٩٩٦ .

٢٥٢. المياح ، علي محمد ، " الصلة بين التاريخ والجغرافية " ، مجلة كلية الاداب – جامعة بغداد ، العدد ٥٣ ، ٢٠٠١ .

٢٥٣. الناضوري ، رشيد ، التطور التاريخي للفكر الديني ، بيروت ، ١٩٦٩.

٢٥٤. النص ، عزة ، " مع الواقدي في فتوح الشام " ، الحوليات السورية ، م٢ ، ج٢ ، دمشق ، ١٩٥٢ .

٢٥٥. هاردنج ، لانكستر ، اثار الاردن ، ترجمة سليمان موسى ، ط١ ، عمان ، ١٩٦٥.

٢٥٦. الهاشمي ، رضا ، المدخل لاثار الخليج العربي ، بغداد ، ١٩٨٠ .

٢٥٧. الهاشمي ، رضا جواد ، " دور نهر الفرات في الامتدادات الحضارية لبلاد وادي الرافدين " ، بين النهرين ، العدد ٤٤ ، ١٩٨٣.

٢٥٨. الهاشمي ، رضا جواد ، " التجارة " ، حضارة العراق ، ج٢ ، بغداد ، ١٩٨٥.
٢٥٩. هالدار ، الفرد ، العموريون من هم وماهي مواطنهم ، ترجمة شوقي شعث ، دمشق ، ١٩٩٣ .
٢٦٠. هاينريش ، ارنست ، "التنقيب في تل حبوبة الكبيرة وتل ممباقة "، ترجمة قاسم طوير ، الحوليات السورية ، م٢٠ ، ١٩٧٠.
٢٦١. هودجز ، هنري ، التقنية في العالم القديم ، ترجمة رندة قاقيش ، بيروت ، ١٩٩٥ .
٢٦٢. هول ، فرانك ،" تقرير اولي عن حفريات (ام قصير) على الخابور موسم "١٩٨٦ ، ترجمة خالد الاسعد ، الحوليات السورية ، م٣٦-٣٧ ، ١٩٨٦-١٩٨٧.
٢٦٣. هولاند ، توماس ، " دليل على التجارة في تل السويحات خلال النصف الثاني من الالف الثالث قبل الميلاد " ، ترجمة هالة مصطفى ، الحوليات السورية ، م٤٣ ، ١٩٩٩.
٢٦٤. وايزمن ، دونالد ، نبوخذ نصر وبابل ، ترجمة نائل حنون ، بغداد ، ١٩٨٨.
٢٦٥. اليوسف ، يوسف سامي ، فلسطين في التاريخ القديم ، عمان ، ١٩٩٩ .
٢٦٦. يون ، م ، " رأس الشمرة (اوغاريت) " ، معرض الاثار السوري الاوربي ، دمشق ، ١٩٩٦ .
٢٦٧. الحاج يونس ، ريا محسن ، فجر الحضارة السومرية في ضوء اختام عصري الوركاء وجمدة نصر ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، ١٩٩٨.

المصادر الاجنبية

1. Aharoni , Y, “ Three Hebrew Ostract from Arad , BASOR 197 , 1970 .
2. Akkermans , P.” Excavations at tell Sabi Abyad , Worthern Syria , Recontre 36 Assyriologique International ,Vol.2, Cheat , 1989 .
3. Akkermans , P.,”Tell Sabi Abyad “ , Chronique Archeologique en Syrie , Vol I , Damas , 1992 .
4. Albright , W.”Ostraca No.6043 from Ezion geber “, BASOR , 82,1941.
5. Algaze , G, “Habuba on the Tigris : archaic Ninevch reconsidered “ , JNES , Vol 45. No.2 , 1986 .
6. Archi , A.,Agricultural production in the Ebla region , AAAS , Vol 40 , 1990 .
7. Artzi , pand Malamat.A., “The correspondence of shibtu Queen of mari , Orientalia , Vol 40 , face 1, 1971 .

8. Astour , M.C., “Hattusilis Halab and Hanigalbat “, JNES , Vol 31, No.2 ,1972.
9. Astour , M.C. An outline of the history of Ebla , part 1 , Eblatica , Vol. 3 , 1992.
10. Badre , L.,”Tell Kazel “ , Chronique Archeologique En Syrie , Vol 1 , Damas , 1992.
11. Baqir , T,”Date formulae and Date List from Harmal : , Sumer , Vol 5 , 1949.
12. Beitzel , B.J., Isme-dagans military actions in the Jezirah , IRAQ , Vol 36 , Part 1 , 1984.
13. Bermant , C and M.Weitzman , Ebla , London , 1974.
14. Beyer , D., “Mission archeologique Francise de Mashnaqa “ , Chronique Archeologique En Syrie Vol I , Syrie , 1992.
15. Bottero , J. “Syria at the time of the King of Agade “ , CAH , Vol 1 , Part 2 , Cambridge , 1971.
16. Bounni , A., The cuneiform writing and Ebla , Ages , Vol 1 , Part 2 , London, 1986 .
17. Braidwood , R and Braidwood , L., Excavation in the plan of Antioch , Chicago , 1960.
18. Brentijes, B., Von Schanidar bis Akkad, Berlin, 1968.
19. Brinkman , J.A., “Elamite Military Aid to Merduk – Baladan , JNES , Vol , 14 . No.3 , 1965 .
20. Brinkman , J.A.,A Political History of Post Kassite Babylonia 1158 –722 B.C, Roma , 1968 .
21. Cameron , O.G., Early History of Iran , Chicago , 1968 .
22. Cannuyer , C., “Apropos de lorigine du nom de la Syrie “ , JNES , Vol 44 , No.2 . 1985 .
23. Contenson , H., “ Three Soundings in the Jordan Vally “ , Annual of Department of Antiquities of Jordan , 4-5 (1960).
24. Cuterbock , H., “ A note on the Stela of Tukulti – Ninurta 11 found near tell – Ashara , JNES , Vol 16 , No.2 , 1957 .
25. Daiches , S., The Jews in Babylonia In the time of Ezra And Nehemiah According to Babylonia Insecriptions , London , 1919.
26. Dally , S.Mari and Karana Two old Babylonian Cities , London , 1984 .
27. Delaporte , L.,Mesopatamia , London , 1970 .
28. Diakonoff , I.M.”Early despotisms in mesopotamia “ , Early Antiquity , Chicago , 1991.
29. Dornemaqnn , R., “ Tell Qarqur 1996 “ , Tell Qarqur 1997. Chronique Archeologique En Syria , Vol 2 , Syria , 1998 .
30. Dossin , G., “ Les Archives economiques dupalais de Mari “, Syria , Vol 20 , 1939.
31. Dossin , G, “ Inscription de foundation de lahdun-Lim “, Syria , Vol 32 , Paris , 1955.
32. Dounand , M., and others , Fouilles de tell Kazel , AAAS, 1964.
33. Driver , G.R.and Miles , J.C., The Babylonian Laws , Vol I , Oxford , 1952.
34. Fortin , M., Syria Land of Civilizations , Quebec , 1999.
35. Foster., B., “ commerical Activity in sarganic mesopotamia , IRAQ , Vol 39. Part 1, 1977 .

36. Gadd , G.J." The Harran Inscriptions of nabonidus " , AnSt Vol 8 , London ,1958 .
37. Gadd, C.J., " Assyria and Babylon 1370 – 1300 B.C ", CAH , Vol 11, London , 1965.
38. Gadd , " Babylonia 2120-1800 B.C " , CAH , Vol 1 , Part 2 ,Cambridge , 1971
39. Gadd , C., " The Last Kings of Agads and Gutian Supremacy " , CAH , Vol 1 , Part 2 , Cambridge – 1977.
40. Gibson , J., "Observations on Some important ethnic terms in the Pentateuch , JNES , Vol 2.No4 , 1961.
41. Giorgadze , G,G., " The Hittite Kingdom " , Early Antiquity , Chicago , 1991.
42. Grant , C., The Syrian Desert : caravans , Travel and Exploration , London , 1937 .
43. Grayson , A.K. " Akkadian Propheeies " , Bibliae Oriente , Vol 25 , Chicago , 1964.
44. Grayson , A.K. , "The Empire of Sargon of Akkad , AFO , Vol 25 , Toronto , 1974.
45. Grayson , A.K., Assyrian and Babylonian Chronicles , New York , 1975 .
46. Grayson , A.K., Assyrian Rulers of Early First Millennium B.C., 858 –745 B.C, Vol 2, Toronto , 1996.
47. Gurney , O.R., The Hittites , second edition , Great Britain , 1964.
48. Hauptmann , A., and others , " Early Ccopper Metallurgy in Oman " , The Beginning of the use of Methods and Alloys , Cambridge – London , 1986.
49. Hijara , I , " The new graves at Arpachiyah " , world Archaeology , Vol 10 , No 2 , 1978.
50. Hitti , P. History of the Arabs , Sixth edition , London , 1958.
51. Huffman , H., Amorite personal names in the mari texts , Baltimore , 1965.
52. Jacobson , Th., The Sumerian King List , Chicago , 1939.
53. Jakobson , V.A. "Mesopotamia in the sixteenth to Eleventh Centuries B.C. " , Early Antiquity , Chicago , 1991 .
54. Jankowska , N.B., "Asshur , Mittanni and Arrophe" : , Early Antiquity , Chicago , 1991 .
55. Kenyon , K., Digging up Jericho , London , 1957.

56. King , L.W, The letters and Inscriptions of Hammurabi , Vol 3, London , 1900.
57. Kirkbride , D." A Nealithic site at wadi el – Yabis " , Annual of Department of Antiquities of Jordan , 3 , 1959 .
58. Knudtzon , A.J., Die El-Amarna Taflen , Leipzig , 1964.
59. Kozyreva , N.V., " The old Babylonion Period" , Early Antiquity , Chicago , 1991 .
60. Kraus. F.R.,At Babylonish Brife in umschrift und Uberstzung Archive Des samas – hazir , Berlin , 1968 .
61. Kuhne , H., " Short account of the 13^{th} excavation at tell sheikh Hamad 1992 " , Chronique Archeologique En Syrie , Vol 1 , Syria , 1992 .
62. Kuhrt , A., The Ancient Near East 3000-330 B.C., Vol 1 , London , New York , 1998 .
63. Kupper , J.R. " Nouvells letters de Mari Relatives A Hammurabi de Babylone " , RA , 42 , 1948.

64. Kupper , J.R. Northern Mesopotamia and Assyria , Cambridge , 1963.
65. Kupper , J.R. “ Northern mesopotamia and Syria “ , CAH , Vol 2 , Part 1 , Cambridge , 1963 .
66. Lambert , W.G., “ Nebuchadnezzer king of Justice “ , IRAQ , Vol.27 , London , 1965 .
67. Lambert , W.G., “ The reading of the name uru Ka-gi-na “ , Orientalia , Vol 39 , Roma , 1970.
68. Langdon , S.H., “ The dynasties of Akkad and Lagash “ , CAH , Vol 1 , Cambridge , 1974.
69. Leemans , W.F., “ The Importance of trade “ IRAQ , Part 1 , 1977.
70. Liverani , M., “ The growth of the Assyrian empire in the Habur Euphrates area : a new paradign , unpulished report , Roma , 1985 .
71. Mallawan M.and Rose , J. Excavation at tell Arpachia , IRAQ ,Vol 2, 1933.
72. Mallawan , M.E.The Excavations at tell Shagar Bazar , IRAQ , Vol 3 , 1936.
73. Mallawan , M. Excavations in the Balikh valley , IRAQ , Vol 8 , 1946 .
74. Mallawan , M. “ Excavation at Brak and Chagar Bazar “ , IRAQ , Vol 9 , 1947.
75. Mallawan , M., Nimrud and its Remains , Vol 1 , London , 1955.
76. Mallawan , M., Twenty – Five years of Mesopotamian Discovery , London , 1956 .
77. Marc , L., “ The Beydar – 1995 – 1996 “ , Chronique Archeologique En Syrie , Vol 2 , Syria , 1998 .
78. Margueron , J.C., Mesopotamia , Switzerland , 1971.
79. Matthiae , P. Ebla an Empire Rediscovered , Toronto , 1977 .
80. Matthiae , P. “ Some fragments of early Syrian Sculpture from royal palace G of tell – mardikh – Ebla “ , JNES , Vol.39 , No,4 , 1980 .
81. Mazzoni , S., “ Elements of the Ceramic Culture of early Syrian Ebla in Comparisom with Syro-Palestinian EBIV “ , BASOR , No. 257 , Winterlfebruary ,1985 .
82. Mazzoni , S., “ Tell Afis and its region in the late Chalcolithic Period “ , AAAS. Vol 43 , 1999.
83. Meek , T.J., Hebrew Origins , New York , 1963.
84. Meijer , D., “ Tell Hammam Al-Turkman “ , Chronique Archeologique en Syrie , Vol 1 , Damas , 1992.
85. Merpert , N.and Munchaev , R , The religious Complex at tell hazna I in north – east Syria AAAS , Vol .43 , 1999.
86. Millard , A.R., “ Fragments of historical texts from Nineveh – Middle – Assyrian and later kings “ , IRAQ , 32 , Part 2 , 1970 .
87. Millard , A.R.and Tadmor , H., “ Adad – Nirari 111 in Syria . another stele fragment and the dates of his campaigns “ , IRAQ , 35 , Part 1 , 1973.
88. Muun – Rankin , J.M., “ Diplomacy in Westeren Asia in the Early second Millennium B.C.,” IRAQ , Vol.18 , Part 1 , London , 1956 , P.68 .
89. Oastes , D., Studies in the Ancient History of Northern Iraq , London , 1968.
90. Oates , J., Prehistoric invistigation near Mandali , IRAQ , Vol.30 , 1968 .
91. Oates , J., Ubaid Mesopotamia and its Relation to Gulf Counteries, Oxford 1978.
92. Olmosted , A., History of Palestine and Syria , New York , London , 1931.
93. Oppenheim , A.L., Der Tell Halaf , Chicago , 1931 .

94. Parrot . A.., Le temples d Ishtar et de Ninni – Zaza , Paris , 1961.
95. Parrot .A., " Les Fouilles de Mari , Quatorzienne Campagne Printemps 1964" , Syria , Vol 42 , 1965.
96. Peltenburg , E ,., " Excavations at Jerablus – Tahtani 1992" , Chronique Archeologique En Syrie , Vol 1 , Syrie , 1992 .
97. Pettinato,G., The Royal Archives of Tell – Marduk , Roma , 1976 .
98. Pettinato,G , Ebla , London , 1991 .
99. Stefan , K.,and Kozlowski et.al., " A preliminary report on the third season of polish excavations at Nemrik 9 , Saddam dam Salvage project " , Sumer 46 , 1989 –1990 .
100. Postgate .J.N. " Inscription of Tiglath pileser at Mila Margi " Sumer , 29 , 1973.
101. Saggs , H.W.F., " The land of Kirruri " , IRAQ , Vol.42, 1980.
102. Schaeffer , C.E.A., Nouvelles Decouvertes de Rase Shamra , AAAS , Toms .8-9 , 1958 – 1959.
103. Shea , W.H., " Menahem and Tiglath – Pileser 111 , JNES , 37 , No.1 , 1987 .
104. Smith , S " The Superemacy of Assyria " , CAH III , Cambridge ,1925.
105. Smith , S., " The Foundation of the Assyrian Empire " , CAH , III , Cambridge, 1925.
106. Snell , D.C.,Life in the Ancient Near East , London , 1997.
107. Speiser , E., Excavation at Tepe Cura , Vol 1 , Chicago , 1935.
108. Stein , D., " The Seul Impressions " , Das Archiv Des Silwa . Tessup " , Heft 8 , Wiesbaden , 1993 .
109. Strommenger , E., " Habuba Kabira south tell Qannas and Jebel Aruda " , Ebla To Damascus , Washington, 1985.
110. Strommenger , E., " detail of a wall painting Assyrian Officer " , Ebla to Damascus , Washington , 1985.
111. Strommenger.E., " Hadatu (Arslantash) " , Ebla to Damascus , Washington. 1985.
112. Surenhagen , D., " Tell Gindaris and the Western Afrin vally , AAAS , Vol.43,1999.
113. Thompson , C and Lite , D., " The New Babylonian Empire " , CAH , Cambridge ,1971 .
114. Wal ker , C.B., Cuneiform , London , 1987.
115. Weidner , E.F., " Die Annalen des Konigs Assurdan 11 von Assyrien , AFO , 3 , 1926 .
116. Weidner , E., " The Second dynasty of Isin according to a new king –list tablet " , AFO , 17 , 1954-1956.
117. Wiseman , D.J.The Alalah Tablests , London ,1953.
118. Wiseman , D.J., Chronicles of Chaldean King 626-556 B.C. London , 1956.
119. Wiseman , D.J. Peoples of old Testament Times ,1975 Great Britain.
120. Wolley , L., A Forgotten Kingdom , Baltimore , 1953.
121. Wright , G.E., and Filson.f.v., Historical Atlas to the Bible , Fourth Education westminster , 1953.
122. Yuhong , W., A Political History of Eshnuna , Mari and Assyria During the Early old Babylonian Period , China , 1994.
123. Zawadzki , S, The Fall of Assyria , Poznan , 1988.

المحتويات

المحتويات

المحتويات

المحتويات